جامعة بن يوسف بن خدة -الجزائر-

كلية العلوم الإنسانية و الإجتماعية ببوزريعة

قسم التاريخ

أطروحة لنيل درجة دكتوراه دولة في التاريخ الوسيط

بعنوان:

الحياة العلمية بإفريقية في عصر الدولة الأغلبية(184هـ-296هـ/800م-909م)

إشراف:

*** الدكتور خالد كبير علال**

إعداد الطالب:

*** صاحي بوعلام**

السنة الجامعية: 1429هـ-1430هـ / 2008م-2009م

جامعة بن يوسف بن خدة -الجزائر-
كلية العلوم الإنسانية و الإجتماعية ببوزريعة
قسم التاريخ

الحياة العلمية بإفريقية في عصر الدولة الأغلبية(184هـ-296هـ/800م-909م)

أطروحة لنيل درجة دكتوراه دولة في التاريخ الوسيط

إشراف:
* الدكتور خالد كبير علال

إعداد :
* صاحي بوعلام

الجزائر 1429 هـ/2008م

الإهداء

إلى روح أبي الشهيد الطاهرة

إلى أمي العزيزة

إلى زوجتي و أبنائي و عائلة

أهدي هذا العمل

كلمة شكر

يسعدني قبل البدء في عرض محتويات هذه الأطروحة أن أتوجه بالشكر الجزيل للدكتور خالد كبير علال على نصائحه و إرشاداته. كما أشكر كل من ساعدني من قريب أو بعيد في انجاز هذا العمل.

المقدمة

*المقدمة :

يعد الجانب الحضاري للمغرب الإسلامي من المواضيع التي لم تحظ بالاهتمام الكـافي من قبل الباحثين و المؤرخين، إذ أن جلّ البحوث انصبت حول التاريخ الـسياسي لـبلاد المغرب، و ذلك يعود إلى قلّة المصادر و المراجع و البحوث الأكاديمية المتخصصة التي عالجت الناحية الحضارية و الفكرية و العلمية لمنطقة المغرب في العصر الوسيط، و من ثمـة صـعوبة طرق مثل هذه المواضيع.

و كان اهتمامي الشخصي بالتاريخ الحضاري للشعوب، هو الدافع الرئيـسي الـذي جعلني أقدم – على الرغم من صعوبة المسلك – على تناول جانب من جوانـب التـاريخ الحضاري لبلاد المغرب، ألا و هو الحياة العلمية التي عرفتها إفريقية في العصر الأغلبي، خاصة و أن الأغالبة كانوا تابعين إسميا للخلافة العباسية، مما مكّنهم من التواصل سياسيا و حضاريا .

كما أن فترة القرنين الثاني و الثالث الهجريين/ الثامن و التاسع الميلاديين هما القرنـان اللذان تفتقت فيهما ينابيع الحضارة العربية الإسلامية، فأتيح للأغالبة الإغتراف من معين هذه الحضارة التي كانت لهم دافعا لكي يساهموا فيها بما أنتجوه في شتى حقول العلم.

و من هذا المنطلق يمكن طرح إشكالية هذا البحث و هي: إلى أي مدى ساهم الأغالبة في الإنتاج العلمي و الفكري ضمن الحضارة العربية الإسلامية في القرنين الثـاني و الثالـث الهجريين/ الثامن و التاسع الميلاديين؟

و للإجابة على هذه الإشكالية وضعت خطة لبحثي،حيث قسمته إلى أربعة فـصول، تناولت في الفصل الأول – الذي يعتبر فصل تمهيدي للأطروحة – الأوضـاع العامـة في إفريقية، من الفتح إلى سقوط دولة الأغالبة (22هـ - 296هـ /642م- 909م)، ثم تناولت الأوضاع العلمية العامة في إفريقية خلال القرن الأول الهجري/ الـسابع المـيلادي،

ووضحت فيها أن المغاربة يدينون إلى الفقهاء و التابعين الذين وفدوا على إفريقية بعد الفتح، و خاصة البعثة العلمية التي أرسلها الخليفة عمر بن عبد العزيز (99هـ - 101هـ/717م-719م) إلى إفريقية لتفقيه و تعليم أهل المغرب، و انتهيت إلى أن العلوم التي جاء ا هؤلاء التابعون و العلماء كانت نواة لنشوء العلوم المتعددة و خاصة منها العلوم الدينية المرتبطة بالقرآن الكريم و السنة النبوية الشريفة، و التي ستعرفها إفريقية في القرنين الثاني و الثالث الهجريين.

كما تناولت الأوضاع السياسة و العسكرية للدولة الأغلبية، بينت فيها كيف عملت الخلافة العباسية جاهدة للإحتفاظ ذه الولاية (إفريقية) البعيدة، و وضحت أن سر هذا المسعى هو لإيجاد قوة – ممثّلة في الدولة الأغلبية السنية – تقف في وجه الأدارسة العلويين بالمغرب الأقصى, كما وقفت على ال اعات و الثورات التي هزت البيت الأغلبي، و التي كان لها أثر سلبي على الأسرة و الدولة الأغلبية.

أما أكبر حدث عسكري خارجي فتمثل في فتح جزيرة صقلية في عهد الأمير زيادة الله الأول (201هـ - 223هـ/817م – 838م)، مما يبين أنّ الأغالبة كانوا قوة بحرية لا يستهان ا في حوض المتوسط إستطاعت أن تقف في وجه القوة البيزنطية.

و تناولت في نفس هذا الفصل الأوضاع الإجتماعية و الإقتصادية لهذه الدولة، وقفت فيها على العناصر المكونة للمجتمع الإفريقي في ذلك الوقت منهم الأقلية العربية التي كانت لها مكانتها السياسية، بالإضافة إلى الأكثرية البربرية، و أقلية أندلسية، و بعضا من سكان صقلية الذين وفدوا على إفريقية بعد فتح الجزيرة.

و في ا ال الإقتصادي فقد إهتم الأمراء الأغالبة بالحياة الإقتصادية، و أولى مؤسس الدولة إبراهيم بن الأغلب عناية خاصة لهذا الجانب، حيث نشطت الزراعة في منطقة القيروان و كثرت منتوجا ا، الشيء الذي جعلها – أي القيروان – تلعب دورا كبيرا في الحركة التجارية في المنطقة. و كان للإصلاح الإقتصادي الذي أحدثه الأغالبة بجزيرة صقلية

بعد فتحها أثره الإيجابي، خاصة بعد فرض ضريبة على الأرض القابلة للزراعة و التي تركت بورا دون استغلال، مثلما كان عليه الحال في عصر البيزنطيين.

و خصصت الفصل الثاني لانتشار المذاهب الفقهية بإفريقية، و ذكرت كيف تغلغـل المذهب المالكي بإفريقية و بلاد المغرب عامة إبتداء من القرن الثاني للهجرة، و عوامل تمسك عامة أهل المغرب به. كما تناولت بالبحث عوامل إنتشار المذهب الحنفي و علاقته بالمذاهب الأخرى، و خاصة المذهب المالكي، و ذكرت بأن هذا المذهب – أي المذهب الحنفي – لم يعتنقه إلاّ القليل من الناس كونه المذهب الرسمي للسلطة الأغلبية، بالإضافة إلى إعتماده على الرأي و القياس في استنباط الأحكام الفقهية.

و تطرقت إلى المذاهب الفقهية الأخرى التي عرفتها إفريقية الأغلبية كالمذهب الشافعي و الحنبلي و الظاهري، و ذكرت بأ ا لم ترق إلى شهرة المذهبين المالكي و الحنفـي، و إلى محدودية من إعتنق هذه المذاهب. و مع ذلك ساهمت في الحركة الفقهية التي عرفتها إفريقية في هذه الحقبة، و بينت بأن الأغالبة أخذوا بالذاهب السنية.

و تناولت ضمن هذا الفصل دور علماء المذاهب الفقهية بإفريقية في الفقه و التفسير و الحديث و القراءات، ففي الفقه شهدت إفريقية في العصر الأغلبي بروز عدد كبير من الفقهاء المغاربة كان لهم دور في تطور الدراسات الفقهية، توجت بظهور المدرسة الفقهية الأغلبية و مركزها القيروان.

و في التفسير برز عدد من المفسرين في عصر الأغالبة مع بداية القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، ساهموا في تأسيس مدرسة التفسير الأغلبية بإفريقية. و تميز نشاطهم في هذا ا ال بما صنفوه من كتب، من أهمها تفسير يحي بن سلام الذي إعتمد عليه المؤرخ و المفسر الطبري.

و في الحديث ظهر عدد من المحدثين في عصر الأغالبة خلال القرنين الثالث و الرابـع للهجرة/ التاسع و العاشر للميلاد –أي خلال العصرين الأغلبي و الفاطمي- بعد أن أخذوا

هذا العلم عن أشهر المدارس بالحجاز و العراق و مصر و الشام، و من ثمة ساهموا في نـشر هذا العلم بإفريقية بما ألّفوه من كتب في هذا ا ال.

و أما في علم القراءات فقد عرف الأغالبة أكثر من قراءة للقرآن الكريم، لكنهم أخذوا بقراءتين لهما إمتدادات مذهبية بإفريقية، فالأولى حنفية و هي قراءة حمزة بن حبيب، و الثانية مالكية و هي قراءة ورش عن نافع، إلاّ أنّ الأغالبة تمسكوا أكثر ذه القـراءة لارتباطهـا بالمذهب المالكي مذهب عامة الشعب.

و تناولت في الفصل الثالث مظاهر النشاط العلمي في إفريقية، و التي تمثّلت في حلقات العلم التي كانت تعقد بالمساجد و بيوت العلماء، و كان لها دور في النـشاط العلمـي و الديني، و المناظرات التي كانت تعقد بين أتباع المذاهب المختلفـة و خاصـة المـالكيين و الأحناف و المعتزلة، و كيف تصدى المالكيون لفتاوى بعض الأحناف السائرين في ركـاب السلطة، و خاصة في مسألة خلق القرآن التي يقول ا المعتزلة.

و أدت هذه المناظرات إلى بروز علماء في عصر أغالبة حذقوا فن الجدل كسعيد بـن الحداد (ت302هـ/914م)، و كان لها دور في إرساء المدرسة الكلامية بإفريقية في القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي.

كما تناولت في هذا الفصل حركة التأليف في مختلف العلـوم العقليـة و الأدبيـة و التطبيقية، و أبرزت إنتاج العلماء في عصر الأغالبة من الكتب في الفقه و التفسير و الحديث و الفلسفة و النحو و اللّغة و الطب و التاريخ و الفلك و الحساب و الكيمياء، و بينـت أن التصانيف في العلوم الشرعية التي وقفت عليها في المصادر كانت أكثر عددا من التصانيف في العلوم التطبيقية و الأدبية، لكون أغلب العلماء المغاربة الذين ظهروا في القـرنين الثـاني و الثالث للهجرة/ الثامن و التاسع للميلاد كانوا علماء دين، فاهتموا أكثر بالدراسات الدينية، خاصة بعد شيوع المذاهب الفقهية بالمشرق في القرن الثاني للهجرة/ الثامن للميلاد، ضف إلى ذلك إقدام المغاربة على الرحلة إلى مراكز العلم بالمشرق كالحجاز و مصر و الشام و العراق، التي كانت تعج بالعلماء و الفقهاء.

كما أفردت بحثا لأعلام الفكر في العلوم العقلية و الأدبية و التطبيقيـة، و بينـت أن أعلام العلوم العقلية لم يظهروا بإفريقية إلاّ في أواخر القرن الثالث الهجري/ التاسع الميـلادي – أي في عصر إزدهار الدولة الأغلبية – و مع ذلك ساهموا في النهضة العلمية التي عرفتـها إفريقية في هذه الفترة.

ففي علم الطب ظهر أعلام – على قلّتهم – كان لهم شأن في تأسيس المدرسة الطبية الأغلبية، منهم إسحاق بن سليمان الإسرائيلي و تلميذه أحمد بن الجزار. و كان هذا الأخير الذي توفي في حدود سنة 320هـ/932م – أي عاش الفترة الأغلبية و الفاطمية – أشهر طبيب عرفته منطقة المغرب الإسلامي في أواخر القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي.

و في علم التاريخ ظهر كثير من المؤرخين الأغالبة الذين طرقوا جميع الإختـصاصات التاريخية، و التي تناولها المؤرخون المشارقة قبلهم، كعلم الأنساب و الـسيرة و المغـازي و التاريخ العام، بالإضافة إلى التواريخ المحلية و التراجم و الطبقات.

و للتدليل على ما وصل إليه المؤرخون الأغالبة من إلمام بعلم التاريخ أنّ محمـدا بـن سحنون ألّف كتبا في السير و التاريخ العام و الطبقات، منها كتابه " طبقات العلماء " الذي إعتمد عليه المؤرخ الدباغ في كتابه " معالم الإيمان " للتأريخ للعلماء الذين نزلوا القيروان بعد القرن 1هـ/7م. كما إعتمد المؤرخ المالكي على كتاب " التاريخ " لابن سحنون.

و لكثرة ما صنف ابن سحنون من تآليف في علم التاريخ، فقد إعتبره البعض رائـدا للمدرسة التاريخية الأغلبية.

و في الأدب برز أعلام في هذا الفن بشقّيه المنظوم و المنثور، ففي الشعر إشتهر كـثير من الشعراء الأغالبة، و طرقوا جميع أغراضه كالزهد و الحكمة و الرثاء و غيرها، و امتـاز شعراء هذه الفترة كون أغلبهم فقهاء و محدثين، كعبد الله بن أبي حسان اليحـصبي، و أبي جعفر بن داوود الربعي الصواف وأبي عقال غلبون بن الحسن بن غلبون، و لا نكاد نستثني منهم إلاّ الشاعر بكر بن حماد الذي عرف عنه كونه شاعرا أكثر منه محدثا أو فقيها.

و أما في النثر فقد تألّق أيضا أدباء أغالبة في هذا الفن و طرقوا أبوابه كالوصف و القصة و المقامة و الرواية و الخطابة و الرسالة و النقد الأدبي، و برز من الأعلام في هذا الباب الفقيه أسد بن الفرات و الإمام سحنون بن سعيد و أبو العباس محمد بن أحمد البربدي.

و في العلوم التطبيقية، و رغم أن أعلامها لم يحققوا شهرة أعلام العلوم العقلية و الأدبية، إلاّ أنهم إقتحموا ميدان هذه العلوم، كعلم الفلك و علم الحساب و علم الكيمياء و علم الجغرافيا.

ففي علم الفلك، و رغم العدد القليل لعلماء الفلك الأغالبة الذين عثرنا عليهم في كتب الطبقات، إلاّ أنهم تمكّنوا من هذا العلم، و وصلوا حتى إلى وضع المؤلفات فيه. و كان ممن حذق هذا العلم إسماعيل بن يوسف الطلاء الذي رحل إلى العراق و أخذ أصول هذا العلم، و عند رجوعه إلى إفريقية عينه الأمير إبراهيم بن الأغلب على رأس بيت الحكمة.

و في علم الحساب، فقد كان المغاربة على علم به في زمن مبكّر، حيث كان مدرجا في مناهج المواد المقررة على الأولاد في الكتاتيب، و ممن تضلّع في هذا العلم زمن الأغالبة نذكر أبا زكرياء يحي بن سليمان الخراز الحفري (ت 237هـ/851م) الذي كان عالما بالفرائض و الحساب.

كما استعمل الحساب في مجال سك العملة. و بإعتبار أنّ الأغالبة كانت لهم دارا للضرب بالقيروان و العباسية و رقادة، فقد كانوا يلزمون القائمين عليها معرفة دقيقة بأمور الحساب. إلاّ أن علماء بني الأغلب لم يتركوا مصنفات في هذا العلم تضاهي المصنفات المشرقية ككتاب " الجبر و المقابلة " للخوارزمي.

و في علم الكيمياء، لم نعثر في كتب الطبقات ما يوحي بأنّ الأغالبة حذقوا هذا العلم، و بالتالي لم يبرز فيه إلاّ القليل من العلماء، من بينهم إسماعيل بن يوسف المعروف بالطلاء،

المتعدد المعارف، السابق ذكره، و الذي تعلّم صنعة الكيمياء ببغداد، و كان أول من أدخـل هذه الصنعة إلى القيروان.

و أما علم الجغرافيا فيعود إهتمام الأغالبة به إلى زمن الرحلة إلى المشرق في القرن الثاني للهجرة/ الثامن للميلاد ، من أجل تلقّي العلوم، حيث كان الطلبة – بعـد رجـوعهم إلى القيروان – يجلبون معهم كتبا في مختلف العلوم العقلية، و منها كتـب الجغرافيـا لأشـهر الجغرافيين العرب ككتاب " المسالك و الممالك " لابن خرداذبة، و كتـاب " البلـدان " لليعقوبي. و ممن اشتهر ذا العلم و ألّف فيه العالم و الطبيب أحمد بن الجـزار – الـسالف الذكر – الذي صنف كتاب " عجائب البلدان " و هو كتاب في الجغرافيا الإقليمية.

و تناولت في الفصل الرابع المؤسسات العلمية و التعليمية في إفريقية في عصر الأغالبة، و ذكرت أن مراكز العلم التي عرفت ا إفريقية تعد من أقدم المعاهد التي ساهمت في الحركة العلمية التي شهدها العصر الأغلبي، فقد كانت القيروان مركزا للإشعاع الديني و الثقافي، و امتازت بكثرة الفقهاء و المحدثين و تعدد ا الس العلمية ا، خاصة بعـد ظهـور الإمـام سحنون بن سعيد في النصف الأول من القرن الثاني للهجرة/ الثامن للميلاد، الذي كان أبرز من أثّر في الحياة الثقافية بالقيروان، حتى أصبحت – أي القيروان – ذائعة الصيت، و أخذت تستقطب الطلاّب للتتلمذ على علمائها.

و أما تونس فتعد المركز الثاني بعد القيروان، حيث كانت موئلا لعلماء كبار مثل أسد بن الفرات في القرن الثاني الهجري، و حافظت نسبيا على نشاطها العلمي، فاسحة ا ـال للقيروان التي إلتحق ا عدد من طلاب تونس للتتلمذ على علمائها.

كما تناولت في هذا الفصل المؤسسات التعليمية كالكتاتيب و المساجد و الرباطات و بيوت العلماء و الأمراء التي اضطلعت بمهمة التعليم، و ذكرت أن الكتاتيب تعد من أقـدم أنواع المعاهد التعليمية و جودا في العالم اللإسلامي. و من الذين ساهموا في النشاط التعليمي في الكتاتيب بإفريقية نذكر أبا علي شقران بن علي الهمذاني (ت 168هـ /784م) الذي كان يقوم بتعليم التلاميذ في كتاب منسوب إليه في القيروان.

و كانت المساجد التي بنيت على أرض إفريقية قبل تأسيس الدولة الأغلبيـة تـؤدي رسالتها التعليمية، و الدينية كمسجدي القيروان و الزيتونة في الفترة الأغلبية.

كما كانت الرباطات، التي انتشرت على ساحل إفريقية، إحدى المعاهد التعليمية التي اضطلعت بمهمة التعليم و المرابطة و الجهاد لحماية الحدود البحرية من ضربات البيزنطيين، و من هذه الرباطات رباط " قصر الطوب " الذي أنشئ سنة 206هـ ـ/ 821م في عهـد الأمير الأغلبي زيادة الله الأول على ساحل سوسة، فبالإضافة إلى ما كان يعقد ذا الربـاط من مجالس العلم، فقد كانت تنطلق منه السفن إلى صقلية.

و كان التعليم يتم أحيانا في بيوت العلماء و قصور الأمراء، فقد إعـتنى أمـراء بـني الأغلب بتعليم الجواري في قصورهم، كما إهتمت نساء القصر بتعلـيمهن، كمـا كـان الإمامان أسد بن الفرات و سحنون يقومان بتعليم إبنتيهما اللتين نالتا تحصيلا علميا وافرا.

و هكذا أ يت كل فصل بأهم الإستنتاجات، و أ يت أطروحتي بخاتمة ضمنتها أهـم النتائج التي توصلت إليها.

و اعتمدت في إنجاز أطروحتي على المنهجين التاريخي و الإحصائي، الـذي اهتـديت بمقتضاه إحصاء علماء المذاهب الفقهية بإفريقية، و عدد الفقهـاء و المفـسرين و المحـدثين الأغالبة الذين وقفت عليهم في المصادر الأصلية، بالإضافة إلى عدد المؤلفات الـتي صـنفها العلماء في مختلف العلوم، و كذا أعلام الفكر الأغالبة في العلوم العقلية و الأدبية و التطبيقية.

و قد مكنني هذا المنهج من وضع تبيان إحصائي لكل فصل يستلزم ذلك، متجـاوزا بذلك الطريقة التقليدية القائمة على النتائج فقط.

و تدعيما لمنهجيتي في البحث، فقد إستعنت بوسائل الإيضاح كالخرائط و الجداول و الرسومات البيانية لأهميتها التوضيحية، فاستعملت ما مجموعه أربع خرائط و أحـدا عـشر جدولا و ستة رسوم بيانية. و أما المصادر و المراجع التي اعتمدت عليها، فقد خصصت لها دراسة نقدية في مبحث مستقل.

و أما الصعوبات التي واجهتني في إنجاز هذه الأطروحة، فكان أولها قلّة البحوث و المراجع العلمية المتخصصة التي أشارت إلى هذا الموضوع، اللّهم إلاّ بعض المقالات التي تناولت بالدراسة بعض جوانب هذا الموضوع، كالمقالة التي أفردها الدكتور أحمد بدر في مجلة دراسات تاريخية و عنوانها "هجرة الثقافة من المشرق إلى المغرب في القرن الثاني الهجري" و الكتاب الذي ألّفه الأستاذ رابح بونار بعنوان " المغرب العربي تاريخه و ثقافته " و هو كتاب أدبي أكثر منه تاريخي، أو رسالة الماجستير التي قدمها الباحث الطيب بوسعد و عنوانها " الحياة الثقافية بالإمارة الأغلبية و علاقاتها بالخلافة العباسية ".

و هكذا كان علي أن أغوص في ثنايا المصادر، على قلّتها، لاستخراج النصوص و استقرائها، و استجلاء الحقائق التاريخية منها، بالرغم من العناء و الجهد الذي بذلته في تعاملي مع هذه المصادر، و حسبي أنني قدمت بهذا الجهد لبنة جديدة في صرح حضارة المغرب الإسلامي.

و أخيرا أتقدم بخالص شكري للقائمين على المكتبات العامة، و خاصة المكتبة الجامعية و المكتبة الوطنية بالجزائر، لما لمسته منهم من مساعدة في التزود بالمصادر و المراجع اللاّزمة. و لكل من قدم لي يد العون من قريب أو من بعيد لإنجاز هذا البحث.

كما لا يفوتني أن أتوجه بالشكر الجزيل للدكتور خالد كبير علال لتقبله الإشراف على هذه الأطروحة، و صبره معي في تتبع خطوات هذا البحث رغم مشاغله، فجزاه الله عني كل خير.

كما أشكر في النهاية أعضاء لجنة المناقشة الموقّرة لتقبلها قراءة هذه الأطروحة و إثرائها بملاحظاتها القيمة.

دراسة نقدية للمصادر
و المراجع

إعتمدت في أطروحتي هذه على مصادر و مراجع بلغ مجموعها إثنان و سبعون مصدرا و خمسة و سبعون مرجعا و تنوعت بين مغربية و مشرقية و أندلسية، بالإضافة إلى المقالات و دوائر المعارف. ففيما يخص المصادر المخطوطة إعتمدت على مخطوطة ليحي بـن سـلام (ت200هـ / 815 م) في تفسير القرآن المعنونة بـ " تفسير يحي بن سلام القـيرواني " و هي نسخة مخطوطة بالمكتبة الوطنية بالحامة بالجزائر، مصورة على ميكرو فيلم تحـت رقـم 5072.

و قد أفادني هذا المصدر بالتعرف على طريقة هذا المفسر الإفريقي – الذي أخذ عـن مشاهير المفسرين المشارقة – في تفسير القرآن الكريم. و نتيجة لشهرة هذا المفسر في مجـال التفسير فقد عد تفسيره أقدم و أشهر تفسير عرفته إفريقيـة الأغلبيـة و منطقـة المغـرب الإسلامي، حتى وصل صدى تفسيره إلى المشرق، و قورن تفسيره بتفسير محمد بن جريـر الطبري.

و فيما يخص المصادر المطبوعة أفدت كثيرا من كتب الطبقـات و التـراجم خاصـة المغربية، منها كتاب " طبقات علماء إفريقية و تونس " لأبي العرب محمد بن أحمد بن تمـيم التميمي الذي كان معاصرا للدولة الأغلبية، و قد ترجم للعديد من علماء و فقهاء إفريقية في العصر الأغلبي، فأبرز لنا مآثرهم الدينية و العلمية و الأدبية، و هي المناحي الـتي تمحـورت حولها أطروحتي. و يمتاز أبو العرب بالإيجاز في تراجمه، و يعطي أهمية كبيرة للسند. و رغـم ما إمتاز به من إيجابيات إلاّ أنه تغاضى عن الترجمة لبعض كبار أعلام إفريقية كـسعيد بـن الحداد.

كما اعتمدت على كتاب " طبقات علماء إفريقية " لأبي عبد الله بن حارث ابن أسد الخشني (ت 361هـ / 971م) الذي نشره محمد بن أبي شنب سنة 1915م، و قد أعيد نشره و تحقيقه من قبل عزت العطار سنة 1952م تحت عنوان " قضاة قرطبـة و علمـاء إفريقية ".

و يمتاز الخشني كونه ترجم في طبقاته لغير العلماء المالكيين، كالشافعيين و الحنفيين و المعتزلة، و عنه عرفنا علماء الكلام السنة، حيث أبرز دور المالكية في الدفاع عن مذهبهم باستخدام الجدل في مجالس المناظرات التي دارت بينهم و بين المعتزلة.

و أما كتاب " رياض النفوس في طبقات علماء القيروان و إفريقية و زهادهم و نساكهم و سير من أخبارهم و فضائلهم و أوصافهم " لأبي بكر عبد الله بن محمد المالكي (ت ق 5هـ/ 11م) ، فقد ترجم لعلماء القيروان، متطرقا إلى رحلتهم إلى مراكز العلم بالمشرق، و كذا إلى العلماء الذين أدركوا الإمام مالك بن أنس بالحجاز و أخذوا عنه.

كما لا يخلو هذا الكتاب من أعلام إفريقية الذين برزوا في الطب و الفلسفة و اللغة و النحو، و تزداد أهمية هذا المصدر كون المالكي ينقل كثيرا عن المؤرخ أبي العرب، و عن مدونة سحنون و موطأ الإمام مالك.و كانت الإستفادة من هذا المصدر شاملة لعناصر موضوع الأطروحة.

و يتضمن كتاب " ترتيب المدارك و تقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك " للقاضي أبي الفضل عياض (ت 544هـ/1149م) ، تراجم مفصلة لأعلام المالكيين من أهل القيروان و سيرهم العلمية، دون نسيان ذكر تاريخ و فا م، كما تطرق هذا المصدر إلى ذكر العلماء المالكيين الذين رووا عن الإمام مالك، من الحجاز و مصر و العراق و الشام و اليمن و إفريقية و الأندلس.

و كثيرا ما كان القاضي عياض، الذي يعتمد على أبي العرب و الخشني، يستفيض كثيرا حين يترجم لعالم من العلماء، إلى ذكر مناقبه و تآليفه و مجالسه، لذلك إستفدت منه في مجال حركة التأليف و مجالس المناظرات التي كان يعقدها علماء المالكية بإفريقية ضد مخالفيهم من المذاهب الأخرى.

و لم يقتصر كتاب المدارك للترجمة لعلماء الدين فقط، و إنما عنى أيضا بالعلماء الذين برزوا في علوم أخرى، حيث إنفرد بذكر فقهاء و علماء دين إهتموا ببدن الإنسان و ما يعتريه من أمراض.

كما كان كتاب " معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان " لأبي زيد بن عبد الرحمن بن محمد بن علي بن عبد الله الأنصاري الأسيدي المعروف بالدباغ (ت 605هـ/ 1211م)، ثم أكمله أبو القاسم بن عيسى التنوخي المعروف بابن ناجي (ت 839هـ/ 1435م)، مصدرا هاما في تتبع علماء القيروان الأوائل الذين أخدوا عن الفقهاء التابعين الذين وفدوا على إفريقية من المشرق، و قد إنفرد الدباغ بذكر مساجد القيروان و تونس، فعرفنا منه العمران المسجدي بإفريقية.

و قد إعتمد هذا المؤرخ على مصادر مشرقية و مغربية، فنقل عن المالكي و أبي العرب و القاضي عياض و محمد بن سحنون و الواقدي، كما تنوعت الإهتمامات العلمية في هذا المصدر للعلماء المترجم لهم، حيث وقفنا على مناحي الشعر و اللغة و الطب و غيرها من العلوم المتصلة بإهتمامات علماء الدين.

و كانت الإستفادة من هذا الكتاب خاصة بما تناوله من تراجم لبعض الفقهاء الأحناف كسليمان بن عمران القاضي الحنفي، الشيء الذي نلحظه عند المالكي الذي ركّز على العلاقة بين المالكيين و الأحناف.

كما أفدت من كتاب " آداب المعلّمين " لمحمد بن سحنون (ت 256هـ/866م) الذي كشف عن أنواع القراءات التي عرفتها إفريقية في الفترة الأغلبية، بالإضافة إلى أنّ هذا الكتاب يعد الأساس في ميدان التعليم في الكتاتيب في القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي.

و يأتي كتاب " الرسالة المفصلة لأحوال المتعلّمين و أحكام المعلّمين و المتعلّمين " لأبي الحسن القابسي (ت 403هـ/1012م)، بعد كتاب " البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب " لابن عذاري المراكشي (توفي في أواخر القرن 7هـ/13م).

و استفدت من كتاب " الديباج المذهب في معرفة علماء المذهب " لابن فرحون (ت 799هـ/1397م) الذي عرفنا بمؤلفات التفسير لعدد من العلماء الأغالبة، كمحمد بن عبدوس (ت 260هـ/873م) الذي ألّف كتاب " التفاسير "، حيث فسر فيه أصول الفقه المالكي.

و انفرد كتاب " شجرة النور الزكية في طبقات المالكية " لابن مخلوف (ت 1360هـ/1941م) بالترجمة لبعض المفسرين الأغالبة الذين اختصوا بالتفسير الفقهي للقرآن الكريم، كمحمد بن سحنون و أبو الأسود موسى بن عبد الرحمن المعروف بالقطان.

و كان كتابا " زاد المسافر و قوت الحاضر " و " سياسة الصبيان و تدبيرهم " لابن الجزار (ت 200هـ/815م) قد أعاناني في إكتشاف الكتب الطبية اليونانية التي إعتمد عليها هذا العالم و الطبيب و المؤلّف، ككتابي الطبيب اليوناني جالينوس في الطب و هما "التعلّم" و " لعلل".

و استفدت من كتاب " العبر و ديوان المبتدأ و الخبر " للمؤرخ عبد الرحمن بن خلدون (ت 732هـ-808 هـ /1332م- 1406م) من الناحية السياسية و الإقتصادية لدولة الأغالبة، و قد بدى ابن خلدون في كتابه هذا متأثرا ببعض المؤرخين كابن عبد الحكم و ابن الأثير و الطبري و الرقيق القيرواني و البكري و غيرهم، و نجده أحيانا ينقل دون ذكر المصدر، مشيرا بقوله: " ذكر بعض مؤرخي المغرب ".

كما حوت " المقدمة " أخبار مهمة عن العلوم التي كانت سائدة في فترة الخلافة العباسية و دور علماء المغرب في هذه العلوم.

و أما المصادر المشرقية فكانت حلقة الوصل بينها و بين المصادر المغربية في استكمال المناحي العلمية و الثقافية لموضوع الأطروحة. فقد استفدت كثيرا من كتاب " إنباه الرواة على أنباه النحاة " للقفطي (ت646هـ/1248م)، و كتاب " بغية الوعاة في طبقات اللغويين و النحاة " للسيوطي، و كتاب " معجم الأدباء " لياقوت (ت 626هـ/1228م) التي أسهبت في تناول اللّغويين الأغالبة و دورهم في الحركة الأدبية.

و اعتمدت على كتاب " الفهرست " لابن النديم في ذكره لأعلام الأغالبة الذين أخذوا عن أعلام العباسيين في العلوم العقلية، كعلم التاريخ.

و استفدت من كتاب " عيون الأنباء في طبقات الأطباء " لابن أبي أصيبعة (ت 668هـ/1229م) الذي أسهب في ذكر علوم الطب و التآليف الطبية، و عرفنا بمشاهير الأطباء الأغالبة الذين برزوا في الفترة الأغلبية، كالطبيب أحمد بن الجزار الذي فاقت شهرته أرض إفريقية و المغرب، حتى أصبح كتابه في الطب " زاد المسافر " متداولا لدى الأطباء العباسيين و الأندلسيين.

كما كان كتاب " أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم " للمقدسي (ت 380هـ/ 990م) خير معين لي في استجلاء النواحي الإقتصادية للدولة الأغلبية.

و حفل كتاب " وفيات الأعيان و أنباء أهل الزمان " لابن خلكان بتراجم وافية لعلماء من المغرب في العلوم الدينية.

و أفادني كتاب " طبقات الفقهاء " لأبي إسحاق الشيرازي (ت476هـ/1083م) في الإحاطة بالفقهاء المالكيين الذين صنفوا الكتب للرد على أفكار الشافعي، و منهم الفقيه الأغلبي أبو عمر يوسف بن يحي المغامي (ت288هـ/900م). لكن بالرغم من ذكر الشيرازي لهؤلاء الفقهاء الأغالبة، إلاّ أنه تحاشى ذكر الفقهاء الأحناف.

و أما كتاب " الكامل في التاريخ " لابن الأثير (ت 630هـ/1232م)، فكانت الإستفادة منه من الناحية السياسية أكثر من الناحية العلمية.

كما أفادني كتاب " اية الأرب في فنون الأدب " للنويري (ت 733هـ/1332م) في التعرف على بعض شعراء البلاط الأغلبي المتكسبين، كالشاعرين الأغلبيين أبي العزاف و يعقوب بن يحي اللذين لازما بـلاط الأمـير الأغلـبي زيـادة الله الأول (198هـ ـ - 224هـ/813م-838م).

و لم يقـلّ كتـاب " غايـة النهايـة في طبقـات القـراء " لابـن الجـزري (ت 833هـ/1420م) أهمية في التعريف بقراء القرآن الكريم الذين لم تذكرهم المـصادر المغربية.

و فيما يتعلق بالمصادر الأندلسية فقد استفدت كثيرا من كتاب " طبقات النحويين و اللغويين " لأبي بكر الزبيدي (ت 379هـ/989م) الذي عرفنا باللغويين و النحاة الأغالبة و بإنتاجهم في علوم اللغة، و كيف إستفادوا من الكتب اللغوية و النحوية المشرقية.

و كانت الإستفادة أيضا من كتاب " طبقات الأطباء و الحكمـاء " لابـن جلجـل (توفي بعد سنة 384هـ/994م) الذي أبرز لنا تطور علم الطب بإفريقية بفضل إسهامات الطبيبين إسحاق بن عمران و إسحاق بن سليمان الإسرائيلي. و لقيمة هذا المـصدر فقـد إعتمد عليه المؤرخ ابن أبي أصيبعة.

كما أفدت من كتاب " الحلّة السيراء " لابن الأبار (ت 658هـ/1260م) الـذي تطرق إلى فنون الشعر و النثر عند الأدباء الأغالبة.

و أما المراجع التي رجعت إليها في أطروحتي، فهي عديدة منـها كتـاب " الدولـة الأغلبية" للدكتور محمد الطالبي، الذي بالرغم من أنّ كتابه تناول التاريخ السياسي للأغالبة، إلاّ أنه إهتم فيه بالصراع بين المالكية و المعتزلة، خاصة في الجانب المتعلّق بمسألة خلق القرآن.

و كانت كتب " البرهان في علوم القرآن " للزركشي، و " منجد المقرئين و مرشـد الطالبيين " لابن الجرزي، و " المدرسة القرآنية في المغرب " لأحمد الكنوني، مرشـدة لي في التعريف بعلوم القرآن و منها علم القراءات التي عرفتها إفريقية في الفترة الأغلبية.

و استفدت من كتابي " المدارس الكلامية بإفريقية إلى ظهور الأشـعرية " و " ثقافـة ا تمع القيرواني في القرن الثالث الهجري " للدكتور عبد ا يد بن حمدة، من حيث تطرقـه فيهما إلى النشاط الكلامي و الفلسفي الذي عرفته إفريقية الأغلبية، و الجدل الذي كان قائما حول عدة مسائل بين علماء السنة المالكيين و نظرائهم من المـذاهب الأخـرى، لاسـيما المعتزلة.

و كان كتاب " الصراع المذهبي بإفريقية " لعبد العزيز ا ذوب سندا لي في اسـتجلاء مناحي الخلافات العقائدية و الفقهية بين المالكيين و الأحناف و المعتزلة و غيرهم من أتبـاع المذاهب الأخرى.

إلاّ أنّ المتصفح لهذا الكتاب يرى بأن المؤلّف بالغ في وصف الخلاف بـين المـذاهب بالصراع المذهبي، متناسيا بأن ذلك الخلاف لم يكن عاما، حتى أن بعض العلماء المـالكيين كانوا يأخذون بالإزدواجية المذهبية، كالفقيه أسد بن الفرات الذي كان يمزج بين المـذهبين المالكي و الحنفي.

و يعد كتاب " موطأ ابن زياد " للأستاذ الشاذلي النيفر من أهم المراجع التي تناولـت بالتعريف بشخصية علي بن زياد واضع أسس المدرسة المالكية بالمغرب و بموطئه في الفقـه المالكي، فكانت إستفادتي منه جلية، خاصة فيما يتعلق بظهور الإرهاصات الأولى للمذهب المالكي على أرض إفريقية. كما كان لهذا المؤلّف الفضل في تحقيق قطعة من موطأ الإمـام مالك برواية علي بن زياد

كما أفدت من كتاب " ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية التونـسية " للأسـتاذ المرحوم حسن حسني عبد الوهاب، بخصوص الحركة المذهبية و الفكرية التي عرفتها إفريقية الأغلبية، و ما تبعها من أثر ثقافي إيجابي خاصة في النواحي الأدبية و الفكرية.

و كان لكتابه " المنتخبات الأدبية " الأثر الواضح في تناول الأساليب النثريـة عنـد الأدباء الأغالبة، و التي استفدت منها في استبيان ما توصل إليه هؤلاء الأدباء من رقي أدبي.

و لا يقلّ كتاب " المغرب العربي تاريخه و ثقافته " للأستاذ المرحوم رابح بونار أهمّيـة، بحيث أفادني في الإحاطة بالحركة الشعرية و النثرية للأدباء الأغالبة.

و إذا كان المؤلّف الداودي قد و ضح في كتابه " طبقات المفـسرين " الإهتمامـات الأولى للمغاربة بعلم التفسير، و التي تزامنت مع حلول الفقهاء التابعين بأرض المغرب مـع جيوش الفتح، فإن المؤلّف ابن عاشور قد أفادني في كتابه " التفسير و رجالـه " باقتبـاس الرعيل الأول من المغاربة لهذا العلم بفضل الرحلة إلى الحجاز، و منهم الفقيه عبـد الله بـن فروخ الذي أخذ بمكة عـن المفـسر عبـد المالـك بـن عبـد العزيـز بـن جـريج (ت 150هـ/767م) الذي يعد أحد المفسرين الأوائل الذين وضـعوا أولى التفاسـير في القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي.

و اعتمدت على كتاب " معجم تفسير القرآن " لمؤلّفه عبد القادر زمامة، و كتـاب "هدية العارفين و أسماء المؤلّفين و آثار المصنفين " لإسماعيل باشا البغـدادي، مـن حيـث إهتمامهما بنوع جديد من التفسير و هو التفسير اللغوي للقرآن الكريم، و أبرز من إشـتهر من الأعلام في هذا ا ال بإفريقية يحي بن سلام و أبي اليسر إبراهيم بن أحمد الشيباني.

و أفدت من كتابي " تاريخ الحضارة الإسلامية العربية " لسعيد عبد الفتاح عاشور، و كتاب " العلوم عند العرب " لقدري حافظ طوقان اللذين تطرقا إلى إنشاء البيمارستانات أو المستشفيات من قبل المسلمين و ما ألحق ا من معاهد طبية لتدريس علوم الطب.

كما ساعدني كتاب " محاضرات في مراكز الثقافة بالمغرب " للدكتور عثمان الكعاك، في الإحاطة باختصاص بيت الحكمة – التي أنشأها الأمير زيادة الله الثالث – و ما حوته من علوم، بعد أن جلب لها هذا الأمير أمهات الكتب و نوادر المخطوطات. كما عرفنا الأستاذ الكعاك في كتابه " العلاقة بين تونس و إيران، بالأثر الأدبي الفارسي في النثر الأدبي الأغلبي، عن طريق كتب عبد الله بن المقفع ككليلة و دمنة.

و استفدت من كتاب " تاريخ العلوم عند العرب " لعمر فروخ الذي عرفنا بعلم الحساب و تطبيقاته الميدانية، حيث عرفته إفريقية الأغلبية عمليا في مجال الصيرفة و سك النقود.

أما فيما يتعلق بالمراجع الأجنبية سواء التي كتبت من قبل مؤلّفين مغاربيين أو أجانب، فقد اعتمدت على كتاب "La Berberie et l'orient au moyen age, paris 1946." للمستشرق جورج مارسي الذي تناول الحياة المذهبية و الإقتصادية لإفريقية.

كما أفدت من كتاب "La Berberie orientale sous la dynastie des Benou ALAGHLAB, paris 1927." و دورهم في العلوم الدينية في عصر الأغالبة، للمؤلّف فوندرهايدن فيما يتعلق بحركة العلماء و دورهم في العلوم الدينية في عصر الأغالبة، كما إهتم بالحياة السياسية و الإقتصادية للأغالبة.

و يمكن لدارس هذين الكتابين أن يلحظ تعمد هذين المؤلّفين إظهار كلمة "La Berberie" بدل المغرب الإسلامي لمحاولة محو دور الإسلام في حياة سكان بلاد المغرب.

و كان كتاب "Histoire de la médecine arabe en tunisie, tunis,1980" للدكتور أحمد شريف و "Histoire de l'école médicale de Kairouan au 11eme siècle, paris,19" للدكتور أحمد بن ميلاد، من أهم الكتب التي تناولت تاريخ الطب العربي بالمغرب الإسلامي، و استفاظ هذان الكتابان في ذكر مشاهير الأطباء الأغالبة الذين كان لهم الفضل في إرساء مدرسة الطب الأغلبية.

كما استعنت بكتاب "les faiences de la grande mosquée de Kairouan, paris. 1928" للمستشرق جورج مارسي، السالف الذكر، الذي وضح التحسينات التي أدخلها الأمير إبراهيم بن الأغلب على المسجد الجامع بالقيروان.

و فيما يخص المقالات المنشورة في ا لمجلاّت و الدوريات المتخصصة، فقد استفدت من المقال القيم الذي نشره الدكتور أحمد بدر بعنوان " هجرة الثقافة من المشرق إلى المغرب في القرن الثاني للهجرة " في مجلّة دراسات تاريخية، العدد الثامن، دمشق، 1982م.

كما أفدت من مقال محمد زيتون المعنون بـ" العلاقات الثقافية بين القيروان و مراكز الفكر في المشرق " بمجلة كلية العلوم الإجتماعية، العدد1، 1977م.

و فيما يتعلق بالدراسات و البحوث التي كتبت باللغة الأجنبية، إعتمدت على مقـال الدكتور محمد الطالبي حول الإعتزال بإفريقية بعنوان "Du nouveau sur l'Itizal en Ifriquia, in revue tunisienne des sciences sociales, N°40-43. 1975.

و استفدت من مقال الباحث إبراهيم بن مراد في تثمينه لجهد الطبيب ابـن الجـزار، بعنـوان "Hommage à ibn AL-GAZZAR, in, IBLA, N°151, revue de l'Institut des belles lettres arabes, Tunis, 1983-1.

كما ساعدتني الدراسة التي أعدها المستـشرق جـورج مارسـي بعنـوان "La Berberie au 1?eme siècle d'après EL Yaqoubi, in revue africaine, Alger, 1941". في وصف اليعقوبي لبلاد المغرب، و الذي ضـمنه في كتاب " البلدان ".

و أفدت من مقال الأستاذ حمادي صمود حول العالم و المفسر القيرواني يحي بن سلام بعنوان: " un éxégte oriental en Ifriquia, Yahia ibn Sallâm, in, IBLA,N°125, Tunis, 1970.

و اعتمدت على دراسة للمستشرق (شاخت) حول شيوع المذهبين الحنفي و المالكي بإفريقيـة الأغلبيـة في "Articles AGHLABIDES, vie religieuses, encyclopedie de l'Islam, T1.

أما المصادر و المراجع الأخرى التي وظّفتها في أطروحتي، فهـي مدرجـة في قائمـة البيليوغرافيا، كما ألحقت بالبحث ملاحقه و فهارسه.

الفصل الاول

الأوضاع العامة في إفريقية

من الفتح الى سقوط

دولة الأغالبة

❖الفصل الأول:

الأوضاع العامة في إفريقية، من الفتح إلى سقوط دولة الأغالبة (22هـ-296هـ/642م-909م)

أولا: نظرة عامة عن أوضاع إفريقية سياسيا وعسكريا (من الفتح إلى قيام دولة الأغالبة) (22هـ-184هـ/642م-800م).

ثانيا: الأوضاع العلمية العامة في إفريقية خلال القرن الأول الهجري/السابع الميلادي.

ثالثا: الأوضاع السياسية والعسكرية للدولة الأغلبية (184هـ-296هـ/800م-909م).

رابعا: الأوضاع الإجتماعية و الإقتصادية للدولة الأغلبية (184هـ-296هـ/800م-909م).

الأوضاع العامة في **إفريقية، من الفتح** إلى **سقوط دولة الأغالبة (22هـ-296هـ/642م-909م)**

عرفت إفريقية قبل قيام دولة الأغالبة أوضاعا سياسية وعسكرية إرتبطت بالفتوحات الإسلامية، منذ عهد الخليفة الراشدي الثاني عمر بن الخطاب-رضي الله عنه (13هـ-23هـ/634م-644م) حتى سقوط الخلافة الأموية سنة 132هـ/750م.

كما سادت بإفريقية خلال القرن الأول الهجري/السابع الميلادي أوضاعا علمية تعزى خاصة إلى البعثة العلمية التي أرسلها الخليفة عمر بن عبد العزيز (99هـ-101هـ/717م-719م) إلى المغرب لتفقيه أهله في الدين الإسلامي.

وبقيام دولة الأغالبة سنة(184هـ-800م)، واجه أمراؤها أوضاعاً سياسية وعسكرية، تمثّلت في التداول على الحكم وما أنجر عنه من مشاكل ، والتصدي عسكريا للقوى الخارجية أثناء فتح صقلية.

وكان للجانب الإجتماعي والإقتصادي أثره البالغ في تطوير الحياة الإقتصادية للدولة الأغلبية، والتي أولاها مؤسس الدولة إبراهيم بن الأغلب عناية خاصة.

أولا: نظرة عامة عن أوضاع إفريقية سياسيا وعسكريا (من الفتح إلى قيام دولة الأغالبة) (22هـ-184هـ/642م-800م).

قبل الحديث عن ظروف نشأة دولة الأغالبة في النصف الثاني من القرن الثاني للهجرة/الثامن للميلاد، نذكر لمحة عامة عن سير الفتوحات بأرض المغرب.

فقد بدأت محاولات المسلمين لفتح المغرب في عهد الخليفة الراشدي الثاني عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-(13هـ-23هـ/634م-644م) وذلك سنة 22هـ/642م حين إفتتح والي مصر عمرو بن العاص طرابلس إنطلاقا من قواعده في الإسكندرية التي كان قد فتحها سابقا[1].

ولم تمض مدة زمنية بسيطة على فتح مصر وطرابلس، حتى تولّى الخليفة الثالث عثمان بن عفان –رضي الله عنه- الخلافة (24هـ-35هـ/643-656)، وأخذ في إتمام ما بدأ به سلفه، فقد أمر عامله على مصر عبد الله بن أبي سرح بفتح المغرب، بعد تجهيز جيش كبير سنة 26هـ/646م[2].

وبعد معركة سبيطلة[3] التي دارت بين الجيش الإسلامي وجيش بيزنطة سنة 27هـ/647م، والتي أدت إلى مقتل القائد البيزنطي جرجير، إنفتحت إفريقية في وجه المسلمين الفاتحين، وإستطاع بن أبي سرح أن يفتح عدة حصون كانت بيد البيزنطيين على رأسها قفصة.

---

(1) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت(1385هـ/1965م)،ج 3ص 25.و السلاوي: الإستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق الأستاذ ين جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء،1945م،ج1 ص 28.

(2) ابن الأثير:المصدر نفسه،ج3ص86.و السلاوي:المصدر السابق،ج1ص36

(3) ابن الأثير: المصدر نفسه،ج3 ص91. وابن عذاري:البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، نشر وتحقيق.ج.س.كولان، مطبوعات ا.ج.بريل،ليدن،هولندا،1948،ج1 ص10.وأنظر موقع هذه المدينة على الخريطة في صفحة34.

وقد دفع إنتصاره هذا البيزنطيين إلى عقد صلح معه والموافقة على دفع مبلغ مالي كبير كتعويض للحرب. وقد قدر هذا المبلغ بمليونين وخمسمائة ألف دينار[1].

وبعد هذا النصر الكبير الذي حققه ابن أبي سرح عاد إلى مصر بعد أن قضى سنة وثلاثة أشهر في إفريقية[2]، ولم تكن هذه هي المرة الوحيدة التي يعمل فيها عبد الله بن أبي سرح على تحرير إفريقية ، فقد دخلها أيضا سنة 33هـ/653م وأعاد النظام إليها، و أقر أهلها على الإسلام أو الجزية[3].

وقد تكررت محاولات الفتح، حيث قاد والي مصر الجديد معاوية بن حديج سنة 45هـ/665م جيشا في خلافة معاوية بن أبي سفيان(40هـ-60هـ/660م-680م) بعد أن منحه ولاية إفريقية ، وكان ضمن هذا الجيش عبد الله بن عمر بن الخطاب. ولمّا وصل إلى إفريقية واجه، إضافة إلى سخط البربر على المسلمين، الإمدادات العسكرية الهائلة التي بعثها الإمبراطور قسطنطين الثاني إلى هذه البلاد[4].

وفي هذه الغزوة إستطاع معاوية بن حديج أن يفتح حصن جلولاء[5]، ثم دخل في معركة حاسمة مع جيش بيزنطة، و إنتصر عليه، ثم عاد إلى مصر محملا بالغنائم مثل سلفه

---

(1) ابن الأثير:الكامل،ج3ص91، ويقدر ابن عذاري هذه التعويضات والغنائم بثلاثمائة قنطار من الذهب، أنظر: البيان،ج1ص12.

(2) ابن الأثير: المصدر السابق، ج3ص91

(3) ابن عذاري: المصدر السابق،ج1ص14

(4) ابن عذاري: المصدر نفسه ،ج1ص16.ويذكر المالكي أن معاوية بن حديج تقلّد ولاية مصر سنة 40هـ وخرج من مصر لغزو إفريقية سنة 45هـ رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية،ط1، نشر حسين مؤنس، طبع مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1951،ج1ص17.

(5) مدينة قديمة بإفريقية تبعد عن القيروان بأربعة وعشرين ميلا، أنظر عن فتحها ووصفها، ياقوت الحموي: معجم البلدان، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت 1375هـ/1956م، ج2ص129. و البكري: المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، مكتبة أمريكا والشرق، باريس، 1965م، ص32

عبد الله بن أبي سرح، بحيث لم تورد الروايات العربية أي إشارة لعقد إتفاقية أو ترك وال أو وضع قاعدة[1].

وما لبث معاوية بن أبي سفيان أن عزل واليه معاوية بن حديج عن إفريقية سنة 50هـ/670م وأقره على مصر فقط ، وجعل ولايتها لعقبة بن نافع الفهري (50هـ-55هـ/670م-674م)[2] الذي بنى مدينة القيروان ومسجدها سنة 55هـ/674م[3].

ثم عزل معاوية بن أبي سفيان واليه معاوية بن حديج عن ولاية مصر وعين مكانه مسلمة بن مخلد الأنصاري، فعين هذا الأخير أبا المهاجر دينار على إفريقية وعزل عقبة بن نافع عنها[4].

وبعد وفاة معاوية بن أبي سفيان سنة 60هـ/680م، أعاد إبنه يزيد (60هـ-63هـ/680م-684م) عقبة بن نافع واليا على إفريقية سنة 62هـ/683م[5]، فشرع عقبة بإتمام فتح المغرب، بعد أن عين زهير بن قيس البلوي على قيادة الجيش، فسار بإتجاه المغرب الأوسط، وتمكّن من فتح عدة مدن منها باغاية[6] بعد قتال شديد مع البيزنطيين؛ ثم زحف على تاهرت القديمة وإستولى عليها، وأتمّ زحفه بإتجاه الغرب، فأخضع مدينة أوليلى بالمغرب الأقصى[7].

---

(1) أحمد بدر: تاريخ المغرب والأندلس، المطبعة الجديدة، دمشق، 1980م، ص22.

(2) ابن الأثير: المصدر السابق، ج3 ص465-466.و ابن العذاري: البيان،ج1ص19

(3) عن بناء مدينة القيروان ومسجدها: انظر، ابن الأثير: المصدر السابق، ج3ص465.وابن عذاري: المصدر السابق،ج1ص19-21.و ياقوت الحموي: المصدر السابق،ج4،ص420-421.

(4) ابن عذاري:المصدر السابق، ج 1ص21. و السلاوي: الإستقصاء،ج1 ص80.

(5) أنظر ولاية عقبة بن نافع الثانية، البلاذري: فتوح البلدان،ص320. وابن الأثير: المصدر السابق، ج4 ص105.وابن عذاري: المصدر السابق، ج1 ص23. و السلاوي: المصدر السابق، ج1 ص81.

(6) ابن حوقل: صورة الأرض، ط2، مطبعة بريل، ليدن 1938م،ص84-85. و البكري: المصدر السابق، ص144-145.

(7) البكري: الصدر السابق، ص66-67. وياقوت الحموي: المصدر السابق، ج2 ص7-19.

وبعد هذه الفتوحات الناجحة، رجع عقبة بن نافع بجيشه إلى المغرب الأوسط. ولمّا وصل إلى طبنة، أمر جيشه بالتقدم في إتجاه القيروان، وفي منطقة تهوذا، وفي هذه المدينة لقي عقبة بن نافع حتفه على يد ملك بربري إسمه كسيلة ملك البرانس [1]، ومني الفتح الإسلامي لإفريقية بنكسة كان يمكن تلافيها لو لم يتسرع عقبة في تسريح جيشه نحو القيروان.

ولمّا علم الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان(65هـ-86هـ/685م-705م) الذي ولي الخلافة سنة (65هـ/684م)[2] بنبأ مقتل عقبة، قرر أخذ الثأر من كسيلة، و إستعادة إفريقية، فأمر زهير بن قيس البلوي الذي كان يراقب تطورات الحوادث من برقة، بالتوجه-على رأس جيش كبير- إلى إفريقية وذلك سنة (69هـ/688م)[3].

وعندما بلغت كسيلة هذه الأخبار، خرج بجيشه من القيروان، إلاّ أن زهيرا لم يدخل إلى القيروان، بل عسكر في ظاهر المدينة، حتى التقى الجيشان في معركة كبيرة إنتهت بإنتصار جيش العرب المسلمين وهزيمة جيش كسيلة الذي قُتل في تلك المعركة[4].

ويظهر أنّ تعاونا كان قد حدث بين كسيلة و البيزنطيين، الذين ما إن بلغهم نبأ رحيل زهير عند برقة حتى قاموا بغزوها بأسطول كبير أقلع من جزيرة صقلية. و اضطر زهير حين سمع الخبر إلى التوجه إليها بجيشه لحمايتها أولا ولصد البيزنطيين عنها.

وقد دفعه هذا إلى الدخول معهم في معركة حاسمة سنة (69هـ/688م) أدت إلى إستشهاد زهير ورؤساء جيشه، ويرجع ذلك إلى عوامل عديدة كان على رأسها كثرة عدد وعدة أفراد الجيش البيزنطي[5].

---

[1] ابن خلدون: العبر، ج4 ص400. وابن عذاري: البيان، ج1 ص31.

[2] ابن الأثير: المصدر السابق، ج4 ص108-109. وابن عذاري: المصدر السابق،ج1 ص31-33.

[3] ابن الأثير: الكامل، ج4 ص108-109. وابن عذاري: المصدر السابق،ج1 ص31-33.

[4] ابن الأثير:، المصدر نفسه ج4 ص109.

[5] ابن الأثير: المصدر السابق،ج4 ص109-110. وابن عذاري: المصدر السابق، ج1 ص33. وابن خلدون: المصدر السابق، ج4 ص400. وابن أبي دينار المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، تحقيق محمد هشام، ط3، نشر مكتبة العتيقة، تونس، 1387هـ/1968م، ص33.

وما إن ورد خبر مقتل زهير بن قيس على الخليفة عبد الملك بن مروان، حتى جهز جيشا كبيرا قوامه أربعين ألف مقاتل ، ووضعه تحت قيادة حسان بن النعمان الغساني وسيره إلى إفريقية سنة 78هـ/697م، وبعد دخوله القيروان سار إلى قرطاجة التي أخذها عنوة بعد فرار البيزنطيين منها إلى صقلية والأندلس[1].

وفي القيروان عِلم حسان أنّ هناك ملكة تسمى الكاهنة يمتد سلطا ا على جبل أوراس، وقيل له "إن قتلتها دان لك المغرب كله، ولم يبق لك مضاد ولا معاند"[2]، وعزم حسان على ملاقا ا، فاتجه إلى جبل أوراس.

ولمّا علمت الكاهنة بقدومه مهدت باحتلال مدينة باغاية ،وهدمتها حتى لا يتحصن ا حسان[3]، إلّا أنّ حسان توجه بجيشه إلى المكان الذي تجمعت فيه جيوش الكاهنة مباشرة على ر مسكيانة حيث دخل الجيشان في معركة حاسمة، جرى فيه قتال شديد كانت نتيجته إنتصار الكاهنة على جيش حسان وهزيمة كبيرة للفاتحين المسلمين، بحيث " أخذت جيوشها بقتل العرب قتلا ذريعا، وأسرت منهم ثمانين رجلا كانوا من أعيان رجال حسان" وطاردت حسان حتى أخرجته إلى قابس[4] ومنها ذهب إلى برقة.

بعد فشل حسان بن النعمان في مواجهته الأولى مع الكاهنة كتب إلى الخليفة عبد الملك يصور له الوضع في المغرب قائلا" إنّ أمم المغرب ليس لها غاية، ولا يقف أحد منها على اية، فكلّما بادت أمة خلفتهم أمم"[5].

---

[1] ابن عذاري: البيان المغرب، ج1 ص34-35.و ياقوت الحموي: معجم البلدان،ج4 ص323.و البكري: المصدر السابق، ص41-43.

[2] ابن عذاري، المصدر السابق، ج1 ص35.

[3] موسى لقبال : المغرب الاسلامي , طبع المؤسسة للفنون المطبعية , الرغاية , ط2 الجزائر 1984م , ص 63

[4] ابن عذاري: البيان، ج1 ص36. أنظر موقع هذه المدينة على الخريطة في صفحة34.

[5] المصدر نفسه، نفس الجزء، نفس الصفحة.

ومع شعور حسان لما ذكر، إلاّ أنه لم يترك المنطقة وبقي في برقة يتحين الفرصة المواتية لأخذ الثأر من الكاهنة، كما كان ينتظر إمدادات الخليفة عبد الملك بن مروان من الأموال والجند.

ولمّا وصلته هذه الإمدادات جهز جيشا إستطاع أن يهزم به جيش الكاهنة، وأخذ يتابعها ويلاحقها حتى أدركها وقتلها[1].

وبوفاة الكاهنة، خفّت حدة مقاومة البربر للفاتحين، وأدركوا- أي البربر- أنّ الفاتحين المسلمين إنما جاؤوا لنشر رسالة الإسلام وسماحته بالدرجة الأولى.

ولمّا أخذوا في التعاون معهم، تأكّدت لهم هذه الحقيقة، وبذلك ساهم البربر إلى جانب العرب في بناء حضارة جديدة على أنقاض حضارة الرومان، وأثبتوا بما قاموا به عكس ما ذهب إليه بعض المؤرخين الغربيين من أنّ العرب المسلمين قدموا إلى بلاد المغرب بغرض النهب والرجوع بالأسلاب والغنائم.

كما أدرك العرب المسلمون أنّ مقاومة البربر سابقا كانت تنبع من حرصهم على الدفاع عن حريتهم و إستقلال بلادهم.

ولكي يثبت حسان بن النعمان للبربر أنّ الفاتحين لم يأتوا لإستعبادهم، جهز جيشا قوامه إثني عشر ألفا من البربر الذين أسلموا، وجعل على رأسه إبني الكاهنة[2]، وبعثه ليجاهد في سبيل الله في شتى أنحاء المغرب، وليدعو من لم يدخل في الإسلام إلى الدين الجديد[3].

---

[1] ابن الأثير: المصدر السابق، ج4 ص372. وابن عذاري: المصدر السابق، ج1 ص38.

[2] أحدهما بربري والآخر يوناني حسب ابن عذاري: البيان، ج1 ص37.

[3] المصدر نفسه، ج1 ص38.

وقد قام حسان بن النعمان في هذه الفترة ببناء مدينة تونس على أنقاض مدينة قرطاجة، ولكنه ما لبث أن عزل بعد وفاة عبد الملك بن مروان سنة (86هـ /705م)[1]، وتولى ابنه الوليد بن عبد الملك (86هـ -96هـ /705م-715م) الذي كتب إلى عمه عبد الله بن مروان في مصر بعزل حسان عن إفريقية و إستخلاف موسى بن نصير، وذلك سنة (86هـ /705م)[2].

وقد أتم موسى بن نصير فتح المغرب، ومن جملة ما فتحه قلعة زغوان ونواحيها[3]، ثم قام بإخضاع السفوح الجنوبية لجبال أوراس، ثم الجنوب الغربي، فأخضع السوس الأدنى حتى درعة وصحراء تافيلالت. ثم إتجه إلى الشمال فضم طنجة[4].

وعندما جاز أحد قواد موسى بن نصير البارزين، وهو طارق بن زياد، إلى الأندلس، بأمر منه، سار موسى في أثره في فترة لاحقة لإتمام الفتح، ثم رجع إلى دمشق بطلب من الخليفة الوليد بن عبد الملك (86هـ -96هـ /705م-715م)، وتوفي هناك في ظروف غامضة سنة (98هـ /716م)[5].

وقد توالى العمال على إفريقية وبقية أرجاء المغرب، حيث ولي بعد موسى بن نصير، محمد بن يزيد القرشي، في عهد سليمان بن عبد الملك سنة (97هـ /715م). وبقي في

---

[1] ابن الآثير: المصدر السابق، ج4 ص372. وابن عذاري: المصدر السابق،ج1 ص41.

[2] ابن عذاري: المصدر السابق، ج1 ص41. والمقري: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق د. حسان عباس، دار صادر، بيروت 1388هـ /1968م، ج1 ص230.

[3] الإدريسي: صفة المغرب وارض السودان ومصر و الأندلس، مطبعة بريل،1968م، ص119. وابن عذاري: المصدر السابقنج1 ص40. وياقوت الحموي: معجم البلدان،ج3 ص144.

[4] ابن عذاري: المصدر السابق، ج1 ص42. و ابن خلدون: العبر، ج4 ص402.

[5] ابن عذاري، المصدر السابق، ج1 ص42. و ابن خلدون: المصدر السابق، ج4 ص402.

منصبه حتى وفاة الخليفة سليمان، فعزل[1]، ثم جاء إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر سنة (99هـ/717م)[2].

ومن أهم ما تم في ولايته تعليم سكان المغرب مبادئ الإسلام، إذ رافقه إليها عشرة من التابعين بأمر من الخليفة عمر بن عبد العزيز(99هـ-101هـ/717م-719م) للقيام بهذه المهمة[3].

وبعد إسماعيل عين يزيد بن أبي مسلم، إلاّ أنّ ولايته لم تدم سوى شهر قتل بعده من قبل البربر الذين سخطوا عليه لإشتهاره بالظلم والتعسف، فولىّ الخليفة يزيد بن عبد الملك(101هـ-105هـ/719م-724م) مكانه بشر بن صفوان، الذي إستمر في عمله إلى حين وفاته سنة (109هـ/727م) في عهد الخليفة هشام بن عبد الملك(105هـ-125هـ/724م-742م)[4].

خلف بشر بن صفوان ، عبيد بن عبد الرحمن السليمي، الذي وصل إلى إفريقية سنة (110هـ/728م)[5] و بقي فيها إلى سنة(117هـ/735م)حيث عزله الخليفة هشام بن عبد الملك، و ولىّ عوضا عنه عبيد الله بن الحبحاب.

ومن الأعمال العمرانية التي قام بها هذا العامل بناؤه للمسجد الجامع ودار الصناعة بتونس[6].

---

(1) ابن الأثير: المصدر السابق، ج5 ص23.و ابن عذاري: المصدر السابق، ج1 ص48.و ابن خلدون: المصدر السابق، ج4 ص403.

(2) ابن عذاري: المصدر السابق، ج1 ص48.و ابن خلدون: المصدر السابق، ج4 ص403.و السلاوي: الإستقصا، ج1 ص46.

(3) ابن عذاري: المصدر نفسه، ج1 ص48.

(4) ابن عذاري: المصدر نفسه، ج1 ص49.و ابن خلدون: المصدر السابق، ج4 ص 403-404.

(5) ابن عذاري:المصدر السابق، ج1 ص50.و ابن خلدون: المصدر السابق،ج4 ص404.

(6) ابن الأثير: المصدر السابق، ج5 ص190. ابن عذاري: المصدر السابق، ج1 ص51.و ابن خلدون: المصدر السابق، ج4 ص404.

وقد عين بن الحبحاب على الأندلس عقبة بن الحجاج وعلى طنجة إبنه إسماعيل، كما أرسل حبيب بن أبي عبيدة إلى المغرب الأقصى، فسار حتى وصل السوس الأقصى وأرض السودان، ورجع ظافرا بالغنائم(1).

وبعد ذلك كلّفه ابن الحبحاب بغزو صقلية سنة (122هـ/739م)، فحاصر سرقوسة حتى صالحه أهلها على الجزية(2).

وما لبثت الخلافة الأموية أن سقطت سنة (132هـ/750م) وقامت مقامها الخلافة العباسية. وكان من نتائج فتح المغرب بالنسبة للفاتحين والسكان المحليين، توسيع أراضي رقعة الخلافة الإسلامية و إنتشار الإسلام واللغة العربية في أوساط السكان المحليين.

وقد واجه الفاتحون المسلمون أثناء فتحهم للمغرب عدة صعوبات منها:

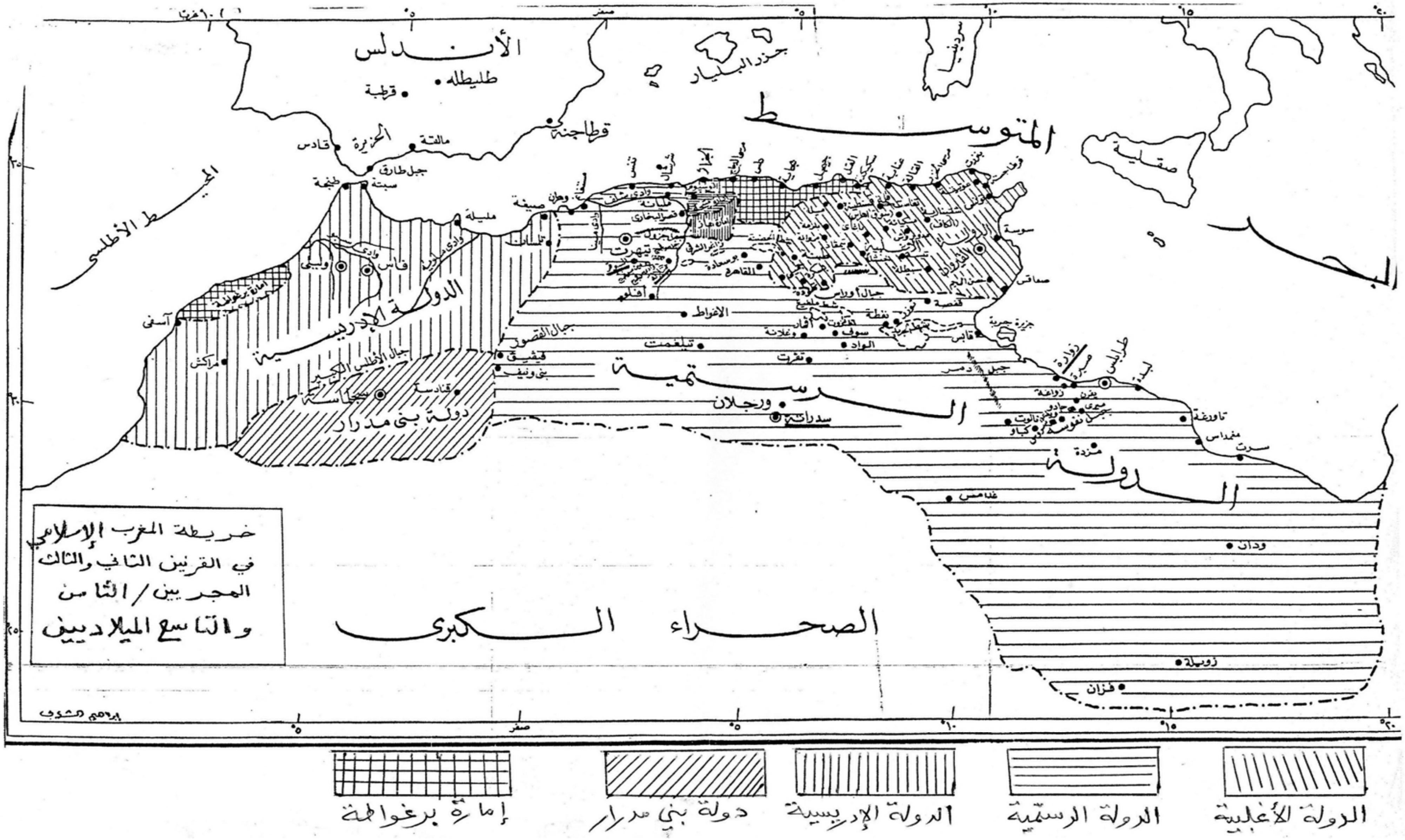
- عدم تقدير السكان المحليين لأهداف الفاتحين المسلمين في الفتح في بداية الأمر، مما جعل عملية الفتح شاقّة، وأخذت فترة زمنية حتى تمكن الفاتحون المسلمون من إرساء قواعد الفتح فيها.

- تدخل البيزنطيين المستمر وتحريض حكام المنطقة على الخروج عن طاعة الفاتحين المسلمين.

---

(1) ابن الأثير المصدر السابق،ج5 ص190-191.و ابن خلدون:المصدر السابق،ج4 ص404.

(2) ابن الأثير: المصدر السابق، ج5 ص191.و ابن أبي دينار: المؤنس، ص41.و ابن خلدون: المصدر السابق، ج4 ص404-405.



خريطة المغرب الإسلامي
في القرنين الثاني والثالث
الهجريين / الثامن
والتاسع الميلاديين
الأندلس
البحر المتوسط
المحيط الأطلسي
الصحراء الكبرى
الدولة الإدريسية
الدولة الرستمية
دولة بني مدرار
صقلية
جزر البليار
سردينيا
طليطله
قرطبة
قرطاجنة
مالقة
الجزيرة
قادس
جبل طارق
سبتة
طنجة
مليلة
فاس
وليلى
تلمسان
وهران
تيهرت
الأغواط
تبلغمت
ورجلان
سدراتة
تقرت
سجلماسة
فيقيق
آسفي
مراكش
قفصة
قابس
نفطة
سوسة
صفاقس
القيروان
طرابلس
زوارة
صبرة
لبدة
جبل نفوسة
تاورغة
سرت
غدامس
ودان
زويلة
فزان
إمارة برغواطة
دولة بني مدرار
الدولة الإدريسية
الدولة الرستمية
الدولة الأغلبية

• قيام دولة الأغالبة : (184هـ/800م)

لمّا إنتقلت الخلافة إلى أسرة بني العباس سنة(132هـ/750م)، شهد المغرب كثيرا من الحوادث الهامة، فقد كان مذهب الخوارج قد إنتشر في أوساط السكان المحليين، و لموافقة مبادئ الخوارج المتمثّلة في المساواة والشورى، لميول البربر في الإستقلال والتحرر، وخاصة حين أخذوا – أي البربر- يعانون من تعسف الولاة وزيادة الجبايات.

ووجد -أي البربر- في هؤلاء الخوارج ، و ماجاؤوا به من مبادئ الثورة والتمرد على السلطة الحاكمة، فرصة للقيام بعدة ثورات، منها الثورة التي بدأت باغتيال سكان إفريقية لوالي طنجة عمر بن عبد الله المرادي، بقيادة ميسرة المطغري، الذي استولى على تلك المنطقة سنة (122هـ/740م) وعين مكانه أحد الخوارج وهو عبد الله بن جريج الإفريقي[1].

وكان لبعد المغرب عن سلطة الخلافة العباسية، إضافة إلى تقبل البربر لمبادئ الخوارج ورغبتهم في التخلص من ربقة السلطة العباسية ، أن تأسست في هذه الفترة دول مستقلة عن الخلافة العباسية، هي الدولة الرستمية الإباضية في تاهرت، ودولة بني مدرار الصفرية في سجلماسة، والدولة الأغلبية في تونس، والدولة الإدريسية في المغرب الأقصى.

وسنتناول ظروف تأسيس الدولة الأغلبية ومتابعة تطورها حتى سقوطها. وليس الغاية إعطاء معلومات موسعة عن هذه الدولة وإنما الغاية من ذلك التعرف على الوضع العام لهذه الدولة، حتى تصبح الصورة واضحة حين نعرض لمنجزا ا العلمية.

فقد كانت إفريقية مصدر متاعب للخلافة العباسية لكثرة الفتن والثورات فيها. وكانت تكلف الخلافة مائة ألف دينار كل سنة [2]، تدفع لسد نفقا ا من إيرادات مصر. وقد كلف الخليفة هارون الرشيد (170هـ-193هـ/874م-909م) قائده هرثمة بن أعين بولاية إفريقية وقيادة جيشها سنة(179هـ/795م) معلى أن يعمل على إخماد الفتن التي كانت قائمة ا.

---

(1) ابن عذاري: البيان المغرب، ج1 ص52. و ألفرد بل: الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي، ترجمة عبد الرحمن بدوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981م، ص147-148.

(2) ابن الأثير: المصدر السابق، ج6 ص155.

وعلى الرغم من بقائه سنتين ونصف في ولايته [1]، إلاّ أنه لم يستطع القضاء على الفتن فيها، فأعفاه هارون الرشيد وطلب منه القدوم إلى العراق[2]. و عين مكانه محمد بن مقاتل العكي سنة (181هـ/797م) وهو رضيع الرشيد، و ابن أحد كبار رجال الدولة العباسية، غير أنّ هذا الوالي سرعان ما خلع من منصبه، نتيجة سوء تصرفه وعدم إكتسابه لمحبة الأهالي الذين قابلوه بثورة جمعت البربر والعرب حتى أبعدوه من القيروان[3].

و في الوقت الذي كان فيه محمد بن مقاتل العكي واليا على إفريقية، كان إبراهيم بن الأغلب واليا على منطقة الزاب[4]، وكان على دراية بظروف إفريقية وطبيعة الثورات في تلك البلاد، فوجد في نفسه المقدرة على توليتها وإخماد ثورا ا.

لذلك" كتب إلى الرشيد يطلب منه ولاية إفريقية"[5]، وتعهد بأن يمد بيت مال المسلمين في بغداد بأربعين ألف دينار سنويا، مستغنيا بذلك عن الأموال التي كانت تدفعها الخلافة إلى إفريقية، فإستشار الخليفة هارون الرشيد كبار رجالاته فيما طلب منه ابن الأغلب، فنصحه قائده هرثمة بن أعين بقبول تولية ابن الأغلب لمعرفته بأحوال المغرب، فولاه الرشيد عليها في المحرم سنة (184هـ/800م)[6].

وبإعتلاء إبراهيم بن الأغلب دفّة الولاية ولدت دولة الأغالبة ، ولعلّ هارون الرشيد كان يرى أنّ تقوية مركز بن الأغلب يساهم على القضاء على الفوضى ، ويوجد قوة تستطيع أن تقف في وجه الأدارسة المخالفين للعباسيين في المذهب.

---

(1) السلاوي: المصدر السابق،ج1 ص181.

(2) ابن الأثير، المصدر السابق، ج6 ص139.

(3) عبد العزيز الثعالبي:تاريخ شمال إفريقية، من الفتح الإسلامي إلى اية الدولة الأغلبية، جمع وتحقيق الدكتور احمد بن ميلاد والأستاذ محمد إدريس، دار الغرب الإسلامي،ط1، بيروت، لبنان،1407هـ/1987م، ص197.

(4) منطقة الزاب:تشمل بسكرة و قسنطينة و توزر و طولقة و قفصة و نفطة، ياقوت : معجم البلدان، ج2 ص124.

(5) ابن الأثير: المصدر السابق،ج6 ص155.

(6) الطبري: تاريخ الرسل و الملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، د.ت، ج8 ص272.و ابن الأثير: المصدر السابق،ج6 ص155، .ود.حسن إبراهيم حسن :تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي و الإجتماعي، مكتبة النهضة المصرية، ط7،القاهرة،1964م، ج2 ص180.

كان الأغالبة في البداية ولاّة تابعين للعباسيين، يأتمرون بأمرهم، وكانوا في البداية يدفعون لهم كمية من المال تعبيرا عن هذا الولاء. كما كانوا يلبسون السواد شعار العباسيين ويستخدمونه في خلعهم ورايا م[1].

ومن الأعمال التي قام ا إبراهيم بن الأغلب بناؤه لمدينة العباسية، التي تعرف أيضا بالقصر القديم، على بعد ثلاثة أميال من القيروان وإتخذها عاصمة لدولته[2].

وقد واجه ابن الأغلب عدة ثورات، منها الثورة التي تزعمها حمديس القيسي في تونس سنة (186هـ/802م)، فجهز ابن الأغلب جيشا بقيادة عمران بن مخلد، وواجه به حمديس، واستطاع عمران أن يلحق الهزيمة بحمديس ويقتل عشرة ألاف من جيشه [3].

وفي عام(189هـ/805م) شبت ثورة أخرى في طرابلس، طرد السكان أثناءها الحاكم الأغلبي سفيان بن المضاء، وأرغموه على الرجوع إلى القيروان، ثم اجتمعوا على تولية إبراهيم بن سفيان التميمي عليهم، إلاّ أنه لم يستطع توفير الأمن والاستقرار في المنطقة وبالتالي لم تخمد الثورة إلاّ في سنة 194هـ/809م حينما أرسل إبراهيم بن الأغلب جيشا قضى عليها[4].

ورغم ذلك فلم دأ الفتن في طرابلس، الأمر الذي دفع إبراهيم إلى تولية إبنه عبد الله عليها. وعند إستلام هذا الأخير مقاليد الأمور ا، واجه ثورات البربر وأرغم على الخروج من المدينة[5].

ولمّا ولىّ إبراهيم بن الأغلب سفيان بن المضاء مرة أخرى على طرابلس، واجه ثورة قبيلة هوارة عليه، وقد دخل هؤلاء مدينة طرابلس وهدموا أسوارها. وبعد هذا جهز إبراهيم بن الأغلب

---

(1) أحمد بدر: تاريخ المغرب و الأندلس، ص47.

(2) المرجع نفسه، ص64.

(3) ابن الأثير: المصدر السابق، ج6 ص156.

(4) المصدر نفسه، ج6 ص 270-296.

(5) المصدر نفسه، ج6 ص 132.

جيشا قوامه ثلاثة عشر ألف فارس بقيادة إبنه عبد الله وأرسله إلى طرابلس، فحاصر تلك الثورة وأخمدها، ودخل طرابلس وأعاد بناء سورها[1].

وبعد ذلك واجه عبد الله الخوارج القادمين من تاهرت بقيادة الإمام عبد الوهاب، ودخل معهم في حرب، حتى توفي أبوه إبراهيم بالقيروان سنة 196هـ/812م[2]، فآل إليه حكم الإمارة، ووجد من مصلحته مهادنة عبد الوهاب، فتنازل له عن ولاية طرابلس ما عدا المدينة كما تنازل له عن منطقتي قسطيلية وجربة[3].

ولماّ عاد عبد الله من طرابلس، كان أخوه زيادة الله الأول يقوم بإدارة شؤون الدولة نيابة عنه فتسلّم زمام أمور إفريقية منه[4].

وقد ضلّ عبد الله على رأس الإمارة إلى أن توفي سنة 201هـ/816م، فتولّى أخوه زيادة الله الأول(201هـ-223هـ/816م-837م)، وكان عهده مليئا بالفتن والثورات، نتيجة ظلمه وسوء معاملته للرعية ومن ذلك أنه "أغلظ على الجند وأمعن في سفك دمائهم، والإستخفاف بهم"[5].

وفي عهده فتحت جزيرة صقلية سنة 212هـ/827م، من قبل القاضي أسد بن الفرات الذي ولاّه زيادة الله قيادة الجيش، إذ خرج أسد مع أشراف إفريقية من العرب والبربر و الأندلسيين "فساروا إلى حصون الروم و مد م، فأصابوا سبيا كثيرا، ونزل القاضي أسد ومن معه على مدينة سرقوسة، وحاصرها برا وبحرا، وأحرق مراكبها"[1].

---

(1) عبد العزيز الثعالبي، تاريخ شمال إفريقيا، ص209.

(2) ابن الأثير، المصدر السابق،ج6 ص270.و ابن الخطيب: أعمال الإعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط،تحقيق د. أحمد مختار العبادي و الأستاذ محمد إبراهيم الكتاني،نشر دار الكتاب، الدار البيضاء،1964م، ص15.

(3) أنظر دائرة المعارف الإسلامية، ج1 ص37، ترجمة إبراهيم بن الأغلب.

(4) ابن عذاري، المصدر السابق،ج1 ص95.

(5) المصدر نفسه،ج1 ص96.

(1) ابن عذاري، البيان، ج1 ص102-103.

وبسقوط صقلية بيد الأغالبة في هذه الفترة أصبحت قاعدة للأغالبة ينطلقون منها للإغارة على حصون البيزنطيين، حتى مجيء أبي عبد الله الشيعي واستيلائه على ملك الأغالبة.

ولمّا توفي زيادة الله الأول سنة 223هـ/837م تولّى أخوه أبو عقال الذي إهتم بشؤون رعيته، وعمل على سيادة الأمن، وتمسك بأهداف الدين "فأجرى على العمال أرزاقا واسعة وصلات جزلة، وقبض أيديهم على الرعية، وقطع النبيذ عن القيروان، وعاقب على بيعه وشربه"[2].

وبوفاة أبي عقال سنة 226هـ/840م، تولّى الحكم من بعده إبنه أبو العباس محمد بن الأغلب الذي ساد عهده ثورات كثيرة كانت أخطرها محاولة أخيه أحمد اغتصاب الإمارة سنة 232هـ/846م، إلاّ أن محمدا إستطاع تقويض محاولته ونفيه إلى المشرق، فمات بالعراق[3].

وعندما توفي أبو العباس محمد بن الأغلب سنة 242هـ/856م، خلفه في الحكم إبنه أبو إبراهيم أحمد بن محمد، وكانت فترة حكمه قصيرة، إذ توفي سنة 249هـ/863م، ومن أعماله أنه "زاد الزيادات بجامع القيروان، والمسجد الجامع بتونس، وبنى سور سوسة"[4].

خلف أبا إبراهيم في الحكم أخوه زيادة الله الثاني بن محمد، إلاّ أنه توفي بعد سنة واحدة من حكمه،أي في سنة 250هـ/864م، فتولىّ الحكم من بعده ابن أخيه محمد الثاني بن أحمد الذي لقّب بأبي الغرانيق، فكان "مسرفا في العطاء، مع حسن سيرة في الرعية، ثم غلبت عليه اللّذات والإشتغال ا، فلم يزل كذلك طول مدته، ولم تكن له همّة في جمع مال"[1]. وفي عهده تواصلت الفتوحات في جزيرة صقلية، وتوالي الولاّة عليها[2].

---

[2] المصدر نفسه،ج1 ص107. وابن الخطيب: أعمال الإعلام،ص20.

[3] المصدر نفسه،ج1 ص 108-109.

[4] ابن عذاري: المصدر السابق ،ج1 ص113. وابن الخطيب:المصدر السابق، ص23.

[1] ابن عذاري،المصدر السابق،ج1 ص114.

[2] أنظر عن هذه الفتوحات، ابن عذاري، المصدر نفسه،ج1ص.

ولمّا توفي محمد الثاني سنة 261هـ/874م، تولّى الحكم أخوه إبراهيم الثاني، وكانت فترة حكمه من أطول فترات حكم الأمراء الأغالبة. وقام بأعمال هامة، منها بناؤه لمدينة رقادة[3] سنة 263هـ/876م، كما فتحت سرقوسة وسقطت في أيدي الفاتحين المسلمين سنة 274هـ/878م[4].

كانت وفاة إبراهيم الثاني سنة 289هـ/901م، فتولى الحكم بعده إبنه أبو العباس عبد الله ابن إبراهيم، إلاّ أنّ فترة حكمه لم تدم سوى بضعة أشهر قتل بعدها سنة 290هـ/902م على يد بعض غلمانه[5]، فخلفه ابنه زيادة الله الثالث(290هـ-296هـ/903م-909م) الذي كان آخر أمراء الأغالبة.

وفي عهده سقطت الدولة الأغلبية على يد أبي عبد الله الشيعي(ت298هـ/911م)، الذي دخل مدينة رقادة سنة 296هـ/908م، بعد معركة جمعت جيش زيادة الله الثالث وجيش أبي عبد الله الشيعي الذي بلغ عدده مائة ألف رجل على رأي المصادر[6].

ومن المعروف أن الخلفاء العباسيين أقاموا دولة الأغالبة لتعمل على القضاء على دولة الأدارسة أو على أقل تقدير لتكون فاصلا بين بلادهم وبلاد دولة الأدارسة في المغرب الأقصى، ولكنهم لم يستطيعوا تحقيق هذه المهمة ، إذ بقيت دولة الأدارسة، وكذلك الدول المستقلة الأخرى عن الخلافة العباسية قائمة.

ومع هذا فإنّ الدولة الأغلبية في أواخر أيامها كانت مستقلّة إستقلالا يكاد يكون تاما عن الخلافة العباسية في المشرق، بحيث لم تعد التبعية للخلافة إلاّ بالإسم، إذ كان إسم الخليفة يذكر على المنابر فقط، بالإضافة إلى دفع مقدار من المال سنويا إلى بيت المال ببغداد.

---

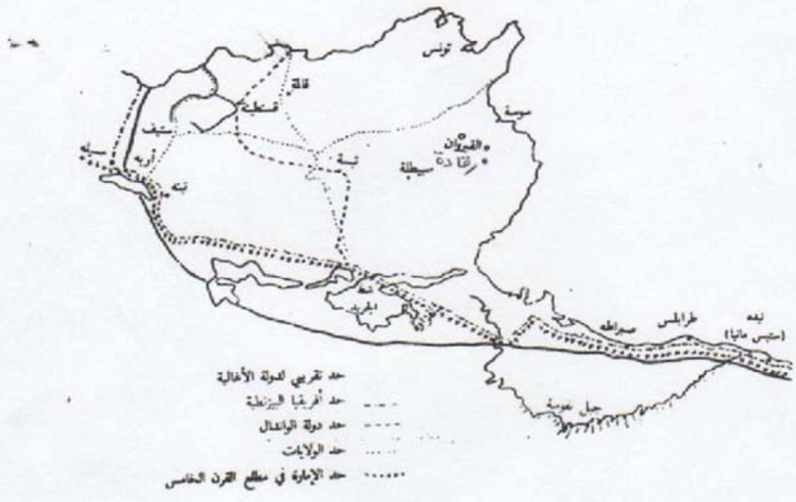
[3] مدينة تقع على بعد ثمانية أميال جنوب القيروان،أنظر بشأ ا، البكري: المغرب،ص27. و أنظر موقعها على الخريطة في الصفحة الموالية.

[4] ابن عذاري: المصدر السابق، ج1 ص117- 118. و ابن الخطيب: المصدر السابق،ص27-28.

[5] ابن الخطيب: المصدر السابق، ص 37.

[6] ابن عذاري: المصدر السابق، ج1 ص318. و ابن الخطيب: المصدر السابق،ص37-42.

خريطة الإمارة الأغلبية[1]



(1) محمد الطالبي، الدولة الأغلبية، ص43.

ويتبين لنا مما ذكرناه أنّ إفريقية قد عرفت الإرهاصات الأولى للثقافة مع طلائع الفاتحين والتابعين الأوائل، و إلى تأسيس القيروان من قبل عقبة بن نافع، ولجهود حسان بن النعمان وموسى بن نصير في نشر اللغة العربية وتثبيت الإسلام في نفوس سكان المغرب، حتى بدأت تتبلور

ثقافة علمية مع اية القرن الأول الهجري وبداية الثاني /السابع الميلادي وبداية الثامن ، خاصة مع بعثة عمر بن عبد العزيز الفقهية إلى إفريقية.

ثانيا:الأوضاع العلمية العامة في إفريقية خلال القرن الأول الهجري/السابع الميلادي.

قبل التطرق إلى الحياة العلمية في عصر الأغالبة لابد أن نبين ملامح الأوضاع العلمية التي عرفتها إفريقية خلال القرن الأول الهجري/ السابع الميلادي، قبل قيام دولة الأغالبة.

فكانت العلوم التي سادت إفريقية خلال هذه الفترة مرتبطة ارتباطا كبيرا بالدين الإسلامي، حيث كانت الثقافة التي أتى ا المسلمون إلى المغرب حاوية للتراث العربي الإسلامي من قرآن و حديث وأقوال الصحابة, اضافة الى اللغة و الشعر.

نتلمس ذلك في الوصية المنسوبة لعقبة بن نافع لأولاده قبل إنطلاقه إلى غزوته الكبرى سنة (63هـ /682م) في المغرب ، إذ يقول فيها:" يا بني أوصيكم بثلاث خصال فإحفظوها، ولا تضيعوها : إياكم أن تملؤوا صدوركم بالشعر وتتركوا القرآن، فإنّ القرآن دليل على الله عز وجلّ، وخذوا من كلام العرب ما يهتدي به اللّبيب، ويدلّكم على مكارم الأخلاق، ثم إنتهوا عما وراءه"[1].

وقد أسدى موسى بن نصير أوامره إلى العرب في جيشه أن يقوموا بتعليم المغاربة القرآن وتفقيههم في الدين الجديد الذي كانوا لا يزالون على بداية العهد به. وبخصوص الناس خارج الجيش فقد ترك فيهم سبعة عشر رجلا يعلّمو م القرآن وشرائع الإسلام[2].

وكما أدت هذه الثقافة التي حملها الفاتحون للمغرب، إلى دخول السكان المحليين على إثرها في الإسلام.

وطبيعي أن يكون هناك إتصال بين الطرفين لنقل هذه الثقافة، وكان الجيش أول هذه الإتصالات بحيث التحق به كثير من المغاربة، فقد وفد على معسكر حسان كثير من جيش الكاهنة

---

(1) المالكي: رياض النفوس في طبقات علماء القيروان و إفريقية، ط1، نشر حسين مؤنس، طبع مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1951، ج1 ص22.

(2) أحمد بدر: هجرة الثقافة من المشرق إلى المغرب في القرن الثاني للهجرة، مجلة دراسات تاريخية، العدد الثامن، 1982، ص 78 .

بعد هزيمتها، وفي ذلك يقول ابن عذاري:" كان مع حسان جماعة من البربر إستأمنوا إليه فلم يقبل أما م إلاّ أن يعطوه من قبائلهم إثني عشر ألفا يجاهدون مع العرب، فأجابوه وأسلموا على يديه، فعقد لولدي الكاهنة، لكلّ واحد منهما على ستة ألاف فارس وأخرجهم مع العرب يجولون في المغرب يقاتلون الروم البيزنطيين ومن كفر من البربر"[1].

وأثناء تولية عمر بن عبد العزيز الخلافة (99 هـ-101هـ/717م-719م) إنتهج سياسة إسلامية دف إلى نشر الإسلام وإدخال رعيته كلهم في رحابه، لذلك بادر إلى تعيين والٍ على إفريقية يثق به، هو إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر، وجعله حكما بين أهاليها، يحكم بينهم بكتاب الله عز وجل وسنة نبيه (صلى الله عليه وسلم) [2]، وجعله أيضا على رأس بعثة علمية مكونة من عشرة فقهاء ، بعثها الخليفة عمر بن عبد العزيز لتفقيه البربر، وكان أشهر هؤلاء العشرة:

- عبد الله بن يزيد المعافري (ت100هـ/718م)، الذي روى عن جماعة من الصحابة، منهم ابي أيوب الأنصاري، وعبد الله بن عمرو، وعقبة بن عامر، وفضالة بن زيد الأنصاري[3] "فانتفع به أهل إفريقية (تونس) وبث فيها علما كثيرا"[4].

---

(1) أنظر، البيان: ج1 ص38.

(2) حسين مؤنس: فتح العرب للمغرب، نشر مكتبة الآداب، مطبعة مصر،د.ت، ص295. و يبدو أنّ السياسة التي سلكها الخليفة سليمان في إفريقية لم ترق الخليفة عمر بن عبد العزيز، لذلك عزل واليه محمد بن يزيد القرشي و ولّى مكانه إسماعيل ابن عبيد الله بن أبي مهاجر.

(3) المالكي: المصدر السابق، ج1 ص64.و الدباغ: معالم الإيمان في معرفة اهل القيروان، المطبعة العربية التونسية، 1320هـ/1902م ، ج1 ص139.

(4) المالكي: المصدر السابق، ج1 ص65.و حسن حسني عبد الوهاب: ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية التونسية، القسم الثالث، نشر مكتبة المنار، تونس،1972، ص36-37.

- وعبد الرحمان بن رافع التنوخي (ت113هـ/731م) الذي روى عن عبد الله بن عمر ابن الخطاب وعن بعض الصحابة، وهو أول من ولاّه الأمير موسى بن نصير منصب القضاء بالقيروان [1].

- وأبو مسعود سعد بن مسعود التجيبي الذي صحب جماعة من الصحابة وروى عنهم كأبي الدرداء وغيرهم، وقدا انتفع به أهل القيروان في فقه الدين الإسلامي[2].

- وأبو سعيد جعثل بن عاهان بن عمير، وكان أحد الفقهاء العشرة التابعين، وقد ولي قضاء الجند بإفريقية لهشام بن عبد الملك (105هـ-125هـ/724م-743م) ، وكان قد أرسله الخليفة عمر بن عبد العزيز إلى المغرب ضمن الفقهاء العشرة. وقد روى عنه من المغاربة بكر بن سوادة وبن زحر وبن أنعم[3].

- وحبان بن أبي جبلة القرشي (ت125هـ/742م)، وقد روى عن جماعة من الصحابة منهم عبد الله بن عباس وعمرو بن العاص وولده عبد الله. و روى عنه أهل إفريقية كعبد الرحمان بن زياد بن أنعم وأبو شيبة عبد الرحمان بن يحي الصدائي وعبد الله بن زحر[4].

- وأبو ثمامة بكر بن سوادة الجذامي (ت128هـ/745م) وقد روى عن بعض الصحابة كعقبة بن عامر وسهل بن سعد الساعدي، وسفيان بن وهب الخولاني، و أبي ثور الفهري[5].

---

(1) حسن حسني عبد الوهاب: المرجع نفسه، ص37.

(2) المالكي: المصدر السابق، ج1 ص66-67.

(3) المالكي: المصدر نفسه، ج1 ص75. والدباغ: المصدر السابق، ج1 ص153.

(4) المالكي: المصدر نفسه، ج1 ص73.

(5) المصدر نفسه،ج1 ص74 . والدباغ: المصدر السابق، ج1 ص160.

ويمكن تلخيص ما ذكرناه عن هؤلاء الفقهاء في الجدول الآتي:

بعثة الفقهاء التابعين العشرة إلى افريقية من قبل عمر بن عبد العزيز[(1)].

أسماء الفقهاء التابعين	دورهم العلمي بإفريقية
1- أبو عبد الرحمان الجبلي (ت100هـ /718م)	انتفع به أهل إفريقية وبث فيها علما كثيرا.
2- أبو مسعود سعد بن مسعود التجيبي (توفي في خلافة هشام بن عبد الملك في القيروان).	ساهم في تفقيه أهل القيروان منهم عبد الرحمان ابن زياد بن أنعم.
3- إسماعيل بن عبيد الأنصاري (ت107هـ /725م).	بث العلم بالقيروان وانتفع به خلق كثير من أهلها منهم: بكر بن سوادة الجذامي وابن أنعم.
4- عبد الرحمان بن رافع التنوخي (ت113هـ /731م).	إنتفع به خلق كثير وهو أول من استقضي بالقيروان.
5- موهب بن حي المعافري	بث العلم بالقيروان
6- حبان بن أبي جبلة القرشي (ت125هـ /745م)	انتفع أهل القيروان بعلمه، وروى عنه ابن أنعم وأبو شيبة عبد الرحمان بن يحي الصدائي وغيرهم.
7- بكر بن سوادة الجذامي (ت128هـ /745م)	كان فقيها، وسكن بالقيروان.
8- إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر القرشي (ت132هـ /749م)	علّم أهل القيروان السنن وأسلم على يديه خلق كثير.
9- أبو سعيد جعثل بن عاهان (ت115هـ /733م)	روى عنه عبد الله بن زحر وابن أنعم.
10- طلق بن حابان.	روى عنه موسى بن علي وعبد الرحمان بن زياد بن أنعم.

(1) المالكي: رياض النفوس،ج1 ص65-117. والدباغ، المعالم، ج1 ص 139-223.

وسار والي إفريقية إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر سيرة خليفته ورجاله العشرة " فكان خير أمير وخير وال. وما زال حريصا على دعاء البربر إلى الإسلام حتى أسلم بقية البربر بإفريقية على يديه، في خلافة عمر بن عبد العزيز، وهو الذي علّم أهل إفريقية الحلال والحرام"[1].

وقد وضح المؤرخ السلاّوي ذلك بقوله : " ولم يزل حريصا على دعاء البربر إلى الإسلام حتى تم دينهم على يديه"[2].

وكل هذا يدل على أنّ الإسلام عرف بالمغرب إنتشارا واسعا ، لم تعرف البلاد الأخرى مثيلا له، حتى أنه شمل الوثنيين في مدة لا تزيد عن ثلث قرن[3].

إذ يرى أحمد بدر أنّ الإسلام كان أقل تسامحا مع الوثنيين، وبالتالي كان إسلامهم بمثابة إستسلام، بحيث لم يتبعه فهم عميق، حتى أنّ إفريقية وهي أول البلاد فتحا، ظلّت حتى اية القرن الأول الهجري/السابع الميلادي غير متقيدة بأوامره ونواهيه[4].

وفي ذلك يقول ابن عذاري :" وكانت الخمر بإفريقية حلال حتى وصل هؤلاء التابعون فبينوا تحريمها"[5]، فكان تحريم الخمر بإفريقة بعد فترة من دخول الإسلام إليها، وبعد وصول التابعين.

وهكذا فإن كل فقيه أو حافظ للقرآن إستقر به المقام في القيروان وغيرها من حواضر المغرب، نشط في التعليم، وجد في تحفيظ القرآن و أحاديث الرسول- صلى الله عليه وسلم- في وسط السكّان المحليين، ولذلك لم تمض فترة وجيزة على الفتح حتى أصبح الكثير من المغاربة متفقهين في الدين الإسلامي.

---

(1) ابن عذاري: البيان،ج1 ص48. والمالكي: المصدر السابق، ج1 ص75.و

Jamil Abu NASR: A History of Maghrib, Cambridge at the University Press.1971,p:71.

(2) السلاّوي: الإستقصاء، ج1 ص90.

(3) أحمد بدر: هجرة الثقافة، العدد الثامن،ص83.

(4) المرجع نفسه، ص83.

(5) ابن عذاري: البيان، ج1 ص48.

ويمكن القول أنّ العلوم التي جاء ا هؤلاء التابعون والعلماء الأوائل إلى المغرب وبثّوها في أوساط المغاربة بعد الفتح، كانت نواة لنشوء العلوم المتعددة وخاصة منها العلوم الدينية، وهذا بعد إنتشار المذاهب الفقهية في أوساطهم.

ثالثا: الأوضاع السياسية والعسكرية للدولة الأغلبية (184هـ-296هـ/800م-909م).

كانت الخلافة العباسية في هذه الفترة تميل أكثر إلى إستخدام السياسة منها إلى القوة في بلاد المغرب، وكانت تعمل جاهدة للاحتفاظ بهذه الولاية البعيدة. لذلك وضعت ثقتها في حاكم طيع لها و يورث الحكم لأبنائه.

فقد عبر إبراهيم بن الأغلب وخلفاؤه من بعده عن هذه التبعية بإستخدام السواد شعار العباسيين في الخلع والطراز والرايات، وبدفع كمية من المال[1].

وكان الأغالبة يحصلون مقابل ذلك على شرعية حكمهم، وتوارثوا الحكم وتعاقب عليه أحد عشر أميرا من الأسرة دون تدخل من الخلفاء العباسيين إلاّ في حالات خاصة، حينما كانوا يتدخلون لدعم أمير في حالة خطر أو تقديم المساعدة حين حدوث كوارث أو المساهمة في أعمال البر[2].

ولهذا وجدنا الخليفة المعتضد بالله (279هـ-289هـ/892م-902م) يتدخل في عهد الأمير إبراهيم الثاني (261هـ-280هـ/875م-902م) الذي أمعن في سفك دماء رعيته وحتى أهله حين إنتابته حالة نفسية، فورد إليه كتاب الخليفة يعنفه فيه مثلما جاء في قول ابن عذاري يقول له فيه " إن انتهيت عن أخلاقك هذه، وإلاّ فسلّم العمل الذي بيدك لإبن عمك محمد بن زيادة الله"[3].

ولم يسمع الأمير لكلام الخليفة بل أنه أقدم على قتل ابن عمه. وبعد ست سنوات تنازل لإبنه عن الحكم، وهو تنازل لم يكن إستجابة لطلب الخليفة. كما أنّ تدخل الخليفة لم يكن تدخلا

---

(1) أحمد بدر: تاريخ المغرب و الأندلس، المطبعة الجديدة، دمشق، 1980م، ص47. و قد قدر ابن الأثير هذه الكمية من المال بـ 40000 دينار، أنظر، الكامل، ج6، ص 155.

(2) أحمد بدر: المرجع السابق، ص48.

(3) ابن عذاري: المصدر السابق، ج1 ص129.

في شؤون وحقوق العائلة، وإنما كان بمثابة نصيحة، لأنّ الخليفة لم يقدم على أي شيء عندما تجاهل الأمير أمره[1].

لقد كان الأغالبة يتوارثون الحكم مثل الأسر الإسلامية الحاكمة، حيث كان التوارث منحصرا ضمن أفراد العائلة، وغير مقيد بنظام معين.

فكثيرا ما كان الحكم ينتقل من الأب إلى الإبن، وأحيانا من الأخ إلى أخيه، وأحيانا أخرى من العم لابن أخيه، لذلك كثيرا ما كان يقع نزاع على العرش خاصة في أواخر أيام هذه الأسرة، فعندما قتل أب زيادة الله الثالث وآل إليه الحكم جمع أعمامه وقتلهم[2].

لقد وقفت عدة عناصر في وجه الأغالبة، خاصة عنصر العرب المشارقة الذين ثاروا ضد الحكّام الأغالبة.

لكن الفئة التي وقفت أكثر في وجه الأغالبة وأثارت في وجههم القلاقل و الاضطرابات هي فئة الجند التي خلقت مصاعب للولاّة قبل وصول الأغالبة، وكان لهم دور فاعل في جلوس إبراهيم بن الأغلب على كرسي الإمارة، لكنه عندما تسلّم الحكم إحتاط منهم بأن إشترى الكثير من العبيد السود وعلّمهم إستخدام السلاح وجعلهم حرسه الخاص[3].

ولم تمض أكثر من سنة حتى فرغ من بناء مقر جديد له لا يبعد عن القيروان إلاّ بحوالي ثلاثة أميال سماه العباسية، وقد غلبت عليه إسم مدينة القصر القديم نسبة لرقادة التي بنيت فيما بعد "ونقل إليه السلاح والعدد سراً، وسكّن حوله عبيده وأهل الثقة به من خدمته" ، وأقدم على هدم قصر الإمارة القديم في القيروان[4].

---

(1) أحمد بدر: تاريخ المغرب،ص48.

(2) ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ص20-23.

(3) أحمد بدر: المرجع السابق، ص50.

(4) ابن عذاري: المصدر السابق، ج1 ص92-93. و الحميري: الروض المعطار،ص473

واستطاعت هذه الإجراءات أن تحقّق بعض الحماية للأمير من تهديد الجند له في العاصمة، إلاّ أنه لم يسلم من ثورات الجند المندلعة من تونس والتي كان سببها غالبا نتيجة لتأخر أرزاق هؤلاء الجند بالإضافة إلى أطماع القادة[1].

ومن الثورات التي قامت ضد زيادة الله الأول ثورة منصور بن نصير الطنبذي سنة(209 هـ/824م) ، وكانت على درجة من الخطورة، حيث إستطاعت أن تسيطر على القيروان بعد إنتقال قواتها من تونس[2]، وتجرد زيادة الله من إفريقية، حيث لم يبق له إلاّ الساحل الجنوبي إلى طرابلس.

ولم يوفّق زيادة الله في مواجهتهم إلاّ عندما إستعان بالمغاربة من نفزاوة، بالإضافة إلى العبيد السود الذين كانوا يشتغلون لديه في الزراعة. ورغم ذلك لم يتم الإنتصار عليهم إلاّ عندما دب الانقسام في صفوفهم[3].

وكانت نهايتهم على يد الأمير الأغلبي إبراهيم الثاني (261هـ-289هـ/875م-902م)، حين إستقدم جماعات من جند حصن بلزمة في الجنوب الغربي من البلاد ، وهم من قبائل قيس وبني مالك، وهم العشيرة التي ينتمي إليها الأغالبة[4].

إلاّ أنّ إبراهيم، بعد قضائه على هؤلاء الجند، إستقدم إلى مدينته الجديدة رقادة ما يربوا على ألف من رجال بلزمة وأجهز عليهم جميعا.

وفي ذلك يقول ابن عذاري :" وكان ذلك من أسباب انقطاع دولة بني الأغلب، إذ كان أهل بلزمة في نحو ألف رجل من أبناء العرب والجند الداخلين إلى إفريقية عند افتتاحها وبعده،

---

(1) أحمد بدر: المرجع السابق، ص51.

(2) الدباغ: معالم الإيمان، ج2ص20-21.

(3) أحمد بدر : المرجع السابق، ص51.

(4) M. Talbi .L'Emirat Aghlabide,(184-296/800-909),Histoire Politique, Librairie d'Amérique et d'Orient,Adrienne Maisonneuve,Paris VI, P291-292

وكان أكثرهم من قيس، وكانوا يذلّون كتامة. فلما قتلهم إبراهيم إستطالت كتامة و وجدت السبيل للقيام مع الشيعي على بني الأغلب"[1].

أي أنّ إقدام إبراهيم على هذا الفعل له إنعكاس خطير على مستقبل الدولة في حد ذا ا. وظلّت الأوضاع الداخلية بين مد وجزر بسبب شغب الجند حتى إستطاع إبراهيم إحتواء الأمر وإدخال تونس ضمن إدارة حكمه[2]. ولعلّ من أبرز أعماله:

- **فتح صقلية:**

كان أكبر حدث خارجي عرفته دولة الأغالبة هو فتح صقلية في عهد الأمير زيادة الله الأول (201هـ-223هـ/817م-838م). فقد كانت أرض الأغالبة منطلقا للفتوحات في صقلية ا اورة والتابعة للإمبراطورية البيزنطية.

وكانت الغارات الأولى على صقلية دفاعية، لأن صقلية كانت قاعدة للبيزنطيين الذين كانوا يحاولون استرجاع إفريقية، أو يقدمون على إخضاع مناطق من نواحي المغرب في محاولة لوقف تقدم حركة الفتح، بالإضافة إلى كو ا كانت-أي صقلية- ملجأ للبيزنطيين الفارين من ولاية إفريقية[3].

وبعد إستتباب الفتح الإسلامي في المغرب عرفت هذه الغارات طابعا هجوميا، كتلك الحملتين اللتين قاما ما كل من موسى بن نصير و عبيد الله بن الحبحاب على الجزيرة، إلاّ أنهما رغم الغنائم الكبيرة التي أحرز ما، بقيتا مجرد غارتين لم تستطيعا إنشاء حامية أو قاعدة بالجزيرة، وبالتالي فهما لا تختلفان عن الغارات التي كانت تقوم ا جماعات الغزاة[4].

---

(1) ابن عذاري: المصدر السابق، ج1 ص123.

(2) أحمد بدر: تاريخ المغرب،ص51

(3) G. Marcais, La Berberie Musulmane et l'Orient au Moyen Age, Paris.1946.P,291-292

(4) ابن الأثير: الكامل، ج5 ص190-191

وصدا للهجمات الإسلامية، قام البيزنطيون ببناء التحصينات في صقلية وأصبحوا يهاجمون السفن الإسلامية، الشيء الذي جعل الأغالبة ينشئون الربط و المحارس للمرابطة والجهاد، كالرباط الذي بناه عبد الرحيم بن عبد ربه المسمى "بقصر زياد" و " قصر حمه" الذي كان يرابط به أبو السرى واصل[1].

وكانت هذه الربط إضافة إلى ما كانت تدور فيها من مجالس العلم والتعبد كانت تنطلق منها السفن إلى صقلية[2].

وكانت سنة(212هـ/827م) هي التاريخ الذي قرر فيه زيادة الله الأول تجهيز حملة ضخمة لفتح صقلية، بعد ظهور بوادر مساعدة خارجية تمثلت خاصة في إنقلاب قائد الأسطول البيزنطي فيمي (أوفيموس) ضد الإمبراطور، وأصبح هو- أي فيمي- سيدا للجزيرة وأعرب عن استعداده لتقديم سفنه للأغالبة , مع كشفه مناحي البلاد لهم[3]، لذلك" أغزى زيادة الله صقلية. و إجتمع له سبعون مركبا، حمل فيها سبعمائة فرس. وعرض القاضي أسد بن الفرات (ت213هـ/828م) نفسه على زيادة الله في الخروج للغزو، فولاّه على الجيش، وأقره على القضاء مع القيادة، فخرج معه أشراف إفريقية من العرب، والجند، والبربر، والأندلسيين، وأهل العلم والبصائر، وذلك في حفل عظيم وعدة جليلة في ربيع الأول"[5].

وكان تعيين الفقيه أسد بن الفرات كقائد لهذه الحملة أنّ زيادة الله كان يهدف إلى إستقطاب الحماس الديني لدى الناس وصبغ الحملة بصبغة الجهاد.

---

(1) المالكي: المصدر السابق، ج1 ص327-334.

(2) M. VONDERHEYDEN , LA Berberie Orientale sous la dynastie des Benoul-Aghlab(800-909), Librairie orientaliste, Paris, 1927.P118

(3) ابن الأثير: المصدر السابق، ج6، ص334-335.

(5) ابن عذاري: المصدر السابق، ج1 ص102. و يرى المؤرخ عبد العزيز الثعالبي في كتابه ، تاريخ شمال إفريقيا، تحقيق د. أحمد بن ميلاد ومحمد إدريس ، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان،1407هـ -1987م، ص221، أنّ الحملة إنطلقت من سوسة الشيء الذي لم يرد لا عند ابن الأثير ولا عند ابن عذاري.

وفي ذلك عبر أسد بن الفرات بقوله "ما أحوجهم- أي الأغالبة - إلى من يجري لهم مراكبهم بالكتاب والسنة"[1].

وكانت الحملة قد حطّت في البدء بمدينة مازرة في أقصى الشاطئ الجنوبي الغربي[2] التي فتحها المسلمون دون مقاومة، الشيء الذي شجعهم على الذهاب عبر الجزيرة من أقصى الغرب إلى أقصى الشرق حتى وصلوا إلى سرقوسة[3]، وفيها مرض القائد أسد بن الفرات وتوفي في ربيع الآخر سنة(213هـ/828م)، حينها اتفق الفاتحون على تعيين محمد بن أبي الجواري الذي حاول تشديد الحصار على المدينة، إلاّ أنّ وصول الإمدادات البيزنطية من السفن لم يكن في صالح ابن الجواري. ثم إنّ فتح هذه المدينة كان صعبا للغاية كون البحر يحيط ا من جميع الجهات[4]، ما أدى بالفاتحين إلى محاولة الإنسحاب، لكنهم إصطدموا بالقوات البحرية البيزنطية، فاستحال خروجهم، عندها أقدموا على حرق سفنهم وتوغلوا برا واحتلّوا حصن ميناو[5].

و إستمر المسلمون على تلك الحال حتى توفي محمد بن أبي الجواري سنة(214هـ/829م) فأجمعوا على تولية زهر بن برغوث الذي عرف عهده أزمة كبيرة حيث حوصر المسلمون في حصن ميناو، ولم يفك الحصار عنهم إلاّ بوصول الإمدادات من إفريقية والأندلس سنة (215هـ/830م)[6].

---

(1) المالكي: رياض النفوس، ص187.

(2) ابن الأثير: المصدر السابق، ج6 ص235. أنظر موقع هذه المدينة على الخريطة صفحة 57.

(3) المصدر نفسه، ج6، ص 237

(4) أماري: المكتبة العربية الصقلية، جمع وتحقيق مخائيل أماري، ليبسيك، 1857، ص36

(5) ابن عذاري: البيان المغرب ، ج1 ، ص 104 .

(6) ابن الأثير: المصدر السابق، ج6 ص 337. و ابن عذاري ، المصدر السابق ، ج 1 ، ص 104. والدوري تقي الدين: صقلية وعلاقا ا بدول البحر المتوسط الإسلامية، من الفتح العربي حتى الغزو النورمندي (212هـ-484هـ/867م-1091م)، دار الرشيد للنشر، العراق 1980م، ص60.

وعند ذلك سار الجيش الإسلامي إلى القاعدة الرئيسية بلرم التي تقع في شمال المثلث الغربي من الجزيرة وفتحها سنة (216هـ/831م)[1].

وبفتح بلرم تكون قد تمّت المرحلة الأولى من فتح جزيرة صقلية، لتبدأ المرحلة الثانية التي ركّز فيها المسلمون ضرباتهم على القواعد البيزنطية المجاورة المتمركزة في البر الايطالي والجزر، والتي منها كانت تنطلق الإمدادات.

وحسب الدكتور أحمد بدر فإنّ تلك الضربات كانت تهدف إلى تحطيم القواعد البيزنطية في جنوب إيطاليا والجزر، ومن ثمة إضعاف قوة بيزنطة البحرية[2].

وبعد وفاة الأمير زيادة الله الأول سنة 223هـ/838م خلفه أخوه أبو عقال الأغلب بن إبراهيم (223هـ-226هـ/837م-840م) الذي أمر بمواصلة الفتوحات، واستطاع المسلمون فتح حصن الغير (corleone) سنة 226هـ/840م[3] وبهذا الفتح يكون المسلمون قد وضعوا أيديهم على الجزء الغربي من الجزيرة[4].

كما سير المسلمون حملة بحرية انطلاقا من بلرم بقيادة الفضل بن جعفر الهمداني سنة 227هـ/842م وفتحوا مدينة مسينا ذات الأهمية الإستراتيجية كونها تشرف على المضيق الفاصل بين صقلية والبر الايطالي[5]. وبذلك يعتبر هذا الفتح الخطوة الأساسية الثانية في فتح صقلية بعد فتح بلرم.

---

[1] ابن الأثير: الكامل، ج6، ص337. و دياب محمد صابر، سياسة الدولة الإسلامية في حوض البحر المتوسط، من أوائل ق2 حتى نهاية العصر العباسي، نشر عالم الكتب، القاهرة، 1973، ص82. أنظر موقع هذه المدينة على الخريطة في صفحة57.

[2] أحمد بدر : المرجع السابق، ص58.

[3] الدوري: المرجع السابق، ص 63. و أحمد توفيق المدني: المسلمون في جزيرة صقلية وجنوب ايطاليا، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،1365هـ، ص70.

[4] قازيليف: العرب والروم، ترجمة محمد عبد الهادي شعيرة، دار الفكر العربي، بطرس برج،1900م،ص66. و عزيز أحمد: تاريخ صقلية الإسلامية، الدار العربية للكتاب، طرابلس، 1980م، ص19.

[5] ابن الأثير: المصدر السابق، ج1 ص 228. و المدني: المرجع السابق، ص73.أنظر موقعها على الخريطة في صفحة 57.

أما المرحلة الثالثة التي تعد آخر مراحل الفتح فقد إرتبطت بعهد الأمير إبراهيم الثاني الأغلبي الذي فتحت سرقوسة في عهده بقيادة أمير صقلية جعفر بن محمد بن خفاجة في 14 رمضان 264هـ/21مارس 878م بعد حصار دام تسعة أشهر[1]، شن فيه الفاتحون هجوما كبيرا قضوا فيه على الأسطول البيزنطي الذي جاء لنجد ا[2].

وهكذا يمكن إعتبار فتح جزيرة صقلية قد إكتمل في عهد إبراهيم الثاني بعد جلاء البيزنطيين منها ائيا.

ومن أهم ما يمكن إستخلاصه من نتائج من فتح هذه الجزيرة هو أنّ الأغالبة كانوا قوة بحرية لا يستهان ا في ذلك الوقت، إستطاعت أن تقف في وجه القوة البيزنطية، وأن تصل حتى مشارف البر الإيطالي، حين فتح الأغالبة مدينة مسينا ذات الأهمية الإستراتيجية[3].

وكذلك تشجيع الأغالبة للعلماء والفقهاء للإقامة بالمدن المفتوحة ذه الجزيرة، التي ستصبح واجهة الحضارة الإسلامية للعالم الغربي في ذلك الوقت.

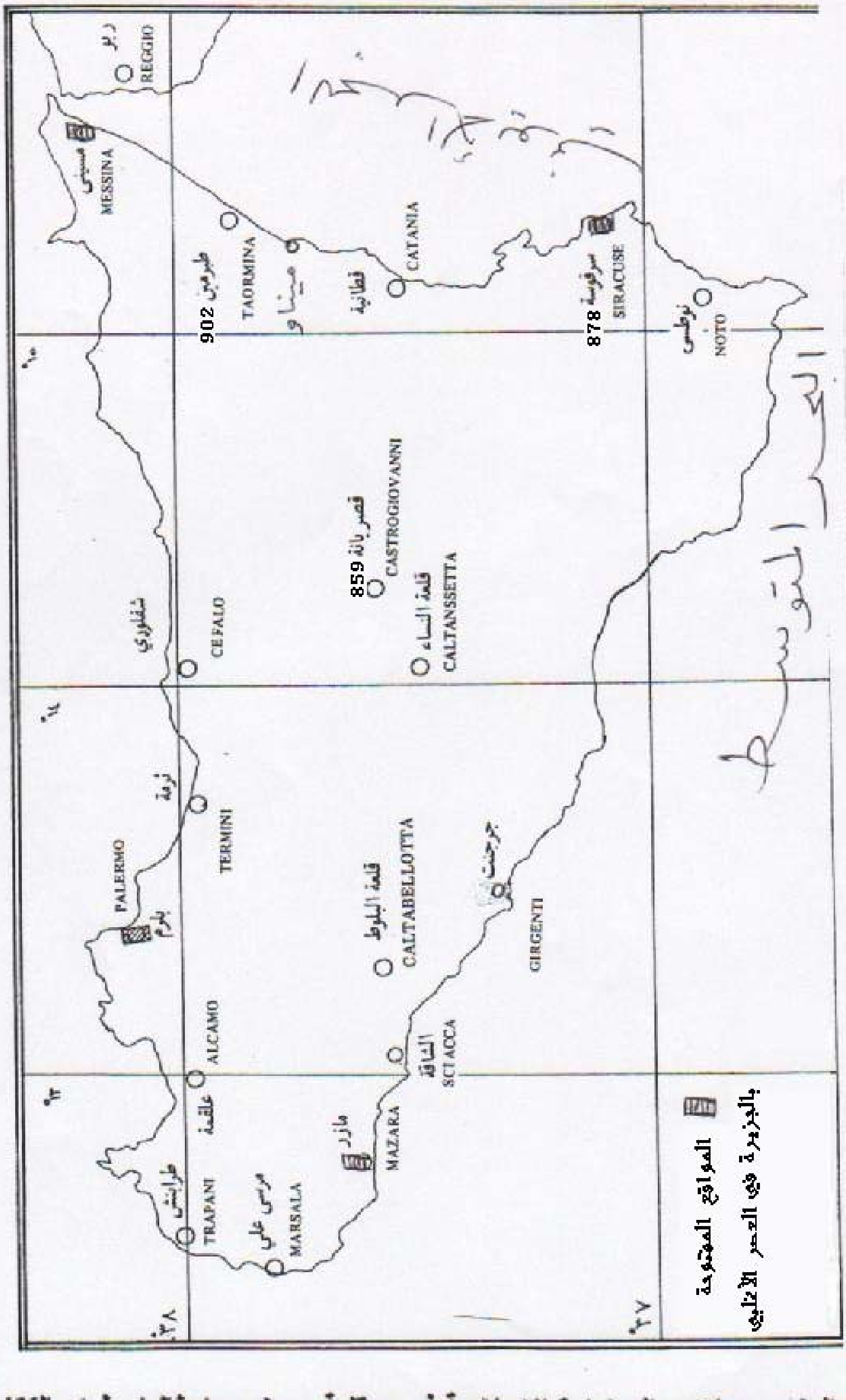
---

[1] ابن الأثير: المصدر السابق،ج7 ص 108. و ابن عذاري: المصدر السابق، ج1 ص 117. و صابر دياب: المرجع السابق، ص87.

[2] أحمد بدر،: المرجع السابق، ص 59.

[3] أنظر فيما سبق من هذا الفصل.

❖ خريطة لجزيرة صقلية.



❖ عبد المنعم رسلان ، الحضارة الإسلامية في صقلية و جنوب إيطاليا، ط 1، الكتاب الجامعي ،جدة ،1980 م.

رابعا: الأوضاع الإجتماعية والإقتصادية للدولة الأغلبية(184هـ - 296م/800م - 909م)

عرف المغرب الإسلامي أقلّيات مختلفة، بعد أن إستقر الإسلام في دياره، إذ نجد أقلية عربية لها مكانتها السياسية البارزة ، وتتكون من العائلات العربية التي جاءت مع جيش عقبة بن نافع الفهري، وجيش حسان بن النعمان الغساني إبان الفتح.

كما نجد الجنود الذين إستقروا بإفريقية بعد إنتهاء الفتح، إضافة إلى التجار والمثقفين الذين وفدوا على شتى مناطق المغرب بعد ذلك، خاصة أولئك العلماء الذين إستقروا بإفريقية بعد الفتح، وكان لهم دور بارز في الحياة الفكرية عامة، كإسماعيل بن يزيد المعافري الذي "إستوطن القيروان، واختطّ ا مسجدا وكتاباً في ناحية باب تونس"[1].

وبالإضافة إلى الأكثرية البربرية، فقد إستقر بالمغرب أقلية أندلسية، وجماعة من سكان صقلية الذين وفدوا على المغرب بعد فتح الجزيرة[2].

ومن الناحية الإجتماعية و الإقتصادية فقد عرف ا لتمع الأغلبي فئات عديدة ، منها فئة الأشراف التي تتألف من الولاّة وأفراد الأسر الحاكمة وقادة الجيش وكبار رجال الدولة، ومن عدد من المزارعين الذين أُقطعوا أراض واسعة، وهي الأراضي التي أُخذت عنوة، والتي كانت قبل الفتح الإسلامي بيد الولاة البيزنطيين. إضافة إلى الموالي والحرس الإفريقي الذي عرفه ا لتمع الأغلبي[3].

وأما التجار فكانوا يمثلون فئة خاصة تجمعها مصالحها الإقتصادية، وكان بمقدورها أن تقوم بحركات سياسية إذا تعرضت مصالحها للخطر، مثلما حدث أثناء ثورة الدراهم[4]، حينما أقدم الأمير إبراهيم بن أحمد الأغلبي على تبديل العملة التي كان يجري العمل ا بعملة جديدة، فثار عليه

---

(1) ح.ح.عبد الوهاب: ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية التونسية، القسم الثالث، نشر مكتبة المنار، تونس، 1972، ص 36-37.

(2) الحبيب الجنحاني: القيروان عبر عصور ازدهار الحضارة الإسلامية في المغرب العربي، الدار التونسية للنشر، طبع الشركة التونسية لفنون الرسم، 1968، ص146.

(3) المرجع نفسه،ص147.

(4) أنظر عن ثورة الدراهم، ابن عذاري: البيان، ج1 ص120 وما يليها.

السكان و أضرب تجار القيروان[1]، على الرغم من أنّ عمل إبراهيم يدخل ضمن الإصلاح المالي للدولة، فقد ضرب دراهم فضية ذات عيار قانوني وألغى التعامل بالقطع القديمة[2]، متوخيا تنظيم وتسهيل التعامل النقدي.

وتبعا للسياسة النقدية الجديدة تحول الأغالبة في جباية العشر من الجباية العينية إلى النقدية مخالفين بذلك الشرع، وهذا منذ أيام الأمير الأغلبي الثاني[3].

ولم تلغ الدولة الجباية العينية والضرائب غير الشرعية إلاّ في أواخر أيام هذه الدولة وذلك لكسب ود الناس وجلبهم ضد الفاطميين[4].

وأما فئة النخبة المثقفة فكان لها نفوذ أدبي بارز، وبالتالي كان لها تأثير في ميدان السياسة، بفضل كثرة الفقهاء الذين كانوا ضمن هذه الفئة، وسيطر م على الحياة الفكرية، كما كانوا في نفس الوقت يستطيعون الانسحاب من مساعدة الحكام مستغلّين قوة تأثيرهم وأنصارهم.

ويبدو ذلك بشكل واضح حينما أراد إبراهيم بن الأغلب جمع الأموال ليدعم ا بيت المال، فاستدعى بعض الشخصيات ومن بينهم فقهاء وطلب مساعد م، فقالوا له:" إنما نحن فقهاء، وعامة وتجار، وما في أموالنا ما يبلغك غرضك، وليس لنا بالقتال طاقة، فأمرهم بالإنصراف"[5]. أي أنّ هذه الفئة تبعا لمركزها، كانت تستطيع التنصل من المساعدة إذا لم تكن ترغب في ذلك.

وأما فئة الحرفيين فكانت تتألّف من عدة جماعات منها جماعة الجند التي كان لها دور فعال، نظرا لكثرة العمليات العسكرية التي يشهدها المغرب، ثم أصحاب الحرف اليدوية وعمال البناء الذين وجدوا بكثرة في عصر الأغالبة، فتم إنجاز عدد كبير من المنشآت بفضلهم، حتى أنّ الأغالبة

---

(1) عبد العزيز الثعالبي: تاريخ شمال إفريقيا، ص245.
(2) أحمد بدر: تاريخ المغرب والأندلس، ص 65.
(3) ابن الأثير: الكامل، ج5 ص 184.
(4)M. Talbi, l'Emirat Aghlabide. P 660-661
(5) ابن الأثير: الكامل،ج8 ص 46.

اشتهروا ببنائهم لمدينتين هما العباسية أو القصر القديم في عهد مؤسس الدولة إبراهيم بن الأغلب، والمدينة الثانية هي رقادة في عهد الأمير إبراهيم بن أحمد (263هـ/977م)[1].

كما عرفت إفريقية بقايا من الروم البيزنطيين، وأفارقة سكنوا مدن الجريد والقيروان وسهول الساحل، يعيشون على استثمار الزيتون وعصره مثل أجدادهم[2].

أما فئة العوام فهي فئة الفلاحين، التي كان لها دور فعال في الحياة الإقتصادية، ونظرا لطبيعة عمل هذه الفئة، فقد كانت الأسر الغنية في هذه الدولة تجند من بين هؤلاء الفلاحين نوعا من الحرص الخاص لها[3].

وقد إهتم أمراء بني الأغلب بالحياة الإقتصادية وتطويرها، و أولى مؤسس الدولة إبراهيم بن الأغلب عناية خاصة للجانب الاقتصادي[4].

وبالرغم من تطور الزراعة في منطقة القيروان، فقد كانت تأتيها كثير من المنتجات الزراعية من مناطق أخرى، نظرا لمركزها، ولكثرة سكا ا، إذ كان سكان مسيلة يحملون السفرجل المعتق لبيعه في القيروان[5].

ولقد مكّنت هذه المنتجات الزراعية، القيروان، من أن تلعب دورا كبيرا في الحركة التجارية، خاصة مع بلاد السودان في تجارة العبيد والذهب[6].

أما بصقلية الأغلبية- التي كان سكا ا مزيجا من كثير من الشعوب والأجناس والديانات المختلفة، كالصقليين النصارى والمسلمين، واليونان، واللّمبارد، واليهود[7]-، فقد عرفت نوعا من الإصلاح الاقتصادي في هذا العصر، حيث أصبح السكان يدفعون ضرائب أقل مما كانوا يدفعونه

---

(1) عبد العزيز الثعالبي: المرجع السابق،، ص241.

(2) أحمد بدر: تاريخ المغرب، ص 49.

(3) الحبيب الجنحاني: القيروان عبر عصور، ص146

(4) ابن الأثير: المصدر السابق، ج6 ص156

(5) ابن حوقل: صورة الأرض، ص 85

(6) أحمد بدر: المرجع السابق، ص 60.

(7) عزيز أحمد: تاريخ صقلية الإسلامية، ص29.

في عصر البيزنطيين[1]؛ كما ألغيت الضريبة على الدواب التي كانت سائدة من قبل، وكانت تقف حجر عثرة في وجه الزراعة، وفرضت ضريبة الأرض التي من شأ ا أن تحول دون ترك الأراضي القابلة للزراعة بورا دون استغلال[2].

ونخلص مما ذكرناه في هذا الفصل أنّ حركة الفتح إرتبطت إرتباطا وثيقا بالأثر الثقافي الذي أحدثه الفاتحون المسلمون في إفريقية، كبناء المساجد ودور العبادة، مثل بناء عقبة بن نافع لمسجد القيروان الذي كان يدرس به مبادئ الإسلام والفروض المرتبطة ـذا الدين.

كما ساهمت البعثة العمرية إلى إفريقية في بلورة حركة علمية، وإن كانت ذات صبغة دينية في البداية، ستكون الأرضية لحركة علمية نشيطة ذات بعد ديني ودنيوي، سوف تظهر بشكل جلي، لمّا تؤسس الدولة الأغلبية، والتي- أي هذه الحركة العلمية - ستكون محور هذا البحث.

كما أنّ التطور الإقتصادي الذي عرفته دولة الأغالبة، سيكون له أثره الايجابي في الحركة العلمية مستقبلا، حيث سيهيئ للعلماء عامل الاستقرار والبحث و الاعتكاف للعمل العلمي، وسيكون له أثره في النهوض بالثقافة التي كانت محل اهتمام الحكام والعلماء على حد سواء.

---

(1) عزيز أحمد: المرجع السابق ، ص31

(2) نفسه، ص31

الفصل الثاني
المذاهب الفقهية وأعلامها
بإفريقية في عصر
دولة الأغالبة

❖ الفصل الثاني: المذاهب الفقهية وأعلامها في إفريقية في عصر دولة الأغالبة

أولا: إنتشار المذاهب الفقهية في إفريقية

1- المذهب الحنفي

2- المذهب المالكي

3- المذهب الشافعي

4- المذهب الحنبلي

5- المذهب الظاهري

ثانيا: دور علماء المذاهب الفقهية بإفريقية في الفقه والتفسير والحديث و القراءات.

1- دورهم في علم الفقه

2- دورهم في علم التفسير

3- دورهم في علم الحديث

4- دورهم في علم القراءات

❖ تمهيد:

كان لإنتشار المذاهب الفقهية بالمشرق، كالحنفي والمالكي والشافعي والحنبلي والظاهري، صداها في بلاد المغرب، حيث أخذ كثير من علماء إفريقية عن أعلام هذه المذاهب، ونشروا فقههم بالمغرب والأندلس. كما برز علماء مغاربة في الفقه وعلم التفسير وعلم الحديث.

أولا: إنتشار المذاهب الفقهية في إفريقية.

لمّا ذاع صيت الإمامين مالك بن أنس وأبي حنيفة النعمان بالمدينة والعراق، في القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي، ارتأت نخبة من علماء إفريقية بنشر تعاليم مذهبي هذين الإمامين بإفريقية، بعد أن أتيح لها السفر إلى العراق والحجاز ومصر.

1- المذهب الحنفي[1]:

إنتشر المذهب الحنفي في المغرب الإسلامي، وقد دخل أوّلا إلى القيروان . وقد كان إنتقاله على يد الفقيه أسد بن الفرات(ت 213هـ/828م)، الذي رحل إلى المدينة ليأخذ العلم عن الإمام مالك بن أنس(ت 179هـ/795م) فوجده عليلا، فسأل عن نظير له، فقيل له:" فتى بالكوفة يقال له محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة، فرحل أسد إليه...فلمّا علم محمد أنّه بلغ مراده في الأخذ عنه سّيبه-أي بعثه- إلى المغرب"[2].

ولم يقتصر أخذ أسد بن الفرات على محمد بن الحسن بل أخذ عن أبي يوسف قاضي قضاة هارون الرشيد وأسد بن عمرو[3].

ويبدو أن دخول المذهب الحنفي إلى المنطقة كان أسبق مما ذكر المؤرّخ المقدسي، ولم يكن على يد أسد بن الفرات، بل على يد عبد الله بن فروخ(ت175هـ/799م)، الذي لقي مالك بن أنس (179هـ/ 795 م) .

(1) ينسب المذهب الحنفي إلى الإمام أبي حنيفة النعمان بن ثابت(80هـ-150هـ/700م-767م).وقـد ولـد بالكوفة و ا ترعرع وتعلم. عرف عنه إجتهاده في الفقه، لذلك عرف هو وأتباعه بأصحاب الرأي. كمـا اسـتعملوا القياس في غياب النصوص. أنظر عن مذهب أبي حنيفة:دائرة المعارف الإسـلامية؛ مـادة أبي حنيفـة، ا لمّـد الأول ص331.ومحمد أبو زهرة، أبو حنيفة، حياته وعصره، آراؤه وفقهه، ط2، دار الفكـر العـربي، بـيروت، 1955 ص 22.ومحمد أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية، مطبعة دار الفكر العـربي، بـيروت، 1955، ج2، ص163. و Article, Abu Hanifa, encyclopedie de l'islam, Tome1.A.D, 1913 P 92-93.

(2) المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم،د.ط، ليدن،1877م،ص237.

(3) أبو العرب: طبقات علماء افريقية وتونس، تحقيق علي الشابي ونعيم حسن اليافي،ط2، الدار التونسية للنشر،تونس، 1985م،ص 163-164.والقاضي عياض: ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالـك، تحقيـق د.أحمد بكير محمود، منشورات دار مكتبة الحياة، ليبيا، د.ت،ج2،ص465. والدباغ: معالم الإيمان، ج2 ص 3.

كما لقي أيضا أبا حنيفة (ت 150هـ/767م)[1] ، ولا شك أن لقاءه به كان للأخذ عنه، حيث أن بن فروخ " إجتمع بأبي حنيفة وكتب عنه نحو عشرة آلاف مسألة"[2].

وهكذا يكون المذهب الحنفي قد إنتقل إلى القيروان على يد عبد الله بن فروخ قبل إنتقاله على يد أسد ابن الفرات.

وفي الفترة الأغلبية إنتشر المذهب الحنفي على يد عبد الله بن غانم(ت190هـ/805م) الذي زار العراق ولقي أبا يوسف صاحب أبي حنيفة[3].

فقد ذكر الرقيق القيرواني أن إبن غانم كان يكتب إلى أبي يوسف ليجيبه على مسائل م قضايا الناس، لمّا تولّى القضاء لبني الأغلب[4].وهذا يدل على أنّه كان يفتي على المذهب الحنفي في بعض الأحيان، رغم أنّه مالكي.

ومن الذين إعتنقوا المذهب الحنفي نذكر: أبو العباس بن زرزر(ت291هـ/903م) الذي كان"عالما بمذاهب الكوفة"[5]، وأبو العباس بن عبدون القاضي، وقاسم بن أبي المنهال وأبو عقال بن جرجر، وعبد الله بن هارون الكوفي ومعمر بن منصور الذي كان يذهب إلى رأي الكوفيين[6]، وإبراهيم بن محمد الضبي المعروف بابن البرذون[7].

هذا وقد أحصى جورج مارسيه -نقلا عن أبي العرب- خمسة وعشرين ممن دانوا بالمذهب الحنفي[8].

---

[1] المالكي: رياض النفوس، ج1 ص 113-116.

[2] الدباغ: المصدر السابق، ج1 ص 179.

[3] المالكي: المصدر السابق، ج1 ص 215.

[4] الرقيق القيرواني: تاريخ افريقية والمغرب، تحقيق المنجي الكعبي، تونس، 1967م، ص 229-230

[5] المالكي: المصدر السابق، ج1 ص 514.

[6] أبو العرب: طبقات علماء إفريقية،ص 198. و M.Vonderheyden,op.cit.p140

[7] ابن الحارث الخشني: طبقات علماء افريقية، تحقيق محمد بن شنب، باريس، 1915م ص 180.

[8] Georges Marcias, La Berberie Musulmane p 90.

وكان وصول المذهب إلى المغرب لاحقا للمذهبين المالكي و الإباضي، لذلك فإن إنتشار المذهب الحنفي كان على حساب هذين المذهبين ودخل في منافسة معهما، لكنه لم يستطع منافسة المذهب المالكي عند العامة.

وقد ساعد على إنتشار هذا المذهب-أي الحنفي- أنّ أمراء بني الأغلب تبّنوه بالرغم من أن سياستهم تقوم على تبّني كل المذاهب الفكرية وتشجيعها[1].

ولم يقتصر الأمر على ذلك، بل كان للمذهب الحنفي عندهم مكانة خاصة، ولقي إنتشاره تشجيعا منهم، بل يمكن القول أنّهم هم الذين أرسوا قواعده[2]، ذلك لأنّ الخلافة العباسية التي كان لها اليد الطولى في قيام دولة الأغالبة كان مذهبها الحنفي.

وقد تركّز المذهب رسمّيا في عهد أسد بن الفرات[3]، واستأثر الأحناف بمنصب القضاء أكثر من المالكّيين لدى أمراء الدولة الأغلبية، إلاّ أنّ إعتناق هذا المذهب من قبل عامة الشعب ظلّ محدودا، وبالتالي لم يقبل عليه تقريبا إلاّ من كان من أصل عراقي أو فارسي وبعض الحكّام والأعوان.

أمّا عامة الشعب فكانوا يفضّلون المذهب المالكي[4].ورغم ذلك فقد ساهم الأحناف في نشر مبادئ المذهب، وفي المناظرات، وفي تأليف المصنفات، وفي الإتصال مع المذاهب الأخرى، مثل المذهب الإباضي الذي كان منتشرا في المغرب.

وبدأ الإتصال بين المذهبين في العراق، حيث كان أوّل إتصال بين الإباضيين و الأحناف من ِقبل أبي حنيفة نفسه، إذ روي عنه قوله:"كنت قد نازعت طبقات الخوارج

---

[1] عبد العزيز المجذوب: الصراع المذهبي بإفريقية إلى قيام الدولة الزيرية، الدار التونسية للنشر والتوزيع، تونس 1395هـ/1975م، ص 65.

[2]M. Vonderheyden, Op. Cit, p.140.

[3]M. Vonderheyden, Op. Cit, p.141

[4] المجذوب: المرجع السابق، ص 65.

من الإباضية والصفرية وغيرهم"[1]، الأمر الذي يثبت أنّه كان هناك حلقات جدل ومناظرات تعقد بين أتباع المذهبين وليس من الضرورة أن تكون هذه المناظرات بين الطرفين قاصرة على إباضية وأحناف المشرق، لأنّ إباضية المغرب كانوا يفِدون على المشرق، حيث كان أبو حنيفة،للإجتماع به.

وقد توضّح في المناظرات ظهور نقاط إختلاف بينهما، منها مسألة خلق القرآن، فقد أشار أبو حنيفة بشأ ا:" لا تتكلّموا فيها ولا تسألوا عنها أبدا، إنتهوا إلى أنّه كلام الله عزّ وجلّ بلا زيادة حرف واحد"[2].

في حين يرى الإباضية أنّ الله أنزل القرآن على نبّيه محمد-صلى الله عليه وسلم- وهو-أي القرآن- في نظرهم مخلوق لأنه يدخل ضمن الآية الكريمة (خالق كل شيء)[3] وهو شيء لا يمكن أن يخرج عن إطار المخلوقات[4].

والإباضية برأيهم هذا يوافقون المعتزلة الذين يقولون بنفس الرأي. ولكن القرآن ليس من خلقه لأنّه من كلامه، وكلامه من صفة الكلام، وهي صفة أزلية، فلا يكون كلامه مخلوقا. وقد فرّق الله تعالى بين كلامه الذي هو أمره وبين خلقه في قوله تعالى :"ألا له الخلق والأمر"[5].

---

(1) أبو زهرة: أبو حنيفة، حياته وعصره، آراؤه و فقهه، ص21.

(2) نفسه، ص181

(3) سورة الأنعام، آية 102.

(4) د.بن حمدة : المدارس الكلامية بإفريقية إلى ظهور الأشعرية، ط1، مطبعة دار العرب، تونس 1406هـ/1986م ص 96.

(5) سورة الأعراف،آية 54.

ولم يقتصر وجود المذهب الحنفي على المغربين الأدنى والأوسط، بل عرفه المغرب الأقصى أيضا، فقد ذكر القاضي عياض نصّا يشير إلى ذلك، فقال:"ودخل منه شيء ما وراءها من المغرب قديما بجزيرة الأندلس وبمدينة فاس"[1].

ومع ذلك فإنّ المذهب الحنفي لم يلق إنتشارا واسعا في شمال إفريقية لأسباب عديدة، منها قوله بالرأي والقياس، في وقت عرف فيه المغاربة بتمسّكهم بالكتاب والسّنة[2].

إضافة إلى أنّ المذهب الحنفي كان مذهب الخلفاء العباسّيين، وكان عزوف المغاربة عن هذا المذهب بمثابة تأكيد إستقلالهم عن الخلافة. كما أّنه من المحتمل أن يكون بعض الأحناف قد تركوا فاس ليلتحقوا بالقيروان. وكذلك تأخّر ظهوره بالنسبة للمذهبين المالكي و الإباضي، فعندما دخل بلاد المغرب وجد أهله متمذهبين.

(1) عياض: المصدر السابق،ج1، ص80.

(2) د.حسن أحمد محمود: الإسلام والثقافة العربية بإفريقية، نـشر دار النهـضة العربيـة، القـاهرة، 1963م، ج1 ص169.

2- المذهب المالكي[1]:

لمّا ذاع أمر مالك بن أنس (ت 179هـ/795م) بالمدينة في النصف الثاني من القرن الثاني للهجرة/الثامن الميلادي، توافد عليه كثير من الفقهاء المغاربة أمثال عبد الرحمان بن زياد ابن أنعم المعافري وعبد الله بن فروخ الفارسي(ت175هـ/791م) والبهلول بن راشد(ت 183هـ/799م)، عبد الله بن غانم الرعيني(ت190هـ/850م) وعلي بن زياد(ت183هـ/799م) وغيرهم ممّن رحل إلى المشرق طلبا للعلم في المراكز الإسلامية الشهيرة، المدينة والفسطاط والكوفة والبصرة.

فقد كان عبد الله بن فروخ من الأوائل الذين رحلوا إلى المشرق طلبا للعلم ، وكان مالك يقدّره لعلمه[2]، وقد عمل ابن فروخ على نشر مذهبه بعد عودته من المشرق، كما كان يكاتب الإمام مالك للإستفسار عن مسائل إستعصت عليه ، وكان مالك يجيبه على مسائله[3]. وكان البهلول بن راشد من أعلام السّنة البارزين المدافعين عنها[4].

وقد ساهم هؤلاء الفقهاء المغاربة بعد رجوعهم من المشرق في نشر المذهب المالكي في بلاد المغرب. وقد إنتشر بين الناس على كافة طبقا م، وتمسّكوا به، لأسباب كثيرة،سياسية وعلمية، منها إلتزامه بالقرآن والحديث والإبتعاد عن التأويل والإقتصاد في القياس ما أمكن[5].

---

(1) ينسب هذا المذهب إلى صاحبه مالك بن أنس(96هـ-179هـ/715م-795م)، وهو عربي الأصل ولد وعاش في المدينة، و ا تعلّم على الصحابة والتابعين. يعتمد مذهبه على الكتاب والسنة والإجماع والقياس، أنظر عنه الزركلي: الأعلام، ط3، بيروت، 1969م، ج6 ص128.و محمد أبو زهرة، تاريخ المذاهب الإسلامية، ج1 ص44.

(2) المالكي: رياض النفوس، ج1 ص234.د.إبراهيم التهامي، جهود علماء المغرب في الدفاع عن عقيدة أهل الـسّنة دار الرسالة للنشر و التوزيع،ط1، الجزائر، 1422هـ/2002م،ص 145.

(3) القاضي عياض: تراجم أغلبية مستخرجة من مدارك القاضي عياض تحقيق محمد طالبي، طبع المطبعـة الرسـتمية تونس، 1968م،ص 41.

(4) أبو العرب: طبقات علماء إفريقية، ص 129.

(5) حسين مؤنس: مقدمة كتاب رياض النفوس، ج1 ص 11.

و هكذا لقي جماعة من العلماء المغاربة الوافدين على المشرق أمثال أبو محمد بن عمران التيجيبي، و عبد الله بن فروخ الفارسي، مالك بن أنس، فأخذوا عنه أرائه دون تحريف و أصبح بالنسبة لهم الإمام – إمام دار الهجرة – و لا إمام غيره[1].

و أصبح مذهب مالك بالنسبة لهم حصن ضد كل الـ عات و المذاهب الأخرى كالصّفرية و المرجئة و المعتزلة.

وكان علي بن زياد أول من وضع أسس المدرسة المالكّية في المغرب[2]، وذلك لأنّه رحل إلى المشرق وأخذ عن مالك واللّيث بن سعد[3] وسفيان الثوري[4]، فكان "أوّل من أدخل إلى المغرب جامع سفيان الثوري وموطأ مالك"[5] .

ولإبراز دور ابن زياد في العلم فأنّ القاضي عياض يقرّ بأنّه"لم يكن بعصره بإفريقية مثله"[6]، وقد" سمع منه البهلول بن راشد، و سحنون، وشجرة، وأسد بن الفرات وغيرهم"[7] و"كان أهل العلم بالقيروان إذا إختلفوا في مسألة كتبوا ا إلى علي بن زياد ليعلمهم بالصواب فيها"[8].

وقام أسد بن الفرات (ت213هـ/828م) بتدريس مذهب مالك بالقيروان، الذي تلقّاه عنه طلبة كثيرون، منهم الإمام سحنون بن سعيد بن حبيب

---

(1) حسين مؤنس، المرجع السابق، نفس الجزء و الصفحة.

(2) الشاذلي النيفر: موطأ بن زياد، تحقيق محمد الشاذلي النيفر، الدار التونسية للنشر، تونس، د.ت، ص5.

(3) أحد الفقهاء البارزين، وكان صديقا للإمام مالك ومعاصرا له (ت175هـ/791م)، أنظر مقدمة ترتيب المدارك للقاضي عياض، ج1 ص 64.

(4) هو سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري (ت161هـ/777م) وهو محدّث مصري، أنظر الزركلي: الأعلام،ج3،ص104.

(5) المالكي: المصدر السابق، ج1 ص 158.

(6) القاضي عياض: تراجم أغلبية، ص22.

(7) المصدر نفسه، ص22

(8) عياض: المصدر السابق، ص 23

التنوخي(ت240هـ/854م) الذي آلت إليه رئاسة العلم بالمغرب من بعده وعمّ انتشار مذهب الإمام مالك عن طريقه[1].

ولم يأخذ أسد بن الفرات الفقه المالكي عن تلاميذ مالك بن أنس فقط بل أخذ عن تلاميذ أبي حنيفة أيضا[2].

وأخذ بمصر عن أحد تلاميذ مالك الكبار وهو عبد الرحمان بن القاسم(ت191هـ/806م)، وبذلك أتيح لأسد التعمق في دراسة المذهبين حتى ألمّ بهما إلماماً واسعاً[3]، لذلك كان يقرئ بالقيروان آراء مذهب أهل المدينة وآراء مذهب أهل العراق معا[4]، قال المالكي:" والمشهور عن أسد -رحمه الله تعالى- أنّه كان يلتزم من أقوال أهل المدينة، وأهل العراق ما وافق الحق عنده، ويحقّ له ذلك لإستبحاره في العلوم وبحثه عنها، ولكثرة ما لقي من العلماء والمحدّثين"[5].

وكان كتاب أسد بن الفرات" الأسدية" أوّل كتاب في الفقه المالكي بعد الموطأ في المغرب سلك فيه منهج الأحناف في تفصيل المسائل القائمة على الإجتهاد، وطّبق عليها المذهب المالكي في مسائل الأحكام[6]، وكان عبد الله بن غانم يقدّر علم أسد رغم كونه مالكّيا متعصّبا لمالكّيته، حينما رآه يعمل بالمذهبّين ويبدع في إستخلاص المسائل منهما[7].

وقد جلب أسد لنفسه كثير من النقد من العلماء المالكّيين لأخذه بأقوال أبي حنيفة خاصة من قبل الإمام سحنون الذي ألف "المدّونة" التي إعتمد فيها على الكثير من أقوال أسد

---

(1) أبو العرب: المصدر السابق، ص163-164.

(2) أنظر فيما سبق من هذا الفصل.

(3) عياض: تراجم أغلبية، ص59.

(4) حسن حسني عبد الوهاب: ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية التونسية، القسم الثالث، جمع وإشـراف محمـد العروسي المطوي، نشر مكتبة المنار، تونس،1972م، ص43.

(5) المالكي: المصدر السابق،ج1 ص181.

(6) ا ذوب: المرجع السابق، ص50.

(7) المرجع نفسه، ص55.

بن الفرات، "فردّ سحنون الفقه المالكي إلى طريقته المدنّية الأولى مع الحفاظ على ما أفاده أسد من لقاح جديد بطريقة العراق، وأرجع فقه مالك إلى موطنه، وأورد من مسائله شيئا صحيحا مضبوطا لا يوصم بوهم ولا إشتباه"(1).

وكان الأثر العلمي للمذهب المالكي في إفريقية متجلّيا في العدد الهائل من العلماء المالكّيين الذين تبّنوا هذا المذهب ونشروا فقهه في المغرب، ودافعوا عنه. فلمّا ولي سحنون قضاء إفريقية (من 234هـ/848م حتى 240هـ/854م) من قبل الأمير أبي العباس محمد بن الأغلب (226هـ-242هـ/840م-856م) رفع من شأن المذهب المالكي حتى إزداد أتباعه.

وأصبح المذهب السائد بدون منازع، فقام بمنع دروس الإباضية والصفرية التي كانت تلقى بجامع عقبة "فكان أوّل من شرّد أهل الأهواء من المسجد الجامع، وكان فيه حلقا للصفرية والإباضية"(2)، وعزل أصحا ا عن تعليم الصبيان، وبالّتالي أمر أن لا تكون المناظرة في غير المذهب المالكي.

لقد أثّر علماء الحجاز إلى حد بعيد بعلومهم الدينية في علماء المغرب، فلقد لقي الفقيه المغربي أبو محمد عبد الله بن سهل القبرياني (ت248هـ/862م) عبد الملك بن عبد العزيز بن أبي سلمة الماجشون – أحد كبار تلاميذ مالك بن أنس – بالمدينة و سمع منه(3).

كما أخذ محمد بن تميم (ت260هـ/ 873م) عن بعض تلاميذ الإمام مالك منهم أنس بن عياض و عبد الله بن وهب و بن بكير(4).

---

(1) محمد الفاضل بن عاشور: أعلام الفكر الإسلامي في تاريخ المغرب العربي، الدار التونسية للنشر، تـونس، 1970م ص28.

(2) أبو العرب: المصدر السابق، ص184. والمالكي: رياض النفوس، ج1 ص276. وعياض: ترتيـب المـدارك،ج2 ص600. وعياض: تراجم أغلبية، ص 104.

(3) الدباغ: المصدر السابق، ج2 ص72. و عياض: المدارك، ج3 ص 93.

(4) عياض: المصدر نفسه، ج3 ص94.

و تتلّمذ أبو يحي السجلماسي على يدّ عبد الله بن بكر و ابن الماجشون " و هو أوّل من أتى بفقه ابن الماجشون إلى القيروان[1].

و لقي أبو زكرياء يحي بن السّلام بن أبي ثعلبة ثلاثمائة و ثلاثة و ستّين عالما منهم مالك بن أنس و اللّيث بن سعد و عبد الله بن لهيعة[2].

و لا شك أنّ إلتقاءه ؤلاء العلماء قد مكّنه من الأخذ عنهم من العلوم الدينية التي إشتهروا ا، من فقه و تفسير و حديث.

وقد لقي المذهب المالكي معارضة من قبل بعض أمراء الدولة الأغلبية في تلك الفترة، فقد حرص الأمراء الأغالبة على إستمالة جميع أفراد الشعب لسياستهم الدينية، وتبّني المذهب الحنفي لما وجدوا فيه من تيسير للأحكام في الفتوى[3]، فظهر صراع جليّ بين المالكّية والأحناف إمتدّ في عهد الأغالبة إلى منصب القضاء، إذ سيطر الأحناف على هذا المنصب مرارا، مستغلّين عزوف المالكّية عن التعاون مع الحكّام إلاّ في بعض الفترات كما حدث حين تولاّه سحنون[4].

وكان طبيعي أن تتعرض المالكّية في عهد الأغالبة إلى شتّى أنواع الاضطهاد والعنف من قبل بعض الحكّام وبعض القضاة الأحناف، فحين تولىّ القاضي الحنفي أبو العباس محمد بن عبدون القضاء لإبراهيم بن الأغلب (سنة 184هـ/800م) إضطهد المالكّية وقتل جماعة من بينهم إبراهيم بن المدني وأحمد بن عبدون القصار[5].

وفي كثير من الأحيان كانت المنافسة تشتدّ بين الفريقين حتى تتحول إلى ما يشبه العداوة، وكانت هذه العداوة تمتدّ إلى كل شيء حتى تصل إلى البناء التابع للمذهب الآخر

---

(1) عياض: المصدر السابق، ج3 ص94.

(2) الدباغ: المعالم، ج1 ص239-240.

(3) ا ذوب: المرجع السابق، ص65.

(4) أنظر: أبو العرب، طبقات، ص185. والمالكي: رياض النفوس، ج1 ص276.

(5) المالكي: المصدر السابق، ج1 ص 385.

فالبيت الذي بناه سحنون بالجامع ليقضي فيه بين الناس لم يسلم من ذلك، فكان إذا ولي حنفي هدمه، وإذا ولي مالكي بناه من جديد[1].

ولمّا قامت الخلافة الفاطمية سنة (297هـ/909م)على أنقاض دويلات المغرب الإسلامي، تغّير وجه الصراع ليصبح أعنف ممّا كان عليه من قبل، بحيث لم يعد الخلاف بين أهل إفريقية-وهم في أغلبهم مالكيون- وبين الأحناف، بل واجهوا-أي أهل إفريقية- الفاطميّين الذين يكرهون أهل السّنة عامة، والذين هدفوا إلى السيطرة على المغرب ونشر مذهبهم الشيعي الباطني بعد أن أسقطوا الدولة الأغلبية.

وقد عرف المغرب الأقصى فقه المذهب المالكي، الذي إنتشر به بتأثير قرطبة و القيروان والراحلين إلى الحجاز. وللدلالة على ذلك أنّ إدريس الثاني إستوزر عمير بن مصعب الأزدي.

كما إستقضى عامر بن محمد بن سعيد القيسي الذي سمع من مالك وسفيان الثوري[2].كما عرفت صقلية، التي فتحت في عهد الأمير زيادة الله الأول (201هـ-223هـ/817م-838م) انتشار المذهب المالكي ا.

فقد أشار القاضي عياض إلى أنّ الفقيه بن سالم الكندي القطّان(ت289هـ/901م) لمّا تولى قضاء صقلية من قبل عيسى بن مسكين (ت 281هـ/894م) عمل على تدريس الفقه المالكي[3]، وعن طريق هذا الفقيه عمّ إنتشار مذهب مالك بصقلية[4].

---

(1) عياض: ترتيب المدارك ج2 ص600-601.

(2) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1973م، ص29.

(3) عياض: تراجم أغلبية، ص261.

(4) ابن فرحون: الديباج، المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تحقيق مأمون ابن محي الدين الجنان، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1996، ص195.

وإن كنت أوافق الباحث الطيب بوسعد فيما ذهب إليه حين أشار إلى أنّ المذهب المالكي بصقلية قد تزامن مع فتح الجزيرة على يد أسد بن الفرات، الذي غرس مبادئ المذهب المالكي في أوساط الجند[1].

إلاّ أن ذلك في رأيي يبقى محدودا بسبب ظروف الحرب التي كانت عليها الجزيرة وبالتالي فإنّ الإنتشار الحقيقي لمذهب مالك كان في عهد سليمان بن سالم القطّان السالف ذكره، بالرغم من أنّ القاضي عياض يشير أنّ الفقيه عبد الله بن سهل القبرياني(ت248هـ/862م) الذي تولىّ قضاء صقلية بعد عهد الإمام سحنون بن سعيد، كان عالما بالمذهب المالكي[2]، الأمر الذي جعل الباحث الطيب بوسعد يستند إلى قول عياض على أنّ المذهب المالكي إنتشر على يد عبد الله بن سهل تبعا لتاريخ وفاته (أي قبل منتصف القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي) قبل إنتشاره على يد سليمان بن سالم القطان[3].

ومن أشهر من روى الفقه من العلماء المغاربة عن الإمام مالك حسب ما ورد عند القاضي عياض نذكر: عبد الله بن فروخ (ت175هـ/791م) والبهلول بن راشد (ت183هـ/799م) وعلي بن زياد (ت183هـ/799م) وعبد الله بن غانم الرعيني (ت190هـ/805م) و أبو مسعود بن أشرس وعبد الله بن أبي حيان اليحصبي[4]، وأبو طالب عبد الله بن عثمان الأبزاري وأبو خارجة عنبسة بن خارجة الغافقي وغيرهم[5].

---

(1) الطيب بوسعد: الحياة الثقافية والعلميـة في الإمـارة الأغلبيـة وعلاقا ـا بالخلافـة العباسـية (184هـ ـ - 296هـ/800م-909م) ، رسالة ماجستير في التاريخ الوسيط، إشراف د.عبد العزيز فـيلالي، الجزائـر، 2002م ص67-68.

(2) عياض: المدارك، ج2 ص 94-95.

(3) بوسعد: المرجع السابق، ص68.

(4) عياض: المدارك، ج1 ص259.

(5) المصدر نفسه، ج2، ص 485-486

و قد سار بعض فقهاء المغرب البارزين على منوال عبد الله بن فروخ، حيث كانوا يبعثون بمسائلهم إلى الإمام مالك ليجيبهم عنها، فهذا أبو عثمان حاتم بن عثمان المعافري كان يمضي بمسائل ابن غانم إلى مالك بن أنس ليتلقى أجوبتها منه[1].

و قد تفقّه علي بن زياد و أخذ عن الإمام مالك موطأه، و كان الإمام سحنون يقول فيه: " ما أنجبت إفريقية مثل علي " حتى أنّ أسد بن الفرات يقرّ بأنه أوّل من تعلّم عليه العلم[2].

و لم يقتصر أخذ المغاربة عن الإمام مالك و أتباعه بالحجاز، بل أخذوا كذلك عن فقهاء العراق و الشام و مصر، فقد رحل عبد الرحمن بن زياد (ت161هـ/777م) السالف الذكر في طلب العلم إلى العراق و صحب الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور (136هـ-158هـ/ 754م-775م) –قبل توليته الخلافة– في مزاولة العلم بالكوفة، هذه المدينة التي كانت زاخرة بالعلم و العلماء حينئذ.

و لمّا رجع إلى القيروان تولّى ا منصب القضاء على عهد الأمير يزيد بن حاتم[3].

و كان ابن فروخ يأخذ من أعلام المذهبين المالكي و الحنفي، حتى كان في بعض الأحيان " يميل إلى طريقة أهل النّظر و الإستدلال "[4]، أي إلى أصحاب المذهب الحنفي فقد ّاتصل بالعراق بالأعمش سليمان ابن مهران التّابعي، و أخذ عنه كثيرا من الحديث

---

(1) المالكي: الرياض، ج1 ص157. و عياض: المصدر السابق، ج2 ص485. و الدباغ: المصدر السابق، ج1 ص234.

(2) أبو العرب: طبقات علماء إفريقية، ص220. و عياض: المصدر السابق، ج1 ص236. و ابن فرحون: الديباج ص192. و الشيرازي: طبقات الفقهاء، ص129.

(3) ح.ح. عبد الوهاب: ورقات، ص41.

(4) المالكي: المصدر السابق، ج1 ص113. و ابن ناجي: معالم الإيمان، ج1 ص178.

و إجتمع بالكوفة بالإمام أبي حنيفة، و كتب عنه عدّة مسائل، يقال أ ا بلغت عشرة آلاف مسألة[1].

و هكذا إستطاع الأحناف إبراز مذهبهم، مع أنّهم كانوا محل إنتقاد و تجريح من قبل علماء المالكيّة[2].

و قد تزعّم المدرسة الحنفية بالمغرب سليمان بن عمران(183هـ-270هـ/799م-884م) الذي كان تلميذا لأسد بن الفرات[3].

و نتيجة لهذه الرحلة و الأخذ عن علماء المشرق، تجاوز الفقهاء المغاربة مرحلة الأخذ و التلقي في هذه الفترة (اية القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي)، و تكوّنت لديهم شخصيتهم المستقلّة في مجال العلوم الدينية.

و قد ذهب عبد الله بن عمر بن غانم الرعيني (ت190هـ/ 805م) إلى الحجاز و سمع من مالك موطأه، كما سمع من أتباع أبي حنيفة، لأنّ أحد تلاميذ أبي حنيفة يذكر أنّ ابن غانم كان يقرئه كتب أبي حنيفة في الجمعة يوما.

و دليل آخر على ذلك أنّ أبا يوسف، رأس الأحناف في بغداد، قد شهد بفقهه و أوصى بتعيينه للقضاء. و كان المذهب الحنفي قد لقي صداه ببلاد المغرب في بداية القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، مثلما كان ذائعا بالمشرق خاصة في عهد الخليفة هارون الرشيد، بفضل قاضيه أبي يوسف الذي أخذ في تعيين تلاميذه في المناصب الهامة[4].

---

(1) الدباغ: المصدر السابق، ج1 ص179.

(2) M.VONDERHEYDEN, La Berberie orientale, P140.

(3) M. TALBI, L'EMIRATE AGHLABIDE, P.233.

(4) الزركلي: الأعلام، ج4 ص247. و M.VONDERHEYDEN, OP. cit. P.140

و لم يقتصر أخذ ابن غانم عن العلماء المشارقة على السماع فقط بل أصبح ينظر في كثير من المسائل الفقهية و يجيب عليها[1]، كما روى عن سفيان الثوري و إسرائيل بن يونس حين زار الشام و العراق[2].

و سمع يزيد بن محمد الجمحي(ت 212 هـ/827 م) من أبي بكر بن عياش (و هو محدّث من الكوفة) و " جماعة من أهل الكوفة و أهل البصرة و أهل الشام "[3].

و بدون شك فإنّ هذا الفقيه حاور بعض أتباع أبي حنيفة و تبادل معهم الأراء، و ربما يكون قد أخذ عنهم بعض المسائل التي لا تتعارض مع مذهبه المالكي، كما يكون قد أخذ مسائل عن أتباع المذهب الشافعي أثناء و جوده بالشام.

و لمّا ذهب أسد بن الفرات إلى المشرق في طلب العلم سمع موطأ مالك بالمدينة، ثم زار العراق و أخذ من أصحاب أبي حنيفة منهم القاضي أبو يوسف و محمد بن الحسن و أسد بن عمرو. و سمع الحديث على يحي بن زكرياء بن أبي زايدة و المسيب بن شريك و هيثم بن بشير[4].

ويستنتج مما ذكرناه عن المذهبين الحنفي والمالكي بإفريقية الأغلبية طائفة من النتائج منها: أنّ الفقهاء المغاربة المالكّيين والأحناف كانوا في بداية الأمر ينهلون من فقه أبي حنيفة ومالك بن أنس، دون أن يثير ذلك إشكالا بينهم، فقد أخذ بالمذهبين كل من عبد الله بن فروخ وأسد بن الفرات مثلما سبق ذكره.

---

(1) عياض: المدارك، ج1 ص317-318.

(2) أبو العرب: طبقات علماء إفريقية، ص116. و الدباغ: المصدر السابق، ج1 ص216.

(3) أبو العرب: المصدر نفسه، ص168. و الدباغ: المصدر السابق، ج2 ص45. و المالكي: المصدر الـسابق، ج1 ص162.

(4) أبو العرب: المصدر السابق، ص163. و الدباغ: المصدر السابق، ج2 ص3.

ثم ظهر ال اع والخلاف بين فقهاء المذهبين حين قبل الفقهاء الأحناف بالمناصب السياسية في الدولة، كمنصب القضاء، وتشجيع بعض الأمراء الأغالبة للأحناف لما وجدوا من هؤلاء من تيسير في الفتوى.

كما كان لإستئثار الفقهاء الأحناف بمنصب القضاء أن زاد من الهوة بينهم وبين الفقهاء المالكّيين جعل هؤلاء-أي الفقهاء المالكّيين-يزهدون في هذا المنصب.

وكان بعض الحكام الأغالبة ينظرون إلى الفقهاء الأحناف كحلفاء ضدّ الفقهاء المالكّيين، مما سمح للفقهاء الأحناف باضطهاد هؤلاء، ولا أدل على ذلك حين تولىّ القاضي الحنفي أبو العباس محمد بن عبدون القضاء لإبراهيم بن الأغلب اضطهد المالكّية وقتل جماعة من بينهم إبراهيم بن المدني[1].

وكان موضوع خلق القرآن الذي يقول به المعتزلة وتبّناه بعض الأمراء الأغالبة كزيادة الله الأول، قد أجّج الصراع بين الأحناف والمالكّية، خاصة عندما أخذ به بعض الأحناف المتعصّبين كبشر المريسي وبن أبي دؤاد[2]، وهم في ذلك يناقضون ما جاء به الإمام أبي حنيفة نفسه حين إستنكر هذه المسالة[3].

وعلى الرغم من هذا الصراع الذي إستحكم بين فقهاء المذهبين، ظلّ في مجمله مرتبطا بالسلطة، وتمكين الأغالبة للفقهاء الأحناف وتقريبهم منهم، لكون المذهب الحنفي هو المذهب الرسمي للدولة، فرغم ذلك ظهر من بعض أتباع المذهبين من إنتقل إلى المذهب الآخر، فقد أصبح جبلة بن محمود(ت299هـ/911م) مالكّيا بعد أن كان حنفّيا، كما إنتقل سليمان بن عمران من المذهب الحنفي إلى المذهب المالكي[4].

---

(1) أنظر فيما سبق. ص66.

(2) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، دار الكتاب العربي، د.ت، ج13، ص 377.

(3) أنظر فيما سبق. ص68.

(4) عياض:تراجم، صفحات 279،99،91.

كما أنّ العداء الذي كان بين الطرفين، إلى حد أن البيت الذي بناه سحنون بالجامع ليقضي فيه بين الناس، كان إذا ولي حنفي هدمه وإذا ولي مالكي بناه من جديد[1]، لا يمكن تعميم ذلك على سوء العلاقة بين المذهبين، وإنّما مرد ذلك يرجع إلى بعض المتشدّدين.

ويرى الباحث الطيب بوسعد أن المصادر المالكية بالغت في وصف الصراع بين أتباع المذهبين الذي ليس له ما يبرره إلاّ الدوافع المذهبّية الضّيقة، وأنّ هذا الصراع الذي سيبقى قائما إلى أواخر القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، سيزول مع بداية القرن الخامس الهجري/الحادي عشر ميلادي[2].

وملخّص القول أنّ المذهب الحنفي لم يبلغ المرتبة التي إحتلّها المذهب المالكي في أوساط العامة، وظلّ -أي المذهب الحنفي- مرتبطا بالسلطة بعيدا عن إهتمامات الناس، بالإضافة إلى وقوع بعض الأحناف في أخطاء زادت من امتعاض المالكّيين لهم حين إعتنق بعضهم الإعتزال.

3- المذهب الشافعي[3]:

ظهر هذا المذهب أوّلا بالعراق، ثم عمّ إنتشاره مصر التي كان ا الإمام الشافعي والذي إستطاع أن يجمع حوله كثير من التلاميذ، كان أبرزهم المزني (ت204هـ/819م)[4].

---

[1] عياض: المدارك، ج2 ص600-601.

[2] بوسعد: الحياة الثقافية، ص93.

[3] ينسب هذا المذهب إلى محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان الشافعي.ولد بغزة بالشام سنة(150هـ/767م). حفظ موطأ مالك، ثم خالفه في بعض آرائه.كما إستبحر في فقه أبي حنيفة. أسّس لمذهبه الفقهي حينما ألّف كتـاب 'الرسالة'. ويقوم مذهبه على القرآن والسّنة والإجماع والقياس والإستصحاب. أنظر عنه، محمد أبو زهـرة، الـشافعي حياته وعصره، أراؤه وفقهه، ط2، دار الفكر العربي، مصر.و دائرة المعارف الإسلامية، مادة الـشافعي، مجلـد13. و الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد.

[4] تاج الدين السّبكي: طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق محمد محمود الطاحي وعبـد الفتـاح محمـد الحلـو،ط1، سورية،1964م،ج2ص93.

أمّا عن دخول المذهب إلى إفريقية، فلم نعثر على تاريخ محدد لذلك، فقد وردت عبارة غامضة عند القاضي عياض حول هذا الدخول حين يقول: " وكان بالقيروان قوم قلّة في القديم أخذوا بالمذهب الشافعي"[1].

كما ينفي المستشرق ألفرد بل أن يكون للمذهب الشافعي أتباع بالمغرب[2]. ويؤيد المستشرق شاخت في دائرة المعارف الإسلامية هذا القول حيث يؤكد أنّ القيروان الأغلبية عرفت فقط المذهبين الحنفي والمالكي دون المذهب الشافعي[3].

ويرجح الباحث الطيب بوسعد هذا الإهمال إلى قلّة عدد الشافعّيين بافريقية وضعف تأثيرهم. ويرى أنّ المذهب الشافعي قد دخل بلاد المغرب انطلاقا من مصر التي كان يمر ا الطلبة المغاربة نحو المشرق،و أخذوا ا عن علمائها هذا المذهب، حيث أخذ أبو عبد الله البجلي عن الربيع بن سليمان و المزني أثناء وجوده بمصر[4].

وقد أورد المؤرخ الخشني أسماء الفقهاء الشافعيين بالمغرب وهم: أبو عبد الله البجلي محمد بن علي الذي كان يغلب عليه مذهب الشافعي، وكان ي ع إلى مذهب المزني-تلميذ الشافعي بمصر- في بعض المسائل[5]، وأبو إبراهيم إسحاق بن نعمان (ت315هـ/927م) وقد نزع إلى المذهب الشافعي بعد أن كان مالكيا متعصبا[6]، وأبو العباس بن السندي الذي كان مذهبه مذهب الشافعي[7]، عبد المالك بن محمد الضبي المعروف بابن البرذون الذي كان على مذهب الشافعي حيث كان "به معنيا"[8]، وأبو عثمان سعيد بن الحداد

---

(1) عياض: المصدر السابق، ج1 ص54.

(2) ألفرد بل: الفرق الإسلامية، ص129.

(3)J.Shacht, Articles, Aghlabides, Vie Religieuse, Encyclopedie de l'Islam, T1.p257

(4) بوسعد: المرجع السابق، ص100-101.

(5) الخشني: طبقات علماء إفريقية، ص213.

(6) المصدر نفسه، ص 214.

(7) المصدر نفسه، ص217.

(8) المصدر نفسه، ص218.

(ت302هـ/914م) الذي يعد أشهر من مال إلى المذهب الشافعي، وان ميله إلى هذا المذهب كان اجتهادا منه ولم يكن تقليدا حيث كان كثيرا ما يخالفه[1].

ويبدو من تراجم هؤلاء أنّ المذهب دخل إلى المغرب مع أواخر العصر الأغلبي مثلما هو موضّح من تاريخ الوفاة للبعض منهم، الشيء الذي يبّين أنّه جاء لاحقا للمذهبين المالكي والحنفي، كما يفسّر ضعف إنتشاره بالمغرب بالمقارنة مع المذهب المالكي الذي تمسّك به الناس أكثر من غيره من المذاهب الأخرى[2].

وقد أكّدت بعض المصادر أنّ فقهاء المالكّية صّنفوا تأليف للرد على الشافعي وتلاميذه من بعده،فقد صّنف أبو عمر يوسف بن يحي المغامي (ت 288هـ/900م) عشرة أجزاء في الرد على الشافعي[3]،كما ألّف محمد بن سحنون كتابا يرد فيه على الشافعي[4].

وتبقى هذه التصانيف في الرد على الشافعي-في نظري- في إطارها الفقهي لتوضيح وجهة نظر المالكية فيما جاء به الشافعية من مسائل وليس قدحا في أتباع هذا المذهب. خاصة وأنّ أصول كلا المذهبين يلتقيان في القرآن والسّنة والقياس والإجماع.

ونستخلص مما سبق أنّ إنتشار المذهب الشافعي بإفريقية ظلّ محدودا، لدخوله متأخّرا إليها، ولتغلغل المذهب المالكي في أوساط العامة. ورغم ذلك كان للمذهب الشافعي أتباعه بالمغرب وإن كانوا قلة، وساهم في الحركة الفقهية التي عرفتها إفريقية في عصر الأغالبة، وإن كانت هذه المساهمة من قبل هذا المذهب ضعيفة للأسباب السالف ذكرها.

---

(1) الدباغ: معالم الإيمان، ج2 ص295.و بوسعد: الحياة الثقافية، ص101

(2) بوسعد: المرجع نفسه، ص102.

(3) الشيرازي،: طبقات الفقهاء، تحقيق إحسان عباس، ط2، دار الرائد العربي،بيروت، 1981، ص300.

(4) عياض: تراجم أغلبية، ص 173.

4- المذهب الحنبلي[1]:

لم تشر المصادر العربية المهتمة بالمذاهب الإسلامية بشكل واضح إلى إنتشار المذهب الحنبلي بإفريقية، وكل ما عثرنا عليه في ثنايا هذه المصادر حول دخول هذا المذهب أرض المغرب، عبارة عن إشارات بسيطة.

فقد ذكر المالكي أن بعض أصحاب سحنون وهو شيبة بن زنون(ت286هـ/899م) أقام عرسا و دعا جماعة من أصحابه منهم أحمد بن نمير شيخ من أهل المشرق من أصحاب أحمد بن حنبل، وكان قد قدم عليهم سابقا والناس يسمعون منه العلم[2].

وإعتمادا على هذا النص يرجّح بوسعد وصول العالم الحنبلي إلى إفريقية في عهد الإمام سحنون، أي قبل وفاة هذا الأخير في (240هـ/854م)أو قبل سنة (286هـ/ 899م) و هو تاريخ وفاة صاحب ذلك العرس[3].

كما يذكر الأستاذ خالد كبير علال أن المذهب الحنبلي دخل إلى بلاد الأندلس على يد بقي بن مخلد (ت 276هـ/ 899م)[4].

ومن المرجّح أن يكون المذهب قد إنتقل إلى إفريقية في تلك الفترة، وإن كان ذلك يبقى مجرد تخمين.

---

(1) ينسب هذا المذهب إلى صاحبه أحمد بن محمد بن أحمد بن حنبل(ت241هـ/855م).ولد ببغداد.صحب الشافعي وأخذ عنه.يعتمد مذهبه في الفقه على الحديث. بالإضافة إلى بغداد، فقد إنتشر المذهب في بـلاد الـشام ثم بالبـصرة وخراسان وبلاد فارس.أنظر عنه: الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد. وابن فرحون: الديباج. وخالد كبير علال: الحركة الحنبلية وأثرها في بغداد، رسالة ماجستير، إشراف د. محمد بن عميرة، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1996.

(2) المالكي: رياض النفوس، ج1 ص442.

(3) بوسعد: المرجع السابق، ص109.

(4) أنظر:الحركة الحنبلية، ص40

نستخلص من هذا أنّ المذهب الحنبلي لم يكن له أتباع بارزين بالمغرب. وبمعنى آخر لم يكن له وجود جماعي وإنّما كان له وجود فردي في وسط أهل العلم. الأمر الذي يجعله في مرتبة ثانوية من حيث الإنتشار بأرض المغرب لغلبة المذاهب الأخرى كالمالكي و الحنفي.

5- المذهب الظاهري[1]:

لم يكن لهذا المذهب ، الذي عرفته العراق وبلاد فارس، حظا في الإنتشار بإفريقية في العصر الأغلبي، ولم يكن له رواج بين أهل المغرب،حيث قال القاضي عياض :"ودخل شيئ من مذهب داود، والغالب إذ ذاك مذهب المدينة والكوفة"[2].

وكان دخول هذا المذهب إلى المغرب عن طريق بعض العلماء، منهم أبو جعفر بن خيرون (ت 234هـ/848م) الذي أدخل بعض من كتب داود إلى القيروان[3]، وأبو القاسم بن مسرور المعروف بإبن المشاط الذي إعتنق مذهب داود[4].

و لم تحفل المصادر العربية المشرقية والمغربية منها بذيوع هذا المذهب بالمغرب، مما يبيّن قلّة مريدي وأتباع هذا المذهب بالمغرب.

ويعتبر عزوف المغاربة عن إتباع هذا المذهب، إلاّ النـر القليل منهم، في رأيي، إلى تمسك هذا المذهب بظواهر النصوص ملغيا الرأي والقياس والاجتهاد، الأمر الذي جعل هذا المذهب يظهر بإفريقية ثم يندثر مثله مثل مذهبي الشافعي والأوزاعي[5].

وعلى ذكر المذاهب التي ظهرت بإفريقية وإندثرت، نذكر مذهب الأوزاعي[6] الذي كان له بعض الأتباع بإفريقية، ومنهم من أخذ العلم عن صاحب المذهب عبد الرحمن

---

(1) ينسب هذا المذهب إلى أبي سليمان بن علي الأصبهاني (ت270هـ/883م).يعتمد في مذهبه على ظاهر النصوص من قرءان وحديث.وقد ألغى الرأي والقياس و الإجتهاد. إنتشر المذهب بالعراق ثم ببلاد فارس.أنظر عن هذا المذهب: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد.و الزركلي: الأعلام،ج6.

(2) عياض: المدارك، ج1 ص54.

(3) الخشني: طبقات علماء إفريقية، ص175.

(4) عياض: تراجم أغلبية، ص415.

(5) عبد العزيز المجذوب: الصراع المذهبي بإفريقية، ص87.

(6) نسبة إلى الفقيه والمحدّث عبد الرحمان الأوزاعي (ت157هـ/744م) ويعود موطنه إلى بلاد الشام. أنظر الزركلي: الأعلام، ج3

الأوزاعي، كيزيد بن رباح بن يزيد اللخمي(ت 173هـ /789م)[1] ،و عبد الله بن يزيد أبو عبد الرحمن المقرئ(ت 213هـ/828م) الذي لقي الأوزاعي بالشام[2].

وعلى الرغم من تغلغل هذا المذهب في إفريقية الأغلبية، إلاّ أنّ إنتشاره ظلّ محدودا فلم نعثر في المصادر على أثر فقهي لهذا المذهب أو تأليف لأتباعه، إلاّ ال ر القليل، حيث أشار القاضي عياض أنّ الفقيه أحمد بن يلول (ت 262هـ/875م) قد ألّف كتاب " فضائل الأوزاعي"[3].

وهكذا يمكن تفسير محدودية إنتشار هذا المذهب بإفريقية إلى العدد القليل ممّن دان ـذا المذهب، بالإضافة إلى زهد المغاربة فيه.

كما عرفت إفريقية الأغلبية مذهب سفيان الثوري[4]، وقد سمع بعض من فقهاء إفريقية عن هذا الإمام، كعبد الله بن غانم و علي بن زياد والبهلول بن راشد وعبد الله بن فروخ[5].

وقد عرف سفيان الثوري بإفريقية بجامعيه الصغير والكبير، حيث" سمع البهلول بن راشد جامع سفيان الصغير من أبي الخطاب الكندي وأبي خارجة عنبسة بن خارجة، والجامع الكبير من علي بن زياد"[6].

---

(1) المالكي: الرياض، ج1 ص 210-211.

(2) أبو العرب: طبقات علماء إفريقية، ص120-121.

(3) عياض: تراجم أغلبية، ص302.

(4) عرف الإمام سفيان الثوري كونه فقيها ومحدّثا، وكان بالكوفة ومكة، أنظر الزركلي: الأعلام، ج3ص320.

(5) عياض: المصدر السابق، صفحات 22 ، 27، 40.

(6) المصدر نفسه، ص28.وجامع سفيان الصغير والكبير هما مصنفان في الحديث.

ورغم سماع عدد من المغاربة عن هذا الإمام، إلاّ أنّ هذا المذهب لم يلق الإنتشار بإفريقية لقلّة مريديه وأتباعه، وبالتالي فإنّ كلا المذهبين الأوزاعي والثوري إندثرا بإندثارهما حتى بالمشرق[1].وهناك من يرجع هذا الإندثار إلى إختصاصهما في الحديث أكثر من الفقه[2].

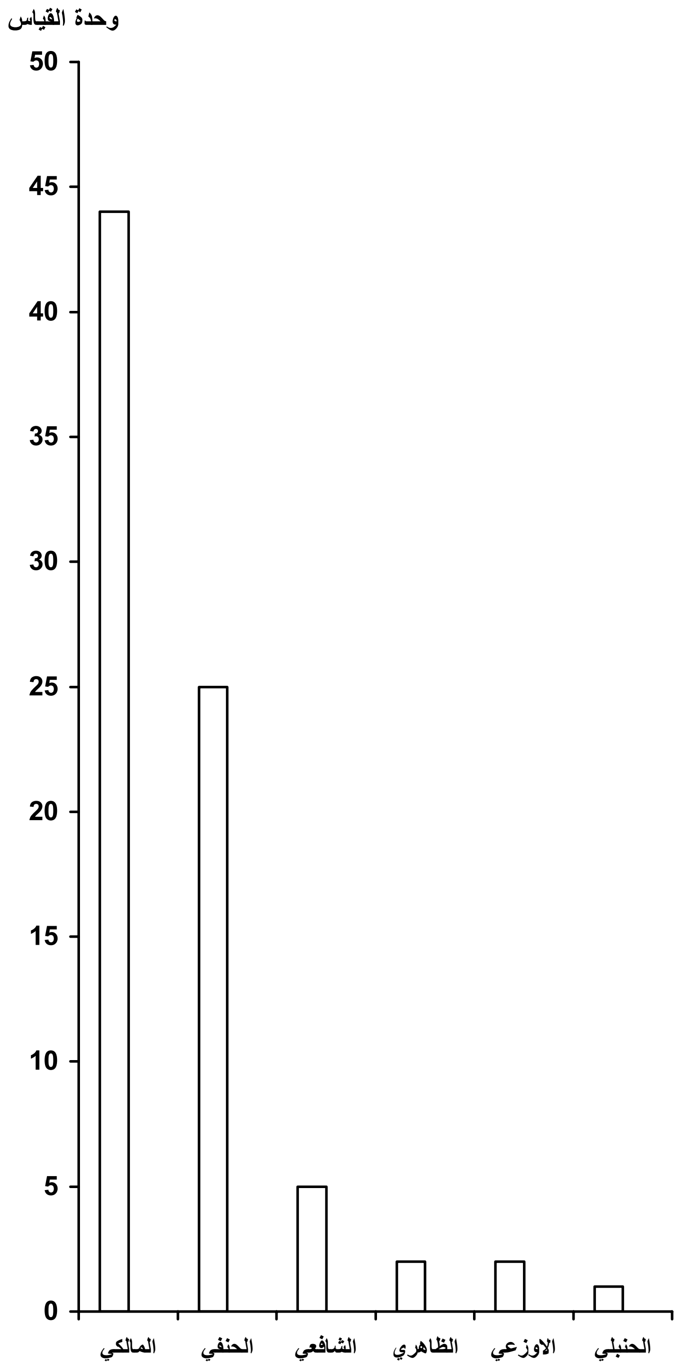
وفيما يلي جدول عام لرجال هذه المذاهب التي أتينا على ذكرها، مع رسم بياني لذلك.

العدد	عدد رجال كل مذهب
25	**- المذهب الحنفي**
44	**- المذهب المالكي**
05	**- المذهب الشافعي**
01	**- المذهب الحنبلي**
02	**- المذهب الظاهري**
02	**- المذهب الأوزاعي**

(1) ابن فرحون: الديباج، ص48.

(2) بوسعد: الحياة الثقافية، ص115. كما عرفت إفريقية مذاهب أهل الحديث و الإعتزال والإرجاء ولكن لم يكن لها أثر كبير في الحياة الفكرية لإفريقية بسبب محدودية من اعتنق هذه المذاهب.

رسم بياني لعدد رجال هذه المذاهب



يتبين من خلال هذا الرسم البياني مدى تغلغل الذهب المالكي في افريقية والمغرب عامة، قياسا إلى المذاهب الأخرى.

ثانيا : دور علماء المذاهب الفقهية بإفريقية في الفقه والتفسير والحديث و القراءات

حفل القرنان الثاني والثالث الهجريان/ الثامن والتاسع الميلاديان بعدد كبير من الفقهاء والمفسّرين والمحدّثين المغاربة، وأصبحوا ينافسون حتى أصحا م المشارقة في هذه العلوم بتأليفهم لمصنفات عديدة تدل على إستبحارهم وعلو كعبهم في العلوم الشرعية.

1- دور علماء إفريقية في علم الفقه:

ظهر الفقه بظهور الإسلام، وكانت حاجة الناس إليه ولا تزال نابعة من كون الإسلام هو مجموعة من الأحكام والعقائد العملية، يستجلّون ا أمور دينهم ودنياهم.

ويعرّف ابن خلدون الفقه بأنه "معرفة أحكام الله تعالى في أفعال المكلّفين بالوجوب والحظر والندب و الكراهة والإباحة، وهي متلقّاة من الكتاب والسّنة، وما نص به الشارع لمعرفتها من الأدلة. فإذا استخرجت الأحكام من تلك الأدلة قيل لها فقه"[1].

من هذا التعريف نستنتج أنّ الفقه هو الأحكام الشرعية المستنبطة من الكتاب والسّنة والاجتهاد.

وتزامن دخول الفقه الإسلامي إلى إفريقية مع بعثة الخليفة عمر بن عبد العزيز (99هـ-100هـ/717م-720م) العلمية إلى إفريقية والمكوّنة من عشرة فقهاء[2] وذلك في أوائل القرن الثاني للهجرة/ الثامن للميلادي.

وكان هدف هؤلاء الفقهاء تعليم أبناء أهل المغرب، وتفقيههم في الدين الإسلامي الذي كانوا –أي أبناء البربر- على بداية العهد به، رغم جهود الصحابة والتابعين الذين

---

[1] ابن خلدون: المقدمة، المطبعة البهية، مصر، د.ت، ص312.

[2] أنظر الجدول ص 46.

وفدوا على إفريقية في القرن الأول الهجري/ السابع الميلادي أثناء الفتوحات، في تعليم أهل المغرب[1].

ويكفي التدليل على بساطة فهم أهل المغرب للأمور الفقهية في تلك الفترة، أنّ الخمر كان مباحا بإفريقية إلى أن جاء هؤلاء الفقهاء العشرة، فعرف الناس أنّها حرام[2] ، فإنتفع أهل إفريقية بعلمهم[3]. وكان لهذه البعثة العلمية الفضل في تأسيس مدرسة القيروان الفقهية[4].

ومن فقهاء إفريقية الذين برزوا في عصر الولاّة نذكر الفقيه خالد بن أبي عمران التجيبي (ت 127هـ/744م) الذي أخذ العلم عن بعض التابعين منهم القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق (ت 101هـ/719م)[4] ،وسالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب (ت 106هـ/724م)[5] ، وسليمان بن يسار (ت 110هـ/728 م)[6]. وكانت نتيجة أخذه عن هؤلاء أن دوّن عنهم كتابا كبيرا في الفقه[7].

ومن فقهاء إفريقية في هذه الفترة كذلك علي بن زياد العبسي(ت 183هـ/799م) الذي يعد مؤسس المدرسة الفقهية بإفريقية وقد "سمع من مالك وسفيان الثوري والليث بن سعد"[8]. وهو أوّل من أدخل الموطأ إلى المغرب[9].

---

(1) أبو العرب: طبقات علماء إفريقية، ص73 وما بعدها .

(2) محمد العروسي المطوي: سيرة القيروان، رسالتها الدينية والثقافية في المغرب الإسلامي، الـدار العربيـة للكتـاب، تونس، 1980، ص22.

(3) المالكي: الرياض، ج1 ص 100-118.

(4) أحمد بدر: هجرة الثقافة من المشرق إلى المغرب، ص86.

(4) ابن سعد: الطبقات الكبرى، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بـيروت، لبنـان، 1990م، ج5 ص142

(5) ابن سعد: المصدر السابق، ج5 ص149.

(6) المصدر نفسه، ج5 ص132.

(7) أبو العرب: المصدر السابق، ص213.

(8) عياض: المدارك، ج1 ص326.

(9) المصدر نفسه، ج1 ص 326.

وبنقل ابن زياد موطأ مالك إلى إفريقية، والإضافات التي أدخلها عليه بدأت تتوضّح ملامح الإجتهاد عند الفقهاء المغاربة الذين أصبحوا لا يعتمدون على تلقي هذا العلم -أي علم الفقه-عن علماء المشرق الوافدين على إفريقية فحسب، بل إنتقلوا إلى مرحلة التدوين والرحلة إلى المشرق للإستزادة منه[1].

وقد حوى موطأ بن زياد على أربعة عشر باباً في فقه المعاملات هي: الضحايا، العقيقة، الذّكاة، ذكاة الجنين، ذبح أهل الكتاب، طعام ا وس، الإستمتاع بجلود الميتة والسباع وشعر الخ ير، أكل المضطر للميتة، أكل السباع والطير وغيرها، أكل الدواب، ما تموت فيه الفأرة، صيد البحر، الصيد، الذبائح[2].

وتنمّ هذه الأبواب الواردة في موطأ ابن زياد عن ثراء الفقه المالكي المرتبط بحياة الناس، حتى عدّه-أي موطأ بن زياد- الشاذلي النيفر" أول تأليف في الإسلام ثم أول تأليف في إفريقية، وأول رواية للموطأ ظهر على وجه الأرض ظهرت في القرن الثاني هجري"[3].

ولمكانة علي بن زياد الفقهية أن كان يؤخذ برأيه، وكان أهل العلم بالقيروان إذا إختلفوا في مسألة كتبوا ا إليه ليعلمهم بالصواب[4].

ومن أشهر من روى الفقه عن الإمام مالك نذكر عبد الله بن فروخ(ت175هـ/791م)، وللدلالة على مكانته العلميّة، فإنّ مالك بن أنس نظر يوما إلى ابن فروخ وقال:"هذا فقيه بلده"[5].

---

(1) بوسعد: الحياة الثقافية، ص152.

(2) علي بن زياد: موطأ الإمام مالك، قطعة منه برواية علي بن زياد، تحقيق محمد الشاذلي النيفـر، ط4، دار الغـرب الإسلامي، بيروت، 1982م، ص119- 226.

(3) المصدر نفسه، مقدمة التحقيق، ص09.

(4) عياض: المدارك، ج1 ص 326.و.ح.ح عبد الوهاب: ورقات، ص 41-42.

(5) المالكي: الرياض، ج1 ص 177. و الدباغ: المعالم، ج1 ص 239.

ومنهم أيضا البهلول بن راشد(ت183هـ/799م) الذي سمع من مالك، وكان يميل أحيانا إلى قول سفيان الثوري[1]، وسمع كذلك من عبد الرحمان بن زياد بن أنعم [2].

كما سمع أبو خارجة عنبسة بن خارجة الغافقي(ت210هـ/825م) من مالك وسفيان الثوري[3]، وغيرهم ممن سمع عن مالك مباشرة[4].

ويبدو من خلال طبقة هؤلاء الفقهاء المغاربة أ م توصّلوا إلى أن يكون لهم تصانيف خاصة م في الفقه، رغم حداثتهم ذا العلم، فقد كان الفقيه شقران بن علي الهمذاني(ت186 هـ/804 م) ، عالما بالفرائض[5]، وكان له فيها كتاب"لم يوجد عند غيره"[6].

وقد كان لهذه الطبقة الفضل في تكوين نخبة من الفقهاء المغاربة كان لهم باع في الدراسات الفقهية بإفريقية في العصر الأغلبي، وعلى رأسهم: الإمامان أسد بن الفرات و سحنون بن سعيد.

وقد برز في هذا العصر في البداية الفقيه عبد الله بن غانم القاضي(ت190هـ/805م) الذي كان يوجه أبا عثمان حاتم بن عثمان بمسائله أيام قضائه إلى مالك فيما ي ل به من نوازل الخصوم، فيأخذ له عليها الأجوبة[7].

---

(1) المالكي: المصدر السابق، ج1 ص201.

(2) أبو العرب: طبقات علماء إفريقية، ص126. و الدباغ، المعالم، ج1، ص280.

(3) عياض: تراجم أغلبية، ص78. و ابن فرحون: الديباج، ص270.

(4) أنظر الصفحة الموالية جدول عن علماء المغرب الذين رووا الفقه مباشرة عن الإمام مالك بن أنس.

(5) بن خلدون: المقدمة، ص810.

(6) أبو العرب: المصدر السابق، ص 139.

(7) عياض: المدارك، ج1 ص318.

وفيما يلي جدول يبين الفقهاء المغاربة الذين رووا عن الإمام مالك بن أنس[1].

1-البهلول بن راشد	21-صالح بن عبد الله القروي
2-عبد الله بن أبي حسان اليحصبي	22-عبد المؤمن بن المستنير الحزيري
3-عبد الله بنفروخ الفارسي	23-عبد الملك بن أبي كريمة
4-البهلول بن عمر بن صالح التجيبي	24-عنبسة بن خارجة الغفاقي
5-خالد بن يزيد الفارسي	25-علي بن يونس الليثي المدني
6-الأقرع بن بكار النضيري	26-أبو القاسم الزواوي
7-أبو عثمان حاتم بن عثمان المعافري	27-عمر بن حكم اللخمي
8-شجرة بن عبد الله القروي	28-عمر بن سمك بن حميد
9-سويد بن محمد القروي	29-أبو الحطاب محمد بن عبد الله الاعلى الكندي
10-صقلاب الهمذاني	30-معاوية بن الفضل الصمادحي
11-أبو العباس عبد الرحيم بن الأشرس	31-يحي بن زكرياء التجيبي
12-رباح بن ثابت الازدي	32-يزيد بن محمد الجمحي
13-الحارث بن أسد القفصي	33-مطرف بن الاقرع
14-زرارة بن عبد الله	34-محمد بن عبد الله بن قيس الكناني
15-زكرياء بن الحكم اللخمي	35-محمد بن يسوتا
16-عباس بن الوليد الفارسي التونسي	36-موسى بن عبد الله القروي
17-عبد الله بن أبي عنسان	37-يحي بن سلام البصري
18عب الرحمن بن الجهم الخولاني	38-محمد بن الحكم اللخمي
19-أبو طالب عبد الله بن عثمان الأبزازي المعافري	-الفقهاء المغاربة الذين رووا الموطأ عن الإمام مالك. 39-علي بن زياد التونسي 40-عبد الله بن غانم الرعيني 41-أسد بن الفرات 42-محمد بن معاوية الحضرمي الطرابلسي القروي 43-عيسى بن شجرة التونسي 44-خلف بن جرير ين فضالة القروي.
20-زيد بن بشر الازدي	

[1] أنظر المصادر الآتية: المالكي، الرياض، ج1 ص176 وما بعدها. أبو العرب: طبقات علماء إفريقية، ص107 و ما بعدها. عياض: المدارك، ج1 ص259 وما بعدها.

ويعدّ أسد بن الفرات أوّل من نشر المذهب الحنفي[(1)] و المالكي في المغرب، معتمدا في نشر الأخير على موطأ الإمام مالك. وقد سمع أسد الموطأ أوّل الأمر من علي بن زياد" بعد أن ارتحل من مجردة إلى تونس"[(2)]، ثم قام برحلة إلى المشرق، فذهب إلى المدينة وقرأ على مالك بن أنس، ثم ذهب إلى العراق وتعرّف على تلامذة أبي حنيفة، ثم رحل إلى مصر وقرأ على محمد بن القاسم.

ولمّا عاد إلى القيروان عام 181هـ/797م كانت شهرته قد ذاعت لرسوخ كعبه في الفقه[(3)]، وتتلمذ على يديه عدد من كبار العلماء كالإمام سحنون وأمثاله، مثل محمد بن وهب ومحمد بن قادم وأبي المنهال وسلمان بن عمران، ثم تصدّى للتدريس ونشر العلم وكان طلبته من فئات مختلفة، منهم طلبة ملازمون ومنهم فلاّحون يأخذون عنه من وقت لآخر[(4)].

وألّف أسد بن الفرات كتاب الأسدية[(5)] الذي أصبح مرجعا للدارسين لمذهب مالك بالمغرب.

وممن برز من الفقهاء في تلك الفترة: أبو محمد عبد الله بن أبي حسان اليحصبي (ت227هـ/841م)، فقد كان إضافة إلى تبحّره في العلوم الدينية نتيجة سماعه من علماء عصره، كعبد الرحمان بن زياد، ضليعا في الفقه خاصة[(6)].

---

(1) أنظر فيما سبق، إنتشار المذهب الحنفي ص65-66.

(2) المالكي: المصدر السابق، ج1 ص 173. وميخائيل أماري: المرجع السابق، ص 438. و ح.ح عبـد الوهـاب خلاصة تاريخ تونس، ط3، دار الكتب الشرقية، تونس، د.ت، ص67.

(3) دائرة المعارف الإسلامية: مادة أسد بن الفرات، ج2 ص 105.

(4) رابح بونار: المغرب العربي تاريخه وثقافته، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1968، ص72.

(5) أنظر مبحث حركة التآليف في الفصل الثالث.

(6) الدباغ: المصدر السابق، ج2 ص 37.

وبرز الإمام سحنون بن سعيد التنوخي(160هـ-240هـ/776م-854م) الذي تمتع بنفوذ كبير في المجتمع الإفريقي[1]، وتزعم المدرسة المالكية بعد وفاة أسد بن الفرات وقد أخذ العلم وتفقه بالقيروان على يد خيرة علماء القيروان وخاصة أبي خارجة والبهلول بن راشد وابن أبي حسان وابن غانم وابن أشرس وابن أبي كريمة، ومعاوية الصمادحي وأبي زياد الرعيني[2].

وأتمّ دراسته بالقيروان على يد علي بن زياد، وبفضل كتابه-المدوّنة-"إنتشر فقه مالك بالمغرب"[3]، إذ لمّا أدّى سحنون فريضة الحج وزار المدينة والشّام، أخذ العلم من أبرز أتباع مالك، وعاد إلى القيروان عام (191هـ/806م)، وجعل همّه نشر آراء مالك، وشرح هذه الآراء في مصنف كبير هو المدونة، معتمدا على نص أسد بن الفرات شارحا إيّاه بسؤال عبد الرحمان بن القاسم تلميذ مالك بمصر[4].

كان تأثير سحنون عظيما في معاصريه وفي من أتى بعده، وتأثيره يتجلّى فيما خلّفه من أثر علمي خاصة مدونته الفقيهة السالفة الذكر، حتى أنّ أحد العلماء وهو حمديس القطان يقول أنّه سمع عن سحنون العلم سنة (191هـ/806م)، و"كان العلم في صدره كسورة من القرآن"، وقال أحد الفقهاء وهو أبو بكر بن اللّباد: قال لنا أبو سعيد بن عمرو بن يزيد:"أول ما تعلّمت العلم مسائل الصلاة من سحنون، ولئن قلت لك أنّ سحنون أفقه من

---

[1] BRUNCHVIG: la tunisie dans le haut moyen age, sa place dans l'histoire, le caire, 1948.p20.

[2] المالكي: المصدر السابق، ج1 ص 250. و الدباغ: المصدر السابق، ج2 ص53. و عياض: ترتيب المدارك، ج2 ص586. و ابن فرحون: الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، ط1، مصر، 1351هـ، ص160. وسعدي أبو حبيب: سحنون مشكاة علم ونور، ط1، دار الفكر، دمشق، 1981م، ص24.

[3] الشيرازي: طبقات الفقهاء، بغداد 1356هـ، ص123. و ابن فرحون: المصدر السابق، ص162. و عياض: المصدر السابق، ج2 ص592. و ابن خلكان: المصدر السابق، ج3 ص 182.

[4] أنظر دائرة المعارف الإسلامية: مادة سحنون، ج11ص329 وما بعدها.

أصحاب مالك بن أنس"[1]، وهذا دليل على م لة الإمام سحنون الفقهية في المغرب والأندلس.

لقد أتى قوم من الأندلسّيين كتبوا المدّونة وأرادوا سماعها من سحنون، فإعتذر هذا الأخير، فقال أحدهم:" إّنا قد كتبناها فما نصنع ا؟ لئن لم تسمعناها لنطرحّنها في هذا الغدير!"[2]، مما يبّين أ م كانوا حريصين على سماعها من صاحبها ولم يكتفوا بتدوينها فقط، وذلك حتى يستفيدوا من الأسئلة التي سوف يجيبهم عنها صاحبها، وحتى يضبطوها عنه مباشرة.

ونظرا لتأثير الإمام سحنون في فقه المغرب عامة، فإنّ وفاته كان لها صدى لا ينسى ورثاه الشعراء، ومن هؤلاء عبد الملك بن نصر الذي رثاه بقصيدة مطلعها:

من يبصر البرق فوق الأفق قد لمعا تسربل ثوب الليل و أدّرعـ ـ ـ ـا

ولي لعمري، بأرض المغرب قاطبة مّيت له البدو و الحضّار قد خشـ ـعا

له أنت إذا ما هاب فاصلـ ـ ـه من الفضاء كليل الحد فارتـ ـ ـدعا

هناك برزت يا سحنون منفـ ـردا كسابق الخيل لمّا بان فانقطـ ـ ـ ـعا

فإذهب فقيدا حباك الله جّنتـ ـه واحصـ ـد من الخير ما كنت مزدرعا[3]

هذا ويعدّ الإمام سحنون بحق موطّد مدرسة الفقه المالكي بإفريقية والمغرب عامة، كما كان الأسوة الحسنة لمن جاء بعده من العلماء في دراسة العلوم الفقهية وشرح أصول السّنة التي ثبت عليها ا تمع[4].

---

[1] المالكي: المصدر السابق، ج1 ص 253-254.

[2] المصدر نفسه، ج1 ص267.

[3] المالكي: المصدر السابق ، ج1 ص290.

[4] د.إبراهيم التهامي: المرجع السابق، ص147.

وبوفاة الإمام سحنون ينتهي الجيل الأول من علماء المغرب الذين عملوا على نشر مذهب أهل السّنة ووقفوا في وجه أصحاب الأهواء من المذاهب العقدّية الأخرى. كما أن هذا الجيل من العلماء الذين أخذوا العلم عن مالك وأصحابه أو الذين عاصروه و لم يتمكنوا من لقائه لقلّة الحاجة أو لظروف أخرى مثلما هو حال الإمام سحنون الذي لم تسمح له ظروفه بالذهاب إلى الحجاز ومقابلة مالك واكتفى بالأخذ عن كبار تلاميذه مثلما سبق ذكره[1].

ومن هؤلاء العلماء الذين جاؤوا بعد سحنون الفقيه ابن سهل القبرياني(ت284هـ/862م) الذي سمع من سحنون ومحمد بن يحي بن سلام وأسد بن الفرات، وكان عالما بمذهب مالك بن انس[2]، وأبو عثمان سعيد بن عباد السرتي، وأبو سليمان داوود يحي الصواف(ت249هـ/863م) الذي تفقّه على يد موسى بن معاوية وابن غانم وعباس الفارسي وكامل بن طلحة وابن أبي كريمة[3].

وكان أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن عبدوس(ت260هـ/873م) من كبار أصحاب سحنون وهو"رابع المحمدين الذين اجتمعوا في عصر واحد من أئمة مذهب مالك، اثنان مصريان، ابن عبد الحكم، وابن المواز، واثنان قرويان، ابن عبدوس وابن سحنون"[4] و"كان إماما في الفقه، وأشبه الناس بأخلاق سحنون في فقهه وزهادته"[6].

أمّا محمد بن سحنون(ت256هـ/866م) فقد" كان إمام عصره في مذهب مالك بالمغرب"[7]، وكان له دور بارز في الدروس الفقيهة-على هذا المذهب-التي كان يخص ا

(1) د.إبراهيم التهامي: المرجع السابق، ص149.

(2) عياض: المصدر السابق، ج2 ص95. و الدباغ: المصدر السابق، ج2 ص 72. و الخشني: قضاة قرطبة وعلمـاء إفريقية، نشر وطبع عزت العطار الحسيني، 1372هـ، ج1 ص183.

(3) الدباغ: المصدر السابق، ج2 ص78.

(4) ابن فرحون: المصدر السابق، ص273. و عياض: ترتيب المدارك، ج2 ص119.و ح.ح. عبد الوهاب، ورقات ص50.

(6) عياض: المصدر السابق، ج2 ص119- 120 .

(7) ابن فرحون: المصدر السابق، ص235. و عياض: المصدر السابق، ج2 ص 105.

طلبته. وكان جامعا لفنون العلم حيث ألّف كتبا كثيرة تقارب المائتين في شتى فنون العلم حسب ما جاء عند القاضي عياض[1]، الشيء الذي نستنتج منه أنّ محمد بن سحنون كانت له نشاطات حثيثة في ميدان الفقه والتعليم، حيث كانت "له حلقة غير حلقة أبيه"[2] وبالإضافة إلى تفقهه على يد أبيه سحنون فقد تفقّه أيضا على يد موسى بن معاوية الصمادحي وعبد العزيز بن يحي المدني وعبد الله بن أبي حسان اليحصبي[3].

وتتجلى مآثر محمد بن سحنون الكبرى في تأييده لتعاليم أبيه، وشرحها ونشرها بين الناس، ولا سيما سعيه في تثبيت أراء مذهب مالك في سائر أنحاء المغرب الإسلامي، حتى صار إسم مالك بن انس مقرونا باسم آل سحنون[4].

لمّا توفي محمد بن سحنون وعمره لم يتجاوز أربع وخمسون سنة رثاه أحمد بن أبي سليمان بقصيدة حوت ثلاثمائة بيت مطلعها:

ألا فابك للإسلام إن كنت باكيا   لحبل من الإسلام أصبح واهيا

تثلّم حصن الدين و إ ـدّ ركـنه   عشية أمسى في المقابر ثاويـ ـا

إمام حباه الله فضلا وحكمـة   وفقهه في الدين كهلا و ناشيـا[5]

نلمس من خلال المصادر التي بين أيدينا أنّ الطبقة الأولى من العلماء والفقهاء أمثال أسد بن الفرات والبهلول بن راشد و سحنون وغيرهم ، أخذت العلم مباشرة من مالك أو عن طريق تلاميذه بمصر والحجاز، أو عن تلاميذ أبي حنيفة بالعراق أو أولئك التابعين الذين

---

(1) أنظر المدارك: ج2 ص105. وسنبرز مجالات هذه التآليف حين نعرض لمحور التآليف في الفصل الثالث.

(2) المالكي: المصدر السابق، ج1 ص 345.

(3) المصدر نفسه، ج1 ص 346. و الدباغ: المصدر السابق، ج2 ص79.

(4) محمد بن سحنون: آداب المعلمين، تحقيق ح.ح. عبد الوهاب، دار الكتب الشرقية، ط2، مطبعـة المنـار تـونس 1972م، ص28.

(5) المالكي: المصدر السابق، ج1 ص 357. و عياض: المصر السابق، ج2 ص118.

جاؤوا إلى إفريقية مع عمليات الفتح واستقروا به، وكانوا محل إحترام من طرف تلاميذهم الذين برعوا في العلوم الفقهية والدينية عامة، وكان عددهم لا يحصى من كثر م وشيوع منابع العلم والمعرفة في هذه الفترة (أي في القرنين الثاني والثالث الهجريين/الثامن والتاسع الميلاديين). من هؤلاء أبو جعفر أحمد بن لبدة (ت261هـ/874م) الذي تفقه على يد الإمام سحنون، وأبو زكرياء يحي بن عمرو بن يوسف بن عامر الكناني (ت279هـ/892م) الذي انفق ستة ألاف درهم في طلب العلم[1]، وكان الناس لا يروون المدونة والموطأ إلاّ عنه.

وهناك العالم أبو عبد الله محمد بن مسرور الضرير(ت295هـ/907م) الذي كان الناس يأتونه للتفقه والمناظرة والإفتاء، وتفقه على يد ثلّة من العلماء والفقهاء البارزين، منهم يحي بن معمر وعبد الجبار بن خالد وسهل بن عبد الله واحمد بن وزان الصواف[2]،كما تتلمذ أبو جعفر أحمد بن داوود الربعي الصواف(ت291هـ/903م) على يد سحنون، حيث ظلّ يسمع منه مدة عشرين سنة، بالإضافة إلى تتلمذه على يد كثير من الشيوخ كأبي محمد عبد الله ابن مسرور التجيبي وأبو الحسن علي بن محمد بن مسرور الدباغ، وغيرهم[3].ولشدّة تعلق هذا الفقيه بالإمام سحنون، فقد كتب قصيدة شعرية يعظّم فيها مكانة سحنون الفقهية، منها هذه الأبيات:

فقيه الناس سحنون تجدني ... لأكثر فقهه بصرا بصـ ـيرا

وفي فقه الفقيه أبي سعـيد ... رأيت الحق متضحا منيرا

وفي تعليمه علما عليـ ـا ... وفي تأديبه سترا ستيـرا

لزمت فناءه عشرين عاما ... أغاديه وأغشاه هجيـ ـرا[4]

---

[1] المالكي: المصدر نفسه، ج1 ص379. و ابن ناجي: المصدر السابق، ج2 ص158.
[2] الدباغ: المصدر السابق، ج2 ص175.
[3] المصدر نفسه، ج2 ص137.
[4] المصدر نفسه، ج2 ص 140.

وكثيرون هم الذين أخذوا عن سحنون بإفريقية المذهب المالكي، منهم أبو حفص عبد الجبار بن خالد بن عمران السرتي(ت281هـ/894م)، كما أن أبا السرى واصل بن عبد الله اللخمي (ت252هـ/866م) لزم سحنون يطلب منه العلم عشرين سنة[1].

وهناك علماء لم يكتفوا بالأخذ عن تلاميذ مالك بل أخذوا كذلك عن أصحاب الرأي الحنفيّين، كأبي جعفر محمد بن أبان الحميري(ت284هـ/897م) الذي"سمع من المدنّيين والعراقّيين"[2]، إلاّ أن أخذهم عن الأحناف ظل محدودا، لعدم إنتشار المذهب الحنفي في الوسط الإفريقي بشكل واسع[3].

وبالتالي لم يكن هناك علماء في فقه أبي حنيفة إلّا القليل منهم، إضافة كون عامة سكان المغرب في هذه الفترة(القرنين الثاني والثالث للهجرة) اّتبعوا تعاليم المذهب المالكي وفضّلوه على غيره من المذاهب الأخرى.

ولم تكن محدودية إنتشار المذهب الحنفي بإفريقية عائقا إمام الفقهاء لكي ينهلوا من فقه و تشريع الإمام أبي حنيفة، إّنما كانوا يبتعدون قدر الإمكان عن التعامل والأخذ عن بعض القضاة والفقهاء الأحناف، الذين كانوا يجارون الأمراء الأغالبة ويفتون لهم بالرخص التي غالبا ما تكون بعيدة عن فقه الإمام أبي حنيفة.

فكانت تلك الرخص سببا في نشوب الصراع بين الأحناف مؤازرين بالحكام من جهة وبين المالكية ومن ورائهم عامة الشعب من جهة أخرى.

وللتدليل على أن فقهاء إفريقية كانوا يغترفون أيضا من فقه أبي حنيفة، أنّ الفقيه عبد الله محمد بن زرزر(ت291هـ/903م) "كان حافظا لمذهب أهل الكوفة" وكان يحفظ فقه

---

[1] المالكي: المصدر السابق، ج1 ص335

[2] الدباغ: المصدر السابق، ج2 ص 132.

[3] أنظر فيما سبق من هذا الفصل.

أبي حنيفة والموطأ وفقه مالك"[1]، كما كان أسد بن الفرات يدمج بين فقه مالك وأبي حنيفة[2].

و قد أدخل المغاربة بعض كتب الفقهاء المالكّيين المصرّيين في الفقه منها كتب الفقيه محمد بن إبراهيم الإسكندري المعروف بابن المواز(ت269هـ/882م)، الذي كن متبحّرا في الفقه و الفتوى، و له كتاب مشهور في الفقه " هو أجلّ كتاب ألّفه المالكّيون، و أصحّه مسائل، و أبسطه كلاما، و أوعبه، و في هذا الكتاب جزء تكلّم فيه على الشافعي و على أهل العراق بمسائل من أحسن كلام "[3].

و لقيمة هذا الكتاب فقد نقله الفقيه أبو القاسم زياد السدري إلى إفريقية، فكان أول من أدخله من أهل المغرب[4].

و نتيجة لشهرة هذا الكتاب فقد لاقى رواجا لدى الفقهاء المغاربة في أواخر العصر الأغلبي و ما بعده، فهذا الفقيه المغربي دراس بن إسماعيل قد سمع الكتاب بالإسكندرية عند رجوعه من الحج، و لمّا عاد إلى إفريقية بثّه في أوساط الفقهاء، فنقله عنه العالمين أبي محمد بن يزيد و أبي الحسن القابسي[5]، الذي رجّحه على سائر الأمّهات[6].

---

[1] المالكي: المصدر السابق، ج1 ص 414. و الدباغ: المصدر السابق، ج2 ص166. و ابن ناجي: المصدر السابق، ج2 ص167.

[2] أنظر فيما سبق من هذا الفصل.

[3] ابن فرحون: الديباج، ص 331 و ما بعدها.

[4] عياض: تراجم أغلبية، ص 367. و الدباغ: المصدر السابق، ج3 ص 378.

[5] عياض: المدارك، ج4 ص395.

[6] ابن فرحون: المصدر السابق، ص332. و قد إعتمد الونشريسي على نوازل إبن المواز و تلاميذه، أنظـر، المعيـار المعرب و الجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية و الأندلس و المغرب، تحقيق د.محمد حجّي و آخـرون، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983م، ج1 ص516 و ج2 ص99.

وكان تأثير الفقه المالكي والفقهاء المغاربة الأوائل في الوسط المغربي لا يدانيه أيّ تأثير من قبل أي مذهب آخر، فهذا الفقيه أبو الفضل عباس بن عيسى بن محمد بن عيسى الممسي قد حفظ موطأ الإمام مالك وهو ابن خمس عشرة سنة(1).

وتفقه أبو العرب محمد بن احمد بن تميم بن تمام التميمي(ت333هـ/944م) على جماعة من أصحاب سحنون، وأكثر علماء إفريقية كيحي بن عمرو وأبي داود العطار ومحمد بن مسكين(2).

وكان أبو سليمان ربيع بن عطاء الله القطان (ت334هـ/945م) قد تفقه بالقيروان على يد أبي بكر بن اللباد وأبي العرب، وكانت له حلقة يدرّس فيها الفقه بجامع القيروان يحضرها العالم أبو القاسم بن شبلون(3).

كان علماء إفريقية يدرسون عدة مذاهب إلاّ أنّهم كانوا يتّبعون أحدها، فأبي العباس الفضل بن نصر الباهي المعروف بابن الرايس (ت344هـ/955م) مثلا كان عالما بمذهب الشافعي، وليس معنى هذا أنّه يميل بالضرورة إلى هذا المذهب.

كما أنّ الشيخ أبا بكر الباقلاني كان مالكي المذهب، وكان يقرئ المذاهب الأربعة، ويذكر كل مذهب وحجته، ثم يرجّح مذهب مالك(4).ويعد أبو سعيد خلف بن عمر(ت371هـ/983م) أحد كبار الفقهاء وأعلمهم بمذاهب أهل المدينة(5)، وقد تفقه على يد ابن نصر وأبي القاسم الصدري، وأحمد بن عبد الرحمان القصري وأبي بكر بن اللباد

(1) ابن فرحون: المصدر السابق، ص217. و الدباغ: المصدر السابق، ج3، ص 31.

(2) ابن فرحون: المصدر نفسه، ص251. و عياض: المدارك، ج3 ص334. و الدباغ: المصدر السابق، ج3 ص42. ويضيف الدباغ أن عدد شيوخه بلغ مائة وخمسة وعشرون شيخا، نفس الجزء والصفحة.

(3) ابن ناجي: المصدر السابق، ج3 ص35-36. و عياض: المصدر السابق، ج3 ص323.

(4) ابن ناجي: المصدر نفسه، ج3 ص68-69.

(5) الدباغ: المصدر السابق، ج3 ص123.

وغيرهم. "وبه تفقه أكثر القرويين" وقد "إختلط علم الحلال والحرام بلحمه ودمّه، وما إختلف الناس فيه وإتّفقوا عليه، عالما بنوازل الأحكام"(1).

وهناك من الفقهاء من كانوا أمّيين يتعلّمون الفقه مشافهة، ومع ذلك فإنّهم أصبحوا في عداد العلماء البارزين، بفضل حرصهم الشديد على التعلّم والتفقّه، وإرتيادهم مجالس العلم وحلقات الدراسة، يستمعون إلى المسائل الفقهية والعلمية التي تثار في تلك الحلقات تارة، ومستفسرين عمّا قد يساورهم من غموض حول بعض المسائل تارة أخرى، حتى إكتسبوا صفة العالم أو الفقيه نتيجة ملازمتهم لتلك الدروس.

فهذا أبو حبيب نصر الرومي(ت332هـ/943م) كان له باع في الفقه بالرغم من كونه أمّيا لا يقرأ ولا يكتب،"فكان يستعير الكتب ويجعل لمن يقرأها عليه أجرا".

وكان أصل هذا الفقيه مملوكيا أتى إلى مصر وجلس في حلقات العلماء، حيث لازم حلقة ابن عبد الحكم، فإستفاد منها، ثم انصرف إلى القيروان وجالس الفقهاء ا، منهم الفقيه حماس بن مروان(2).

وكان أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد السبائي(ت356هـ/966م) يروي العلم ويعرّفه ويتذاكر العلماء بحضرته وفي مجلسه، وهم: أبو محمد بن أبي زيد وأبو القاسم بن شبلون والقابسي وسعيد بن إبراهيم، وغيرهم. وكان كل من يعرف مسألة من المسائل يحضر مجلسه، فإذا تنازعوا في مسألة ما فصل أبو إسحاق بينهم بأمر يرجعون إليه كلهم فيه، وكانوا يستشيرونه في جميع أمورهم(3).

لم يكن المتعلّمون يكتفون بتلقي العلوم والفقه عن عالم واحد، بل كانوا يقصدون العلماء والفقهاء أينما حلّوا، فهذا أبو إسحاق الجبنياني(ت399هـ/1011م) كان لا

---

(1) عياض: المصدر السابق، ج4 ص488-489.

(2) عياض: المصدر نفسه، ج3 ص355. ويروى حسب نفس المصدر أن أبا حبيب نصر الرومي لمّا حفـظ وتفقـه ورجع إلى مولاه اعلمه بالخبر، فأعتقه.

(3) المصدر نفسه،ج3 ص377.

يسمع بعالم أو فقيه إلا أتاه وسمع منه وكتب عنه، ولا برجل صالح إلاّ قصده وإنتفع به وكانت أكثر دراسته بتونس على يد أبي علي حمود بن سهلون صاحب بن عبدوس حتى صار "من أعلم الناس باختلاف العلماء"[1]، أي أنّه كان ملمّا بالمذاهب الفقهية الأخرى وعلى دراية بالمسائل الفقهية المستعصية، وعلى أراء الفقهاء المختلفة في المسألة الواحدة.

وتفقّه محمد بن حارث بن إسماعيل الخشني (ت361هـ/971م) على يدّ أحمد بن نصر وأحمد بن زياد وأحمد بن يوسف وغيرهم من علماء إفريقية، وكان"عالما بالفتيا، حسن القياس في المسائل" كما "كان عالما بالأخبار وأسماء الرجال"[2]،مما يبيّن تعدّد مجالات إهتماماته العلمية.

وقد تزامن نشاط هؤلاء العلماء الأخيرين مع سقوط الدولة الأغلبية وقيام الدولة الفاطمية الشيعية.

وكان طبيعي أن يتعرّض علماء إفريقية السّنة وفقهاؤها إلى شتى أنواع الإضطهاد والتنكيل من الفاطميّين الذين عملوا على منعهم من نشر تعاليمهم.

وبالرغم من ذلك ظل هؤلاء العلماء يقاومون بطش الفاطميّين، يؤازرهم في ذلك عامة الشعب، ممّا أدّى إلى وقوع إحداث دامية.

وكانت مقاومة علماء إفريقية للتشيّع بأشكال مختلفة، فتارة تكون في شكل إعتزال كل ما هو شيعي أو له صلة بالتشيّع، وتارة في مجادلة أهل السّنة للشيعة في معارك جدلية عنيفة بين الطرفين حتى وصلت في بعض الأحيان إلى مقاومة مسلّحة، بسبب سلوك الشيعة

---

(1) عياض، المصدر السابق، ج4، ص498-499.

(2) عياض: المصدر السابق، ج4 ص531. ومحمد بن محمد مخلوف: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1394هـ/1973م، ص94.

المخالف للإسلام[1]،حيث عملوا على حمل الناس على إعتناق مذهبهم بالقوّة والوقوف ضد كل ما هو سنّي، إضافة إلى إباحتهم للمحرمات والأفعال المنافية لما جاء به الإسلام[2].

وعندما يئس هؤلاء الشيعة الفاطميّون من عدم نجاح دعو م في القيروان، اضطروا إلى نقل عاصمتهم منها إلى المهدية، حتى إستيلائهم على مصر سنة (358هـ/968م) وإستقرارهم فيها سنة (362 هـ/972م)[3].

وكان على رأس العلماء الفقهاء المقاومين للشيعة الفاطميّين ومذهبهم أبو عثمان سعيد بن الحداد الغساني وأبو بكر محمد بن اللباد وعبد الله بن أبي زيد القيرواني.

وكان هذا الأخير قد شهد جلاء الفاطميّين إلى مصر، وقيام الأمراء من بني زيري الصنهاجيين مكا م بالمغرب.

وفي ظلّ هؤلاء الأمراء أصبح العلماء المالكّيون في مأمن من الإضطهاد، فنبغ كثير من الفقهاء منهم عبد الله بن أبي زيد القيرواني (ت386هـ/996م) السالف الذكر، وهو تلميذ ابن اللباد، حيث "إعتمد عليه في الفقه"[4]. و برع في علوم الشريعة حتى قيل عنه "مالك الأصغر"[5]، فكان محل أنظار أهل المغرب والأندلس، وتفقّه عليه من القروّيين أبو بكر بن عبد الرحمان وأبو القاسم خلف البرادعي، ومن أهل الأندلس أبو بكر بن موهب المقري، ومن أهل سبتة أبو عبد الله بن العجوز، و أبو محمد بن غالب وخلف بن ناصر ومن سجلماسة ابن امدكنو السجلماسي[6].

---

[1] د.التهامي: المرجع السابق، ص 399.

[2] ابن عذاري: المصدر السابق، ج1 ص185.

[3] ح.ح.عبد الوهاب: المرجع السابق، ص51-52.

[4] الدباغ: المصدر السابق، ج3 ص135. و عياض، المصدر السابق، ج4 ص493.

[5] ابن ناجي: المصدر السابق، ج3 ص137. وابن فرحون: المصدر السابق، ص136.

[6] ابن ناجي: المصدر السابق، ج3 ص136. و عياض: المصدر السابق، ج4 ص493-494.

كما إعتنى ابن أبي زيد تلخيص فقه المذهب المالكي ورجّح أقواله، خاصة في كتابه"النوادر والزيادات على المدونة" الذي يقع في أكثر من مائة جزء[1].ويعدّ هذا الكتاب بمثابة مسند ابن حنبل عند المحدّثين. وأصبح بن أبي زيد كا ّدد للسّنة ولمذهب مالك خاصة بعد محاولة الفاطمّيين نشر مذهبهم بالمغرب.

ولن أطيل في هذه النقطة لأنّها حدثت في الفترة الزمنية التي تلت فترة البحث، وما ذكرت هذه الفقرة إلاّ للربط بين فترة البحث وما تلاها.

---

[1] عياض: المصدر نفسه، ج4 ص493.

كان فقهاء إفريقية يوظّفون أفكارهم في إفادة ا تمع سواء عن طريق التعليم و الوعظ، أو التصدي للمسائل والمشكلات التي تطرح عليهم بالإفتاء.

أمّا عن دور الفقهاء في الإفتاء و إصدار الأحكام الشرعية، فقد كان فقهاء السّنة يستندون في فتواهم على أصول المذهب المالكي ويأخذون منه أحكامهم، إضافة إلى إجتهادا م الخاصة.

والإفتاء مسألة صعبة ومسؤولية عظمى في آن واحد للفقيه أو المفتي، حيث أنّ المفتي في ذلك الوقت، كان يتحرّى كثيرا قبل الإجابة عن فتوى ما، خوفا من الوقوع في الخطأ، فكان لا يصدر أي فتوى إلاّ إذا كان متيقّنا من صحتها، بحيث لا تخالف السنة والكتاب.

فقد سئل أسد بن الفرات عن النبيذ أحلال هو أم حرام فقال: "إنّ النبيذ أخبث الخبائث، ليس تقوم بالنبيذ عبادة ولا صيام ولا صلاة.."[(1)] ، ولم يستطع أن يصرّح بتحريمه أو تثبيته، وإن كان يفهم من كلامه أنّ ما لا تصح الصلاة ولا الجهاد ويوصف بالخبث، فلا يصح الإقبال عليه، وهو بذلك أقرب إلى التحريم، وإن لم يكن النص صريحا.

وبالمقابل وجد بعض الفقهاء الأحناف ممن تسلّموا منصب القضاء وكان لهم حق إصدار الفتاوى، ومن الذين كانوا ممالئين للأغالبة، ويصدرون فتاوى لإرضاء رغبات أمرائهم، الذين كانوا يدينون بالمذهب الحنفي، كالقاضي الحنفي أبو العباس محمد بن عبدون.

ومع وجود هذه الفئة الممالئة، فقد كان هناك بالمقابل من يرى الإفتاء مهمة يجب أن يتحرّى فيها القاضي ولا يصدر أحكامه إلا عن معرفة، ومن هؤلاء الإمام سحنون الذي كان ينكر من يعجّل بالفتوى وينهى عنه، وضرب المثل بنفسه فقال: " إنّي لأسال عن المسألة فأعرفها وأعرف في أيّ كتاب هي فيه، وفي أيّ ورقة، وأيّ صفحة، وعلى كم هي

---

(1) المالكي: رياض النفوس، ج1 ص184.

من سطر فما يمنعني من الجواب فيها إلاّ كراهّية الجرأة بعدي على الفتوى "[1]، فكان يتحرّى الحق والروّية في الفتوى إلى أقصى حد.

وهناك مثال آخر يؤكّد روّيته في إصدار الفتوى مع فقهه وعلمه، وهو مما أورده المالكي في رياضه حين تحدث عن رجل جاء إلى سحنون فسأله عن مسألة، فأقام يتردد إليه ثلاثة أيام، ولم يفته سحنون ثم قال له بعد ذلك:" مسألتك نازلة وهي معضلة وفيها أقاويل وأنا متحير في ذلك".

كما أنّه لم يكن يقبل أن يصدر فتاويه ليتفكه أولي الأمر، ولا يجيب إلا على الأسئلة التي تستحق الإجابة، بدا ذلك حين أرسل إليه الأمير زيادة الله بن الأغلب ليجيبه عن مسألة نزلت، فلم يجبه ا في شيء، ورجع الرسول من عنده بلا جواب، فقال محمد بن عبدوس لسحنون:"أخرج من بلد القوم لا تساكنهم، أمس ترجع عن الصلاة خلف قاضيهم-ابن أبي الجواد-[2] و اليوم لا تجيبهم في مسائلهم؟" فقال له سحنون:" أتجيب إنسانا إنّما يريد أن يتفكّه، يريد أن يأخذ قولي وقول غيري؟ ولو كان شيئا يقصد به الدين لأجبته وقال:"أشقى الناس من باع آخرته بدنيا غيره، ففكرت فيمن باع آخرته بدنيا غيره فوجدته المفتي"[3].

واضح من كلام سحنون عند إجابته لمحمد بن عبدوس أنّ السؤال الذي جاء به رسول الأمير زيادة الله إلى الإمام سحنون لم يكن ذا أهمية وليس من أصول الدين، وربما قصد الأمير بذلك السؤال الإساءة إلى المكانة الفقهية التي أصبح يتمّتع ا سحنون في ا تمع، خاصة إذا علمنا أن الأمراء الأغالبة كانوا يدينون بالمذهب الحنفي، مع إنتحال بعضهم للآراء الاعتزالية في أصول الدين.

---

(1) المالكي: المصدر السابق، ج1 ص255.

(2) وهو معتزلين شغل منصب القضاء في عهد الأمير الأغلبي لمدة ثمانية عشر سنة، وهو الذي حرّض الأمير الأغلبي على إعدام الإمام سحنون الذي رفض القول بخلق القرءان. أنظر .M.Talbi: L'Emirat Aghlabide, p 232

(3) المالكي: المصدر السابق، ج1 ص256.

لقد كان سحنون لا يجاري أحدا في الإجابة على مسائل فقهية إلاّ في حدود معرفته اليقينّية، وكان لا يقبل التعاون مع الأمراء والسّلاطين إلاّ إذا خضعوا لأحكام المالكّية ،و إشترط ذلك صراحة حين تولّى منصب القضاء للأمير محمد بن الأغلب سنة (234هـ/848م) [1]، وأظهر مقدرة كبيرة في تنظيم مهمة القضاء فوضع له نظما جعلته قضاء مرّتبا ومحكما.

وهذا ما يتجلى من السنن التي إبتكرها في عهده وقد حدّثنا عن هذه السّنن أبو بكر المالكي، فقال أّنه أوّل من نظر في الأسواق وجعل عليها أمناء .و أوّل من أقام وظيفة الحسبة وهو المنصب الذي يتولى صاحبه تغيير المنكر والأمر بالمعروف .

وإجتهد في تعطيل الدروس التي كان يلقيها أصحاب الأهواء والنحل الخارجة عن السّنة في الجامع الكبير، مسجد عقبة بن نافع بالقيروان، كالمعتزلة والصفرية والإباضية ومنعهم من إلقاء مناظرا م فيه.

وهو" أول من جعل في الجامع إمام يصلي بالناس، بحيث كان الأمراء هم الأئمة و أوّل من جعل الودائع عند الأمناء وكانت قبل في بيوت القضاة"[2].

لقد عرفت منطقة المغرب الإسلامي نظام القضاء والحسبة وولاية المظالم، خاصة في عهد الأغالبة الذين نقلوا هذه الوظائف الدينية عن المشرق.

ويشير الأستاذ موسى لقبال أّنه ليس معنى ذلك أنّ المنطقة المغربية لم تعرف تلك النظم قبل عهد الأغالبة، إّنما استقرت في هذا العصر وإمتازت عن غيره بإختصاصا ا وموظفيها[3]، وذلك نتيجة الإزدهار الثقافي الذي شهده العصر.

---

[1] عياض: المصدر السابق، ج2 ص596.

[2] المالكي: المصدر السابق، ج1 ص276. و ابن ناجي: المصدر السابق، ج2 ص55.

[3] أنظر: الحسبة المذهبية، ص29.

وقد ظهر خلاف بين فقهاء المالكيّة والأحناف[1]، وبينهم وبين بقيّة المذاهب الأخرى في عصر الأغالبة.

وتعود أسباب الخلاف إلى قوّة المالكيّة وإنتشارها، ومع ذلك فإنّ أمراء الأغالبة إعتمدوا في الأحكام و الأقضية والفتاوى على فقهاء أحناف في الغالب، وهذا ما دفع بفقهاء المالكية إلى التصدي لهم بالنقد والتجريح.

و من أوجه الصراع والخلاف كذلك الترخيص في المعاملة بالربا من قبل بعض فقهاء الأحناف الذين كانوا غير ضالعين في مذهبهم بل يمكن القول أ م كانوا من المتكسّبين.

وتوضح الأمور التي حلّلوها أ م بعيدون كل البعد عن فقه الإمام أبي حنيفة المستمد من السنة النبوية الشريفة ، وقد يكونون يقصدون بما يحلّلون و بما يرخّصون زرع الشكوك في أوساط الرعية التي تدين أغلبها بالمذهب المالكي، أو غير ذلك من أمور لا يسمح ا ال بالتفصيل ا هنا.

فقد كان ابن الأشج وهو حنفي المذهب يقول للناس :" أديروا بينكم ما شئتم من بيع حرام ثم تعالوا إليّ أجعله لكم حلالا"[2]، ممّا يبيّن أنّه لم يستند إلى الأحكام الفقهية الحنفية الصحيحة. وليس هناك ما يبيح ضمن تشريع أهل السّنة ما ذهب إليه هذا الفقيه الحنفي.

وإذا كان المالكّية يعملون على التّشنيع على فقهاء الأحناف، فإن الأخيرّين أيضا كانوا يستغلّون كل فتوى وكل رأي لفقهاء المالكّية فيه شيء من التجاوز للتّشنيع عليهم.

ومن ذلك ما جرى للفقيه ابن أبي حسان اليحصبي- و هو مالكي المذهب-و الذي شنع عليه أعداؤه حسب الرواية التي ذكرها عياض :" شنع عليه أعداؤه الكوفّيون عند الجند والعامة بكلمة قالها فحفظت عليه، وسقط ا وقيل :وعمد كل من سمع منه علما فكتبه عنه

---

[1] أنظر: مبحث المذهب المالكي من هذا الفصل.

[2] المالكي: المصدر السابق، ج1 ص381.

فقطّعه على باب داره وأصبح على باب داره شيء كبير. و إعتذر عنه من أنصف بأنّه إنّما أراد قتّال الجند الذين أفسدوا البلاد"[1].

كان ذلك التّشنيع الذي تعرض له ابن أبي حسان يتمثل في خلاف سياسي خالف فيه ابن أبي حسان غيره من الفقهاء الأحناف في إشارته على الأمير زيادة الله بمعاقبة الجند الثائرين عليه بعد أن ظفر م[2].

وقد يكون مرد هذا الصراع بين الأحناف والمالكّية كون الأحناف و من ورائهم الحكّام، كانوا يريدون فرض مذهبهم على الرعية بشتى الطرق، إلاّ أنّ المالكّية كانوا لهم بالمرصاد وأفشلوا محاولا م، بالرغم من كل ما تعرض له فقهاء المالكّية من مضايقات.

وقد يكون السبب-إضافة إلى ما ذكر-تزعّم الفقه الحنفي بإفريقية فقهاء أحناف لم يراعوا أصول المذهب الحنفي في فتاويهم، ولم يعملوا بمقتضى ما إنتهجه أصحاب أبي حنيفة الأوائل، كعبد الله بن المغيرة الذي تتلمذ على أبي حنيفة وكانت آراؤه شبيهة بآرائه[3].

كما إختلف المالكّية مع المعتزلة. وكان من أسباب هذا الاختلاف حول القول بخلق القرآن[4] و محاولة فرضه على الناس. وقد سبقت الإشارة أنّ هذا القول كان يأخذ به دعاة الإعتزال، كما كان ينتحله بعض أمراء بني الأغلب.

ويمكن أن نستنتج -مما سبق ذكره-أنّ من الأسباب الرئيسية في عدم إستطاعة الأغالبة الوقوف في وجه المد الشيعي الفاطمي بإفريقية في هذه الفترة هو كون حكام بني الأغلب كانوا بعيدين عن المذهب المالكي، الذي يتمسك به أهل إفريقية والمغرب عامة، وهو الأمر الذي جعلهم-أي أهل إفريقية-لا يؤّيدون الحكّام الأغالبة عندما بدأ الصراع يدب بينهم وبين الفاطمّيين.

---

[1] عياض: تراجم أغلبية، ص75.

[2] ا ذوب، الصراع المذهبي، ص75.

[3] M.Vonderheyden, op.cit, p140

[4] M.Vonderheyden, op.cit, p155

وعند قيام خلافة الفاطمّيين، وقع نفس ما وقع مع الأغالبة، بحيث ظلّ الفاطميّون غرباء عن الناس،لأ م-أي الفاطميّون-لم يكونوا على مذهبهم المالكي الذي ظلّوا مخلصين له.

2- دور علماء إفريقية في علم التفسير.

يعدّ القرآن الكريم المصدر الأول والأساسي في التفسير، ثم تليه السّنة النبوية التي هي المصدر الثاني، بالإضافة إلى اجتهادات الصحابة، حيث حين يتعذر عليهم إيجاد تفسير في نصوص القرآن أو من سّنة الرسول -صلّى الله عليه وسلّم- يرجعون إلى إجتهادا م الخاصة.

ولفهم كتاب الله عزّ وجلّ ومعانيه يحتاج إلى معرفة علم اللّغة والّنحو والتصّريف و علم البيان وأصول الفقه و القراءات[1].

ومن أشهر مدارس التفسير في العصر الأموي هي مدارس مكة والمدينة والعراق[2] وتنسب مدرسة التفسير في مكة إلى الصحابي عبد الله بن عباس الذي يعدّ علما من أعلام التفسير في مكة[3].

وتنسب مدرسة التفسير في المدينة إلى الصحابي أبيّ بن كعب بن قيس الأنصاري الذي يعدّ من أعلم الصحابة بالقرآن، وكان من كّتاب الوحي للرسول صلى الله عليه وسلّم[4].

---

(1) الزركشي: البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، مصر1954، ج1 ص204.

(2) الزرقاني: مناهل العرفان في علوم القرآن، طبع ونشر دار إحياء الكتب العربية، ط3، 1372هـ ـ/1953م، ج1 ص 487-489.

(3) ابن سعد: الطبقات الكبرى، دار صادر للطباعة و النشر، بيروت لبنان، 1376هـ/1957م، ج2 ص366.

(4) الزرقاني: المصدر السابق، ج1 ص489.

أمّا مدرسة التفسير في العراق فتنسب إلى الصحابي عبد الله بن مسعود الذي كان معلّما ومستشارا بالكوفة أثناء تولية الخليفة عمر بن الخطاب-رضي الله عنه- لعمّار بن ياسر عليها[1]. ومن أشهر تلاميذ ابن مسعود الحسن البصري وقتادة بن دعامة السدوسي[2].

ويعود تدوين التفسير إلى أوائل العصر العباسي، ومن الذين اضطلعوا بمهمة التدوين في هذا العصر نذكر يزيد بن هارون السلمي (ت117هـ/735م) وشعبة بن الحجاج (ت160هـ/776م)، و وكيع بن الجراح (ت197هـ/812م) وسفيان بن عيينة (ت198هـ/813م)[3].

وقد تزامن دخول التفسير إلى إفريقية والمغرب عامة مع الفاتحين الأوائل. وكان الصحابي عبد الله بن عباس أول من أدخل تفسير القرآن إلى إفريقية، حيث كان ضمن الصحابة الذين دخلوا إلى إفريقية مع الوالي عبد الله بن سعد بن أبي سرح[4].

كما ساهم التابعي عكرمة البربري(ت105هـ/723م) في نقل هذا العلم إلى إفريقية، وكان بارزا فيه حتى أنّ ابن عباس كان يستند إليه في معرفة تفسير بعض الآيات، حيث قرأ عليه مرة قوله تعالى:"لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذ م عذابا شديدا"[5].

قال ابن عباس: لم أدر نجا القوم أو هلكوا. قال عكرمة: فما زلت أبيّن له حتى عرف أ م قد نجوا فكساني حلّة[6].وقد اعترف بن عباس بعلو كعبه في التفسير إذ قال فيه"ما حدّثكم عكرمة عنّي فصدّقوه، فإنّه لم يكذب عليّ"[7].

---

(1) الزرقاني: المصدر السابق، ج1 ص489

(2) مناع القطان: مباحث في علوم القرآن، ط33، مؤسسة الرسالة، لبنان، 1997م، ص338.

(3) الزرقاني: مناهل العرفان، ج1 ص31.

(4) أبو العرب:طبقات، ص74. و المالكي ، الرياض، ج1 ص41.

(5) سورة الأعراف، الآية164.

(6) ابن حجر: ذيب التهذيب، ج7 ص265 وما بعدها.

(7) المالكي: الرياض، ج1 ص145.

وقد أكّد المالكي هذا العلو حين قال فيه"أنّ العلماء مّتفقون على حفظه وعرفته بالعلم وتفسير القرآن الكريم"(1). وحين قدم عكرمة إلى إفريقية في ناية القرن الأول أو أوائل الثاني للهجرة/السابع أو الثامن الميلاديين، أقام بالقيروان(2).

وطبيعي أن يكون قد بثّ علم التفسير بالمسجد الجامع بالقيروان، حيث أخذه عنه أهل المغرب، منهم خالد بن أبي عمران(3).

ويرجع إهتمام علماء إفريقية بعلم التفسير لأسباب متعددة منها رغبتهم في البحث عن معاني القرآن الكريم وحرصهم على فهم مدلولات آياته. ثانيهما أن جلّ التابعين والفقهاء الذين حلّوا بالمغرب مع الفتح كانوا متضلّعين بعلم تفسير القرآن، فأتيح لعلماء إفريقية أخذ هذا العلم على أولئك الأعلام.

كما أنّ صفة الفقيه في ذلك الوقت كانت ملازمة للعالم الذي كان ملمّا بعلم تفسير القرآن، فالإمام مالك بن أنس هو أول من ألّف"تفسير القرآن"و"التّفسير المسند"و"التّفسير لغريب القرآن"(4).

ومن المؤكّد أن العلماء المغاربة الذين أخذوا الفقه عن مالك أخذوا شيئا من هذه التّفاسير وأدخلوها إلى المغرب، مثلما كان عليه الحال للفقيه علي بن زياد الذي أخذ عليه موطأه.

ويعدّ عبد الله بن فروخ أحد الذين إطّلعوا على تفاسير المشارقة حيث قام برحلة إلى الحجاز حيث أخذ بمكة عن عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج(ت150هـ/767م)"(5)

---

(1) الرياض: ج1 ص145.

(2) أبو العرب: المصدر السابق، ص82وما بعدها. و المالكي: المصدر السابق، ج1 ص164.

(3) ابن حجر: المصدر السابق، ج7ص267.

(4) الداودي: طبقات المفسّرين.د ط، دار الكتب العلمية لبنان،د.ت، ج2 ص301.

(5) أبو العرب: طبقات علماء إفريقية، ص107.

الذي يعتبر من الأوائل الذين صنفوا أولى التفاسير في القرن الثاني الهجري[1] بعد أن درس تفسير بن عباس[2].

ومن الممكن أن يكون عبد الله بن فروخ قد ادخل كتاب بن جريج في التفسير إلى افريقية.

ومن أشهر التفاسير التي عرفتها إفريقية في العصر الأغلبي هي تفسير يحي بن سلام[3] الذي ألفه بالقيروان، وروى العلم عن أصحاب الحسن البصري والحسن بن دينار وحمادة بن سلمة، كما روى عنه جماعة منهم يحي بن يحي الليثي وعبد الله بن وهب[4].

ويؤكد بن عاشور أنّ تفسير يحي بن سلام هذا هو أقدم التفاسير الموجودة اليوم، وهو حلقة الوصل بين تفسير ابن جريج في القرن الثاني الهجري وتفسير الطبري في القرن الثالث الهجري[5]، ويضيف بأنّ يحي بن سلام "يعتبر مؤسس التفسير النقدي في نطاق المأثور، وهو الأثر الذي سار عليه بعده بن جرير الطبري و إشتهر به"[6].

وقد زادت شهرة يحي بن سلام لأخذه عن مشاهير المفسرين في المشرق كالسدي وقتادة ومجاهد والكلبي، وابن عباس[7].

---

(1) ابن عاشور، التفسير ورجاله، طبعة دار الكتب الشرقية، تونس ،1972م ص36

(2) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد،ج10 ص400.

(3) نشأ بالبصرة ثم سكن بالقيروان(ت200هـ/815م)، أنظر عاه، عادل نويهض، معجم المفسرين من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر،ط1، مؤسسة نويهض للتأليف و الترجمة والنشر، لبنان، 1983م ، ج2 ص730.

(4) أحمد الكنوني،المدرسة القرآنية في المغرب من الفتح الإسلامي إلى ابن عطية، منشور المكتبة المعارف،ط1 ،الرباط 1981م، ص135.

(5) ابن عاشور، المصدر السابق،ص42.

(6) ابن عاشور، المرجع السابق،ص43

(7) يحي بن سلام، تفسير يحي بن سلام القيرواني، نسخة مخطوطة على ميكروفيلم تحت رقم5076 بالمكتبة الوطنية الحامة، الجزائر،من ورقة85 الى ورقة 87.

وقد تخرج على يديه في حقل التفسير كثير من المريدين منهم إبنه محمد بن يحي بن سلام التيمي، وعبد الله بن سهل القبرياني (ت248هـ/862م) وأبو داوود العطّار (ت274هـ/887م)، وأبو عبد الله محمد بن سليمان (ت309هـ/931م).

وأبو جعفر أحمد بن نصر بن زياد الهواري، وأحمد بن أحمد بن زياد الفارسي (ت319هـ/931م)[1].

كما يعدّ محمد بن سحنون (ت256هـ/869م) من المفسرين الكبار الذين إختصوا في التفسير الفقهي[2] حيث قام بتفسير موطأ مالك[3]، ويشهد لمكانته العلمية تأليفه لعدّة كتب في مختلف الفنون، حيث بلغت نحو"مائتي كتاب في فنون العلم"[4].

وكان محمد بن عبدوس(ت260هـ/873م) من الذين طرقوا هذا العلم بإفريقية حيث ألّف كتاب"التفاسير" فسّر فيه أصول الفقه المالكي[5].

ومّما ساعد هؤلاء العلماء الإهتمام بعلم التّفسير وغيره من العلوم الدينية الأخرى، إنتشار المذاهب الفقهية، بحيث حفّزت العلماء على التعمق في دراسة العلوم الدينية من فقه وحديث وغير ذلك.

---

(1) عياض، ترجم أغلبية، صفحات 158-307-350-366-385.

(2) ابن فرحون، الديباج، ص334.

(3) عياض ، المدارك،ج3ص106.

(4) عياض ، المرجع السابق،ج3 ص105. وعن تآليفه أنظر مبحث التآليف في الفصل الثالث.

(5) عياض ، المدارك،ج3ص120. و ح.ح عبد الوهاب: ورقات، ص50.

3-دور علماء إفريقية في علم الحديث:

من مصادر التشريع الإسلامي كذلك، الحديث النبوي، وهو ما أثّر عن النبي -صلّى الله عليه وسلم- من أفعال وأقوال، وتقرير وصفات[1].

ولقد دوّن بعض الصحابة أحاديث الرسول –صلى الله عليه وسلم –في السنوات الأخيرة من حياته بعد أن أذن الرسول – صلى الله عليه وسلم- بالكتابة عنه[2].

ويعتبر عصر الخليفة عمر بن عبد العزيز، المرحلة التي دوّن فيها الحديث رسميا، عندما أصدر تعليماته إلى الأمراء والولّاة في الأمصار الإسلامية لتدوين الحديث، وذلك في بداية القرن الأول للهجرة/ السابع للميلادي[3]، وكان دافعه إلى ذلك حرصه على جمع الحديث كونه مصدرا من مصادر التشريع الإسلامي.

وبعد ذلك إتسعت دائرة تدوين الحديث حيث شملت جميع الأمصار الإسلامية. وقد كان لهذا كبيرا في نشأة بعض العلوم الأخرى، كعلم التاريخ وعلوم اللّغة العربية.

لقد نشطت هذه العلوم وإزدهرت في العصر الأموي، وكانت نوا ا القرآن والحديث، وكانت هذه العلوم كلها تقريبا تدور حول هذين المصدرين أيّ القرآن والحديث- إذ "منها يستنبط الفقه، ولأجلها يروى الشعر وبسببها تبحث مسائل النحو"[4].

---

(1) د.صبحي الصالح: علوم الحديث ومصطلحه، ط25، دار العلم للملايين، لبنان،1954، ص3.

(2) وهناك عدة صحف دونت فيها أحاديث الرسول – صلى الله عليه وسلم-منها: صحيفة الإمام علي بن أبي طالب والصحيفة الصادقة التي كتبها عبد الله بن العاص، وصحيفة سعد بن عبادة الأنصاري، أنظر عـن ذلـك: الخطيـب البغدادي: تقييد العلم، صدّره وحققه وعلّق عليه يوسف العش، بيروت ، 1964م، ص 84 وما بعدها.

(3) محمد الزغبي: العلوم في العصر الأموي(41هـ-132هـ/661م-750م)رسالة ماجستير، إشـراف د.امينـة بيطار، دمشق،1982م ، ص114.

(4) أحمد أمين، ضحى الإسلام، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنـشر،ط1، القـاهرة، 1355هـ ـ/1965م، ج2 ص11-12.

فقد كثرت رواية الحديث والأخبار المتعلقة بأيّام العرب في الجاهلية، وباللّغة و الأدب والنّحو، لذلك عكف هؤلاء الرواة على تدوين كثير من روايا م فيما يشبه مصنفات وتآليف[1]. ومن أشهر المحدثين في العصر الأموي أبو بكر محمد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب الزهري (123هـ/740م)[2].

لقد كان علم الحديث من العلوم التي نشرها الفقهاء والتابعون بأرض إفريقية، وأقدم على تعلمه علماء إفريقية.

وكان إقدام هؤلاء على هذا العلم نابعا من كون هذا العلم ضروري لتسيير شؤو م الدينية و الدنيوية، لذلك وجدنا كثيرا من علماء إفريقية قد لموا هذا العلم في القرن الثاني للهجرة / الثامن الميلادي عن كبار فقهاء المشرق،حتى صاروا – أي علماء إفريقية- ضلعين فيه. فقد روي في البداية علماء إفريقية هذا العلم عن التابعين الذين حلّوا بالمغرب مع بدايات الفتح، حيث روى عبد الرحمن بن زياد (ت 161هـ/779م) عن أبي عطيف الهذلي[3].

ومن أشهر المحدّثين بإفريقية في هذا القرن خالد بن أبي عمران التجيبي (ت123هـ/740م) الذي كان أبوه قد صحب الصحابي عبد الله بن سلام. وقد قرأ على أبيه وعلى غيره من حفظة القرآن و رواة الحديث، ثم رحل إلى المشرق وأخذ عن كبار أعلامه ، ولمّا عاد إلى إفريقية نفل عنه رواية الحديث جماعة من علماء إفريقية كعبد الملك بن أبي كريمة و عبد الرحمن ابن زياد ، كما ترك ديوانا كبيرا في الحديث ضمّنه مروياته عن تابعي المدينة[4].

---

(1) عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي من مطلع الجاهلية إلى سقوط الدولة الأموية، دار العلم للملايين،ط1، بـيروت، 1385هـ/1965م،ج1 ص360.

(2) ابن سعد، المصدر السابق،ج2 ص379.

(3) المالكي، الرياض،ج1 ص106-122.

(4) ح.ح. عبد الوهاب، ورقات،ص40-41.

ولشهرة خالد بن أبي عمران ، فقد سمع منه بتونس أحد التابعين الذين حلّوا بإفريقية وهو يحيى بن سعيد الأنصاري (ت144هـ/761م) الذي يعد من شيوخ الإمام مالك بن انس[1].

ويشير كل من أبي العرب والقاضي عياض أنّ الفقيه عبد الله بن فروخ لمّا زار المشرق لقي جماعة من العلماء والمحدّثين وسمع منهم أمثال زكرياء بن أبي زائدة وهشام بن حسان وسفيان الثوري ومالك بن أنس وأبي حنيفة[2]،كما أخذ بمكّة عن أحد أعلام الحديث وهو عبد الله بن عبد العزيز بن جريج (ت150هـ/767م)، وسمع عباس بن الوليد التونسي عن المحدث المكّي الفضيل ابن عياض (ت 187هـ/803م)[3].

وقد عرفت إفريقية في العصر الأغلبي عددا لا بأس به من المحدّثين منهم موسى بن معاوية الصمادحي (ت 225هـ/839م)، وقد تفقّه على يد علي بن زياد[4]، وهو الذي قال فيه الإمام سحنون" لم ألق أحدا أروى من وكيع بن الجراح مثل موسى بن معاوية وكان يروي خمسة وثلاثين ألف حديث، يقرؤها علينا ظاهرا على تأليفها ما نشك في حديث منها"[5]، وكان الإمام سحنون من الذين تتلّمذوا على يد موسى بن معاوية[6].

وأكّد القاضي عياض أنّه " لم يكن في إفريقية محدّث، إلّا موسى بن معاوية وعباس الفارسي"[7]، وفي هذا نوع من المبالغة لأنّ إفريقية عرفت غيرهم من المحدّثين، كسليمان بن سالم القطان (ت289هـ/ 901م) الذي حدّث عن محمد بن مالك بن أنس، و غلب عليه

---

(1) أبو العرب، الطبقات، ص 213 ، والمالكي، المصدر السابق، ج1 ص147-148.

(2) أبو العرب، المصدر نفسه،ص 107. وعياض، المدارك، ج1 ص340.

(3) أبو العرب، المصدر نفسه،ص107. والمالكي، المصدر السابق، ج1 ص249.

(4) الدباغ ، معالم الإيمان،ج2 ص33.

(5) المالكي، الرياض،ج1 ص291.

(6) الدباغ المصدر السابق،ج3 ص68.

(7) أنظر المدارك، ج3 ص6، وعباس الفارسي هذا هو عباس بن الوليد الفارسي التونسي(ت218هـ/827م) وكان حافظا للحديث، و درّسه بإفريقية، أبو العرب، الطبقات، ص224، المالكي، المصدر السابق، ج1 ص249.

الرواية والتقييد[1]، وعيسى بن مسكين بن منصور (ت275هـ/888م) الذي كان "متقّنا في كل العلوم : الحديث والفقه وأسماء الرجال"[2]، وقد تتلمذ على يد الإمام سحنون، وسمع بالشام من أبي جعفر الأيلي، كما سمع بمصر من الحارث بن مسكين ومحمد بن المواز وغيرهم[3].

كما كان أسد بن الفرات فقيها ومحدّثا، فقد سمع إثنا عشر ألف حديث عن هشيم بن رشيد، وعشرين ألف حديث عن زكرياء بن أبي زائدة الكوفي[4].

وكان يزيد بن محمد الجمحي (ت 212هـ/827م) كثير الحديث، وقد لقي مالك بن أنس ، وسمع من محدث الكوفة أبي بكر بن عياش[5].

و يعدّ أبو محمد عبد الله بن أبي حسان اليحصبي (ت 227هـ/841م) من الثقاة في الحديث، وقد سمع من عبد الرحمن بن زياد ومن مالك بن أنس[6].

كما سمع يحيى بن عمر حديثا كثيرا عندما رحل إلى المشرق، وكان قد سمع عن الإمام سحنون، وكانت له مؤلفات كثيرة في أصول السنن على معاني الآثار[7].

وكان حسين بن المفرج مولى مهرية بنت الأغلب (ت309هـ/921م) من الذين غلب عليهم الحديث، وكان عالما به وبرجاله[8].

---

(1) ابن فرحون،الديباج،ص195.
(2) عياض، المدارك،ج3 ص213.
(3) المصدر نفسه، ج3 ص212.
(4) عياض، تراجم أغلبية،ص63.
(5) أبو العرب، الطبقات،ص169.و المالكي، المصدر السابق،ج1 ص239.
(6) أبو العرب ، المصدر نفسه،ص155.
(7) الخشني، طبقات علماء إفريقية،ص135،134.
(8) عياض ، تراجم،ص402.

كما كان أحمد بن المعتب (ت277هـ / 890م) "عالما بالحديث والرجال"[1].

نخلص من ذكر هؤلاء المحدّثين الذين عرفتهم إفريقية في العصر الأغلبي أنّهم ساهموا في تطوير علم الحديث بإفريقية خلال القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي وحتى الرابع الهجري/ العاشر الميلادي عن طريق بعض المحدّثين المتأخرين عن فترة الدولة الأغلبية كالمحدّث حسين بن المفرج مولى مهرية بنت الأغلب السالف الذكر.

كما أخذ هؤلاء المحدّثون هذا العلم عن أشهر مدارس الحديث بالحجاز والعراق و مصر والشام عن طريق أعلامها كمالك بن أنس و وكيع بن الجراح والفضيل بن عياض.

وقد تجلّت مساهمة المحدّثين المغاربة في هذا العلم بوضعهم تصانيف كثيرة فيه[2]. وكذلك إنتشار الحديث بصقلية الأغلبية بواسطة علماء الحديث الذين وفدوا إليه من إفريقية كأسد بن الفرات وسليمان القطان.

وختاما لهذا الفصل يتبيّن منه أنّه بخصوص المذهبين المالكي والحنفي، فإنّ فقهاء كلا المذهبين كانوا يغترفون من فقه أبي حنيفة ومالك بن أنس.

ولم يحدث الخلاف أو الصراع بين المذهبين إلاّ حين قبل بعض فقهاء المذهب الحنفي للمناصب السياسية وخاصة القضاء في الدولة، مما جعل فقهاء المالكّية ينظرون إليهم على أنّهم فقهاء سلطة وبلاط، خاصة بعد تشجيع بعض أمراء بني الأغلب للمذهب الحنفي على حساب المذهب المالكي مذهب عامة الشعب.

لقد زاد الخلاف بين المالكّية والأحناف المرتبط أساسا بالسلطة الأغلبية، حين أخذ بعض الأحناف برأي المعتزلة في موضوع خلق القرآن كبشير المريسي وابن أبي دؤاد، واعتقاد بعض أمراء الأغالبة به كزيادة الله الأول.

---

(1) عياض ، المدارك،ج3،ص230.

(2) أنظر هذه التصانيف مبحث التآليف في الفصل الثالث.

ورغم الضغوط و الإيذاء الذي لحق علماء المالكية لحملهم على التخلي عن إعتقادهم خاصة في موضوع خلق القرآن، إلّا أنّ هؤلاء وقفوا في وجه تلك الآراء، وأثبتوا عن مدى ثبا م وتمسكهم بمالكيتهم.

وأمّا المذهب الشافعي، وإن أخذ به بعض الأتباع بإفريقية وهم قلّة، كأبي عبد الله البجلي محمد بن علي وأبو إبراهيم إسحاق بن نعمان، فقد كان إنتشاره محدودا لدخوله متأخرا إليها.

ورغم ذلك ساهم ولو بنسبة ضئيلة في النشاط الفقهي الذي عرفته إفريقية في العصر الأغلبي.

وبخصوص المذهب الحنبلي فلم يكن له وزن بإفريقية في فترة الأغالبة لعدم تحمس المغاربة له، ولقلّة من وفد من أعلام هذا المذهب على المغرب، بالإضافة إلى ما عرف عن تمسك أهل إفريقية والمغرب عامة بالمذهب المالكي.

وأمّا بخصوص المذهب الظاهري، فقد عرف المغاربة عن أتباعه، لتمسّكه بظواهر النصوص وإلغائه للرأي والقياس والإجتهاد، شأنه شأن مذهب الأوزاعي الذي بقي إنتشاره محدودا لقلّة من دان به من المغاربة، لعدم ملائمة مبادئه لمبادئ أهل إفريقية السنّية.

وفيما يخص دور علماء إفريقية في الفقه فيمكن القول أنّ القرنان الثاني والثالث للهجرة/الثامن والتاسع للميلاد قد شهد بروز عدد كبير من الفقهاء المغاربة ساهموا في تطور الدراسات الفقهية، و إصطبغت هذه الفترة بظهور المدرسة الفقهية الأغلبية ومركزها القيروان. ووصل فقهاؤها إلى مرتبة الإجتهاد الفقهين ونالوا بذلك مرتبة علمية عالية نافسوا ا الفقهاء المشارقة، و إن كان فقهاء إفريقية اعتمدوا سابقا على هؤلاء المشارقة في هذا ا ال وأخذوا عنهم.

وبخصوص دور علماء إفريقية في التفسير نستنتج بأنّ مدرسة التفسير بإفريقية برزت بشكل جليّ مع بداية القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، وعرفت هذه الفترة عدد كبير

من المفسّرين عكفوا على إصدار كثير من كتب التفسير، لعلّ أهمّها على الإطلاق تفسير يحيى بن سلام.

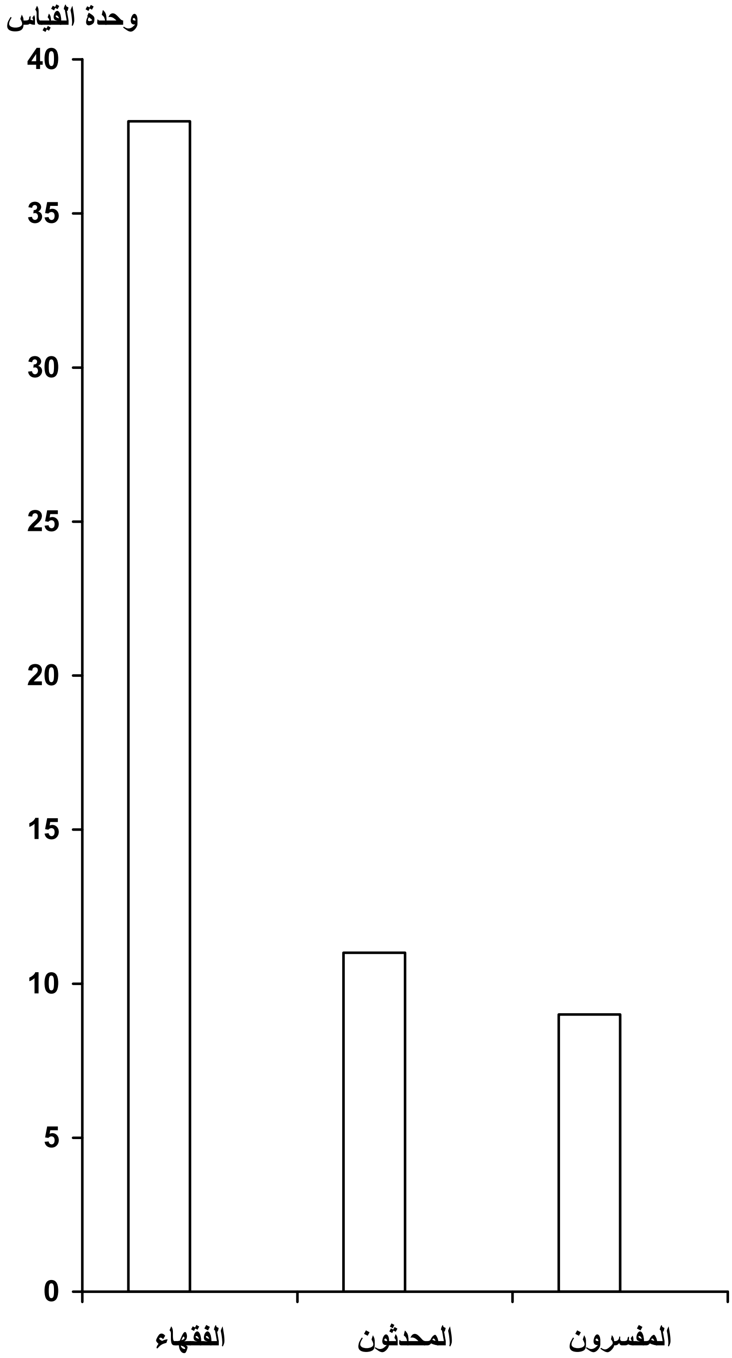
كما أصبح مفسّرو إفريقية إبتداءا من القرن الثالث الهجري مرجعا لإخوا م المشارقة، ظهر ذلك من خلال إعتماد الطبري على تفسير يحيى بن سلام السالف الذكر.

أمّا عن دور علماء إفريقية في الحديث فقد برز عدد كبير من المحدّثين بإفريقية خلال القرنين الثالث والرابع للهجرة/التاسع والعاشر للميلاد، أي خلال العصرين الأغلبي والفاطمي، ومساهمتهم في تطوير علم الحديث بإفريقية، بعد أن لموا هذا العلم عن أشهر المدارس بالحجاز والعراق ومصر والشام.

كما نلاحظ تشجيع البيت الأغلبي لهذا العلم، حيث برز المحدّث حسين بن المفرّج مولى مهرية بنت الأغلب، وقد أحصيت مجموع هؤلاء العلماء – الذين عثرت عليهم- فبلغ عددهم ثمان وخمسون عالما، كما هو موضح في الجدول والرسم البياني التاليين:

فئة العلماء	العدد
الفقهاء	38
المحدثون	11
المفسرون	09
ا موع	58

رسم بياني لعدد أشهر الفقهاء و المفسّرين و المحـدّثين في إفريقية الأغلبية



يلاحظ من خلال هذا البيان أنّ نسبة الفقهاء بإفريقية أكثر من المحدّثين و المفسّرين، وذلك لأنّ الفقه عرفه المغاربة باكرا، حيث يعود إلى البعثة الفقهية العمرية إلى إفريقية، على عكس الحديث والتفسير اللّذان لم يبرز فيهما المغاربة إلاّ مع ظهور القرن الثاني للهجرة/الثامن الميلادي.

كما أنّ الفقه أكثر إرتباطا بالحياة العملية من الحديث والتفسير، لأنّ الفقه تقوم عليه المعاملات مباشرة في كل مجالات الحياة.

و إ اءا لهذا الفصل يتبّين أنّ أعلام إفريقية في الفترة الأغلبية كان لهم دور بارز في الحركة المذهبية التي عرفتها إفريقية، ونشطوا في الدفاع عن مذهب أهل السّنة، وخاصة المذهب المالكي الذي إصطبغت به منطقة المغرب الإسلامي إلى يومنا هذا، نتيجة لجهود أولئك الأعلام.

كما برز بإفريقية-نتيجة لهذا النشاط المذهبي-علماء مغاربة في الفقه والتفسير والحديث، نافسوا بما خلفوه من أثر علمي علماء المشرق، وسيتبّين ذلك حين عرض النشاط العلمي لهؤلاء العلماء.

4-دور علماء إفريقية في علم القراءات :

يعرف علم القراءات بأنه علم في كيفية قراءة القرآن من حيث إختلاف ألفاظ الوحي[1]، أو كيفية نطق كلمات القرآن كما كان يتلفظ ا الرسول –صلى الله عليه و سلم- أو كما كانت ت ل عليه أو تقرا أمامه[2] .

و قد دخل القرآن الكريم إلى بلاد المغرب محفوظا في الصدور في أوائل القرن الأول الهجري/السابع ميلادي، ثم دخل مكتوبا في المصحف مع أواخره[3].

ومن الذين دخلوا إفريقية من الصحابة ،و كان لهم إلمام بالقرآن الكريم نذكر عبد الله بن عباس الذي كان من العلماء بكتاب الله عز و جل و أبا عبد الرحمان عبد الله بن عمر و هو من أهل العلم بالكتاب ،و عبد الله بن الزبير ،و عبد الله بن سعد بن أبي سرح الذي كان من كتّاب الوحي للرسول –صلى الله عليه و سلم- هو و معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما[4] .

ومن الطبيعي أنّ التابعين الذين وفدوا على إفريقية قد أحضروا معهم المصاحف، فقد كان حنش الصّنعاني (ت100هـ/718م) إذا أراد الصلاة قدّم المصحف ثم نظر فيه كلّما تعايا في آية، و أنّ إسماعيل بن عبيد توفي (107هـ/725م) قد غرق في البحر مجاهدا و هو متقلّد المصحف[5]، و من أشهر القراءات التي دخلت إفريقية في الفترة الأغلبية هي قراءة

---

[1] الزركشي : البرهان في علوم القرآن .تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط1، دار إحياء الكتب العربيـة 1957 م ج1 ص318

[2] ابن الجزري: منجد المقرئين و مرشد الطالبين، نشر مكتبة القدس 1931 م، ص3.

[3] أحمد الكنوني:المدرسة القرآنية في المغرب,ص 22 و ما بعدها.

[4] المالكي:رياض نفوس، ج1، ص60، و ما بعدها. و الدباغ: المعالم,ج1،ص108 و ما بعدها.

[5] المالكي: المصدر نفسه، ج1 ص106-121. و الدباغ: المصدر نفسه، ج1 ص188-192.

حمزة، نسبة إلى حمزة بن حبيب الزّيات الكوفي (165هـ/772م) أحد القرّاء السبعة المشهورين[1].

و يرجّح أن يكون المغاربة قد عرفوا قراءة حمزة أثناء رحلتهم إلى المشرق قصد تحصيل العلوم الشرعية في أواخر القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي، فقد يكون عبد الله بن فروخ قد أخذ علم القراءات و منها قراءة حمزة حين زار الكوفة و سمع من الأعمش (ت148هـ/765م)[2] و هو تلميذ حمزة.

كما كان موسى بن معاوية الصمادحي (ت225هـ/839م) من أكثر الذين أخذوا عن علماء الكوفة[3].

و من غير المستبعد أن يكون العلماء المغاربة الذين نشروا المذهب الحنفي بإفريقية كعبد الله بن فروخ و أسد بن الفرات و عبد الله بن غانم، قد ألمّوا بعلم القراءات و منها قراءة حمزة و بثّوها بإفريقية.

و إذا كان الأغالبة فد أخذوا بقراءة حمزة، فإنّهم أخذوا بقراءات أبي عمرو البصري و هو أحد القرّاء السبعة[4]، فقد أخذ أهل إفريقية هذه القراءة عن بعض شيوخ أهل البصرة الذين وفدوا على إفريقية، و منهم أبو عبد الرحمن عبد الله بن يزيد المقريء (ت213هـ/828م) الذي وفد على إفريقية سنة 156هـ/772م[5]، و قد أقرأ القرآن بالبصرة مدة ستة و ثلاثين سنة[6]، و منهم أيضا أبو معمر عبّاد بن عبد الصمد

---

(1) إبن النديم: الفهرست، ص140 و ما بعدها.
(2) المالكي: الرياض، ج1 ص 116. و عياض: المدارك، ج1 ص345.
(3) أبو العرب: طبقات، ص190.
(4) إبن النديم: المصدر السابق، ص140.
(5) أبو العرب: المصدر السابق، ص163.
(6) إبن حجر: ـذيب التهذيب، ج6 ص83-84.

البصري، و قد أخذ عن الحسن البصري، ومالك بن أنس،و سكن القيروان، و عاش إلى عصر أسد بن الفرات و يحي بن سلام[1].

و قد مال الأغالبة إلى ترجيح قراءة حمزة الكوفية أكثر من قراءة أبي عمرو البصرية و يعزى ذلك إلى تفوّق مدرسة الكوفة اللغوية على مدرسة البصرة[2].

و عرفت إفريقية كذلك قراءة نافع نسبة إلى نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم المدني (ت169هـ/775م) الذي كان بالمدينة، و هو أحد القرّاء السبعة[3]

و إذا كانت المصادر لم تذكر تاريخا محدّدا لدخول قراءة نافع إلى إفريقية ,فإنّ إنتشارها [4].-أي قراءة نافع- و تجذّرها ببلاد المغرب يوحي بأ ا هي السائدة إلى يومنا هذا [5].

و تعود معرفة المغاربة بقراءة نافع إلى زمن الرحلة إلى الحجاز لأحذ العلوم الشرعية عن الإمام مالك و تلاميذه، خاصة و أنّ الإمام نافع كان معاصرا لهذا الأخير.

فقد أخذ الفقيه الإفريقي عبد الرحمان بن زياد بن أنعم المعافري هذه القراءة عن الإمام نافع نفسه لمّا زار الحجاز[6].

---

(1) أبو العرب: طبقات، ص94. و المالكي: الرياض، ج1 ص138.

(2) أحمد أمين: ضحى الإسلام، ج2 ص284.

(3) إبن الجزري: غاية النهاية في طبقات القرّاء، عنى بنشره ج.برجستراسر، ط8، دار الكتـب العلميـة، بـيروت، 1982م، ج2 ص330.

(4) أنظر عن إنتشارها: ابن الجزري:المصدر السابق،ج2 ص32. و ابن فرحون :الديباج المذهب، ص193. و ابـن الأبار:التكملة ،ج1ص360.

(5) R.Blacher: introduction au coran.Paris;1957.P131

(6) الزرقاوي :مناهل العرفان في علوم القرآن ، ج1 ص407-408.

و من الطبيعي أن يكون علماء المغرب الذين وفدوا على المدينة قد ألمّوا ذه القراءة و عملوا على نشرها بأوطا م بعد رجوعهم.

و كان بعضا من تلاميذ نافع ممن دخل إفريقية، قد ساهم في نشر هذه القراءة، و منهم أبو عبد الرحمان عبد الله بن يزيد المقرئ الذي جمع قراءة أهل البصرة و قراءة أهل المدينة[1].

كما عرف الأغالبة قراءة نافع عن طريق المصريّين الذين كانوا يتبعون هذه القراءة بفضل شخصية عثمان بن سعيد المصري المعروف بورش الذي كان بالمدينة، و قد أتى ذه القراءة إلى مصر، و تولىّ ا رئاسة الإقراء حتى توفي ا سنة 197هـ /812 م [2].

و قد أخذ الأغالبة عن تلاميذ ورش و منهم يونس بن عبد الأعلى (ت264هـ/837) حيث أخذ عنه كردم القصطيلي و عيسى بن مسكين و ابن طالب القاضي [3]، و داود بن أبي طيبة (ت 837/223) الذي أخذ عنه عبد الرحمان بن أحمد القيرواني[4]

و قد عرفت قراءة نافع قمة إنتشارها في الفترة الأغلبية،حيث تزامنت مع إنتشار المذهب المالكي. وما دام موطن هذه القراءة هو المدينة-كما سبق ذكره- فقد تمسّك ا أهل المغرب إنتصارا للمذهب المالكي، خاصة و أنّ الإمام مالك كان ينظر إلى نافع كونه إماما للناس في القراءة[5].

و هذا لا يعني أنّ مالكا كان يحصر القراءة في نافع فقط، حيث أنّ الأغالبة أخذوا بقراءة حمزة كما سبق ذكره، و لكنهم تمسّكوا أكثر بقراءة نافع،حتى أنّ البعض أقّر بأنّ أهل

---

(1) ابن فرحون:المصدر السابق، ص370.

(2) السيوطي :حسن المحاضرة في تاريخ مصر و القاهرة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، دار غحيـاء الكتـب العربية ،بيروت،1967 م،ج1 ص185.

(3) عياض :تراجم ،ص208-232.

(4) ابن الجزري: طبقات القرّاء، ج1 ص364.

(5) المصدر نفسه :ج2 ص333.

المغرب عرفوا فقط هذه القراءة، فقد ذكر المؤرخ المقدسي الذي زار القيروان في أواخر القرن الرابع الهجري/العاشر ميلادي:"و أمّا القراءات في جميع الإقليم فقراءة نافع"[1] .

ومن فرط ميل الأغالبة إلى هذه القراءة رأى المؤرخ القابسي أن يلزم المعلّم الصبيان بقراءة نافع[2].

و هكذا رغم طغيان قراءة نافع بإفريقية إلاّ أنّها لم تلغ القراءات الأخرى، و ظلّت موجودة إلى ما بعد عصر الأغالبة.

كما عرفت إفريقية قراءة أخرى و هي قراءة القرآن بالألحان[3]، و هي ليست من ضمن القراءات السبع، و فحوى هذه القراءة هي إدخال أصوات غنائية على قراءة القرآن و قد ظهرت في منتصف القرن الأول الهجري/السابع الميلادي، و إستمرت حتى أواخر القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي ببغداد، حيث إزدهرت مدرسة الموسيقى، و أدرجت ألحان الغناء في القرآن [4].

إلاّ أنّ الكثير من العلماء لم يستسغ هذه القراءة، و منهم الإمام مالك الذي قال عنها: "لا يجوز يقرأ القرآن بالألحان لأنه يشبه الغناء"[5].

و السؤال الذي يمكن أن يطرح: هل وجدت القراءة بالألحان بإفريقية؟ و للإجابة على ذلك، فقد ورد لدى المؤرّخ أبي العرب أنّ العالم حسنون الدباغ المعروف بإبن زبيبة

---

[1] أنظر: أحسن التقاسيم ،ص238.

[2] القابسي: الرسالة المفصّلة لأحوال المتعلّمين و أحكام المعلّمين و المتعلّمين ، تحقيق أحمد خالـد ، الطبعـة الأولى، الشركة التونسية للتوزيع، تونس ،1986م، ص.....

[3] أنظـر عنـها: M. Talbi: La Qira â Bi_L.alhan, Dans ARABICA, LEIDEN, 1958; P183_190.

[4] IBID,P.185.187.

[5] ابن أبي زيد القيرواني: كتاب الجامع، تحقيق محمد أبو الأجفان، ط2، المكتبة العتيقـة،تونس،1983م،ص166. وابن سحنون: آداب المعلمين،ص104.

و الذي كان معاصرا لسحنون و إبنه محمد، قد إشتهر بقراءة القرآن و إليه ينسب اللحن المعروف في المغرب بالحسنوني.[1]

كما ورد لدى إبن سحنون أنّ الجواري كنّ يحسنّ إلى جانب الشعر و الغناء، القراءة بالألحان[2]، و في هذا يقول . " قالت والدة إبراهيم بن أحمد بن محمد بن الأغلب له: إنّ عندي وصيفتين ربّيتهما لك... و هما يحسنان القراءة بالألحان "[3].

و يتّضح من هذا النص أنّ هذه القراءة كانت موجودة بإفريقية في الفترة الأغلبية، إلاّ أن جوازها كان مختلفا فيه، فقد ذكر محمد ابن سحنون في شأن العلوم التي تلقّن للصبيان حيث قال:" و لا أرى أن يعلّمهم ألحان القرآن...لأنّ ذلك داعية إلى الغناء و هو مكروه و رأى أن ينهى عن ذلك بأشد النهي "[4].

و معنى هذا أنّ النهي عن القراءة بالألحان إتّخذه بعض العلماء المالكّيين كإبن سحنون و القابسي، تأسّيا بالإمام مالك الذي نبذ هذه القراءة كما سبق.

و من أشهر من برز في علوم القرآن في الفترة الأغلبية نذكر: الحارث بن أسد، من أهل قفصة، و كان يختم القرآن في كل ليلة من رمضان[5]. و أبو عبد الله أحمد بن يزيد القرشي (ت280هـ/893م)، و قد سمع من سحنون، و كان يعلّم القرآن[6]. و أبو محمد عبد الله بن إسحاق بن التبان (ت277هـ/890م) الذي كان " من أحفظ الناس بالقرآن و التفنّن في علومه "[7].

---

(1) أبو العرب: طبقات، ص141.

(2) ابن سحنون: المصدر السابق، ص 40-41.

(3) المصدر نفسه: ص 40-41

(4) المصدر نفسه: ص104-105.

(5) عياض: المدارك، ج2 ص490.

(6) المالكي: الرياض، ج1 ص374.

(7) عياض: المدارك، ج4 ص517.

و إذا كانت المصادر قد ذكرت هؤلاء العلماء المغاربة الذين ألمّوا بعلم قراءة القرآن و إقرائه، إلاّ أ ا لم تذكر أ م خلّفوا تصانيف في هذا العلم في القرنين الثاني و الثالث الهجريين/الثامن و التاسع الميلاديين. لكّننا وجدنا تآليف في هذا العلم في الفترات اللاحقة لعصر الأغالبة لعلماء مغاربة كأبي الحسن بن الخلف القيرواني (ت514هـ/1120م) الذي ألّف كتاب " تلخيص العبارات في القراءات " و قد كان تصدّر للإقراء بالإسكندرية[1].

و يتبّين مما ذكر أنّ الأغالبة عرفوا أكثر من قراءة للقرآن الكريم، و لكّنهم أخذوا بقراءتين لهما إمتدادت مذهبية شائعة بإفريقية، فالأولى و هي قراءة حمزة بن حبيب لها صبغة حنفّية، و قد أخذت طريقها إلى إفريقية بفضل وفود بعض أعلام هذه القراءة من البصرة على إفريقية في النصف الثاني من القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي.

و الثانية و هي قراءة ورش عن نافع و لها صبغة مالكّية، و قد أخذها الأغالبة عن نافع نفسه و من تلاميذه بالحجاز ثم بمصر عن أشهرهم عثمان بن سعيد المعروف بورش. إلاّ أنّ المغاربة تمسّكوا أكثر بقراءة نافع لإرتباطها بالمذهب المالكي الذي هو مذهب عموم أهل المغرب.

---

[1] السيوطي: حسن المحاضرة، ج1، ص494، .و ابن الجزري: طبقات القرّاء، ج1، ص211.

الفصل الثالث

مظاهر النشاط العلمي

بإفريقية في عصر الأغالبة

❖الفصل الثالث :

مظاهر النشاط العلمي في إفريقية في عصر الأغالبة (184هـ- 296هـ/800م-909م)

أولا: حلقات العلم.

ثانيا: المناظرات

ثالثا: حركة التأليف في مختلف العلوم.

رابعا: أعلام الفكر في العلوم العقلية و الأدبية و التطبيقية.

❖ تمهيد:

تعددت مظاهر النشاط العلمي في إفريقية في عصر الأغالبة، من علوم شرعية و عقلية و أدبية، فعقدت حلقات العلم في المساجد و بيوت الفقهاء ، و سادت المناظرات الفكرية بين الفقهاء و العلماء، في شتى المسائل الفقهية و الكلامية،كما إعتنى الأغالبة بعلم الطب و أنشأوا لذلك المستشفيات(المارستانات) و الصيدليات للتكفل بصحة الناس.

وشهدت الفترة الأغلبية حركة تأليف واسعة في شتى مناحي هذه العلوم ساهمت في النهضة العلمية التي عرفتها إفريقية خلال هدا العصر، فمن ذلك:

أوّلا: حلقات العلم:

غالبا ما كانت تقام حلقات العلم المرتبطة بالعلوم الشرعية، بالمساجد أو بمنازل الفقهاء و العلماء. و كان نظام الحلقات ميزة و طريقة متبعة في التحصيل و التفقه، حيث يتحلق الطلبة و المريدون حول عالم أو فقيه في درس حديث أو تفسير أو حلقة علمية مرتبطة بالكتاب و السنة. من هذه الحلقات حلقة أبي العرب " الذي كانت له حلقة يدرس فيها" [1] .

كما توافد على الإمام سحنون عدد كبير من الطلبة و المريدين من أنحاء المغرب و الأندلس، حيث صارت حلقة درسه، التي لا تخرج عن نطاق الفقه، أكبر حلقة عرضت لفقيه في ذلك الوقت، حتى أن ابن فرحون يذكر في ديباجه أنّ درسه كان يضم أحيانا سبعمائة طالب" انتفعوا بمجالسته"[2].

---

(1) ابن ناجي: العالم، ج3 ص 35-36. و إن كان ابن ناجي لم يوضح لنا موضوع هذه الحلقة، إلا أ ا لا تخرج عن دروس الحديث حيث (غلب عليه الحديث و الرجال)، عياض: المدارك، ج3 ص 335

(2) ابن فرحون: الديباج، ص164.و M. VONDERHEYDEN, La Berberie. Orientale. P.138

و كان لأبي سليمان ربيع بن عطاء الله القطان" بجامع القيروان، حلقة، يحضرها أبو القاسم بن شبلون و غيره"[1]، و كان معتنيا بمسائل الفقه على المذهب الملكي. كما كان لأبي إسحاق إبراهيم ابن أحمد السبائي مجلسا، حيث كان " يتذاكر العلماء بحضرته و في مجلسه "[2].

وعلى العموم فقد كانت حلقات العلم هذه رافد من روافد الحركة العلمية المرتبطة بالدراسات الدينية التي عرفتها إفريقية في الحقبة الأغلبية.

ثانيا : المناظرات:

كثيرا ما كانت تعقد مجالس المناظرات و المجادلات حول عدة مسائل فقهية بين فقهاء مالكيين و أحناف من جهة، وبين مالكية و معتزلة من جهة أخرى، وحتى بين المالكيين أنفسهم. و غالبا ما كانت تعقد هذه المناظرات في بلاط الأمراء.

و يؤكد قيام هذه المناظرات في بلاط الأمراء القصة التي أوردها أبو العرب في طبقاته، و التي دارت بين أحد رجال الحديث وهو تابعي يدعى يزيد بن أبي منصور و بين الوالي محمد بن الأشعت في صحة حديث نبوي، و أفحمه حتى أغضبه، ثم فسره له، فقبل منه ابن الأشعث معجبا بضبطه بالرغم من ضعفه و هرمه[3].

و لم تكن المناظرات حكرا على بلاط الأمراء، بل كانت تحدث في أماكن متعددة، في منازل العلماء و الفقهاء، في مراحل السفر، و في كل مكان. و كانت بين فئات مختلفة، بين المسلمين و أهالي الذمة، وبين أصحاب المذاهب المختلفة.

---

(1) عياض: المدارك، ج3 ص 324

(2) عياض:المدارك، ج3 ص 377

(3) أنظر المصدر السابق، ص88

و قد برز في المناظرات العلمية الدينية خاصة عدد لا بأس به من العلماء و الفقهاء، منهم عبد الله بن فروخ الذي إنتصر في مناظرته على زفر بن الهذيل في مجلس أبي حنيفة، و كان زفر يزدري ابن فروخ كونه مغربيا، و مع أنّ المصادر تذكر حدوث هذه المناظرة إلاّ أنها لم تورد التفاصيل التي دارت حولها.

كما تناظر أسد بن الفرات مع زميله في القضاء أبي محرز في شأن تحليل أو جواز الشراب المسكر، فكان هذا الأخير على رأي الكوفيين، وذهب إلى تحليله، على حين كان أسد بن الفرات يرى تحريمه[1].

و قد كثرت المناظرات بين المالكية و الأحناف في شأن تحريم الأشربة المسكّرة أو جوازها، و تحريم المعاملة بالربا و تحليله. و كان الفقهاء المالكيون متشددين في ذلك، في حين لم يكن الأحناف مثلهم.

و من العجب أن يحدث مثل هذا الأمر، لأنه من المعروف أنّ جمهور وفقاء المذاهب الأربعة أجمعوا على تحريم جميع الأشربة المسكّرة، و الربا محرم بالقرآن و السنة و الإجماع[2]، و يمكن القول أنّ عدم تحريم أبي محرز للشراب المسكّر لم يكن يستند على نصوص فقهية، و إنما كان نابعا من هواه وسوء دينه.

ولم يقتصر الأمر على المناظرات بل تعدى ذلك إلى تأليف الكتب في الرد على أهل الأهواء[3] .

و كثيرا ما جرت مناظرات بين المالكية و الأحناف، ومن إعتنق الإعتزال في حضرة الأمراء، من ذلك المناظرة التي دارت بين الإمام سحنون و إبن أبي الجواد حول مسألة خلق القرآن، و قد كان ابن أبي الجواد معتزليا و يقول بخلق القرآن.

---

(1) أبو العرب: المصدر السابق، ص172.

(2) أنظر عن ذلك،د، وهبة الزحيلي: الفقه الإسلامي و أدلته، دار الفكر،دمشق، 1984، ج3 ص536-537 و ج5 ص 669 و ما بعدها

(3) عياض، المصدر السابق، ج3 ص106. و انظر عن هذه التآليف مبحث حركة التأليف لاحق في هذا الفصل.

فقد جاء الأمير زيادة الله (ت223هـ/837م) بالإمام سحنون و أقعده للمناظرة بعد أن جمع له قواده وقاضيه ابن أبي الجواد وسألهم عن القرآن، فقال سحنون:« أما شيء أبتدئه من نفسي فلا، و لكني سمعت من تعلّمت منه وأخذت عنه، كلهم يقولون: القرآن كلام الله غير مخلوق، فقال ابن أبي الجواد: كفر، أقتله و دمه في عنقي » [1].

و لتصوير القساوة التي إتسم ا هذا القاضي، أن ذهب إلى حد أن إقترح على الأمير بأن يقطّع الإمام سحنون إلى أجزاء، لقوله بأبدية القرآن[2]، و قد وافقه جماعة كانوا يحضرون الس، إلاّ أنّ الأمير أمره بملازمة بيته، و أن يكف عن الإفتاء[3].

من هذا النص نستنتج أن المعتزلة يطوعون النصوص القرآنية لأهوائهم أو لأهداف سياسية يرضون ا الحكام و للتقرب منهم.

أما محمد بن سحنون فقد " كان من الحفّاظ المتقدمين المناظرين"[4] ،وكان " جامعا لخلال قلّ ما إجتمعت في غيره من الفقه البارع، و العلم بالأثر و الجدل و الحديث، و الذب عن مذهب أهل الحجاز" [5].

و ذكر الخشني أنه كانت له مناظرات في الفقه و علم الكلام، وذلك حين قال : "كانت له أوضاع في المناظرة، في فقه الفقهاء و في كلام المتكلّمين"[6]، إذ يعد محمد بن سحنون من أبرز الادلين المالكيين في عصره.

روي أنه تناظر بمصر وهو في طريقه إلى الحج مع يهودي، و قد إستغرقت المناظرة عدة ساعات، إنتهت بإنتصار ابن سحنون و إسلام اليهودي على يده[7] .

---

(1) عياض تراجم الاغلبية، ص 117.

(2) M.VONDERHEYDEN, op.cit, P.155

(3) المالكي: المصدر السابق, ج1 ص236 .و عياض: المدارك، ج2 ص610.

(4)عياض : المصدر نفسه ,ج 3 ص105

(5) نفس المصدر و الجزء و الصفحة.

(6) أنظر، قضاة قرطبة، ج1 ص 256.

(7) المالكي : المصدر السابق، ج1 ص 352، الدباغ، المصدر السابق، ج1 ص81، عياض، المدارك، ج3 ص113.

و إننا و إن كنا لم نحصل على نص المناظرة، فإنّ محمد ابن سحنون قد أقدم على مناظرة هذا اليهودي بدافع الغيرة على الدين و الخوف على المسلمين من الفتنة، خاصة و أنّ هذا اليهودي قد أظهر حجته على صديق ابن سحنون، في مناظرة أقيمت بينهما في مصر قبل مجيء محمد بن سحنون، فقال محمد لصديقه: " كاد أن تجرى على يديك فتنة عظيمة، كيف تأتي على رجل يهودي تناظره و أنت ضعيف المناظرة و الجدال؟ فإذا رأى من أراد الله فتنته، هذا الذي كان يهوديا قد غلبك و إستظهر عليك بباطله، أدخلت عليه الفتنة و داخله الشك في دينه.... " و ختم قائلا: " و لو أني خفت الفتنة على الناس أن يداخلهم شك في دينهم ما ناظرته"[1].

يشبه قول ابن سحنون لصاحبه قول مالك ابن أنس في رسالته لإبن فروخ لمّا إستشاره في الرد على أهل الأهواء: " إنك إن ظننت ذلك بنفسك خفت أن تذل و تهلك أو نحو ذلك، لا يرد عليهم إلاّ من كان عالما، ضابطا عارفا بما يقول لهم..[2]

لقد تطورت المدرسة المالكية بعد الإمام سحنون، و أصبح ممثلوها يهتمون بفن الجدل، إضافة إلى إهتمامهم بالفنون و العلوم الأخرى.

و في مقدمة هذه الطبقة نجد شخصية أبي عثمان سعيد بن الحداد (ت302هـ/914م) الذي إعتنى منذ صغره بعلم الكلام و الجدل، و القول بالنظر و الحجة.

و قد تزعم المرحلة الجديدة في تاريخ المدرسة المالكية بإفريقية، كما تخرج على يديه عدد من علماء إفريقية، من بينهم إبراهيم بن محمد الضبي المعروف بابن برذون الذي كان يذهب مذهب النظر من رجال أبي عثمان سعيد بن الحداد[3] .

---

[1] المالكي:، المصدر السابق، ج1 ص 352.
[2] أبو العرب :طبقات علماء افريقية ,ص 110
[3] الدباغ :معالم الايمان ,ج2 ص177

و كان أبو عثمان" ثقة فيما ينقل عالما بالفقه و الكلام، و الذب و الرد على أهل الفرق، و من أدهى الناس، و أعرفهم فيما إختلفوا فيه" [1]، و قد تتلمذ على يد الإمام سحنون، إلاّ أنه "رجع إلى المذهب الشافعي، و كان يسمي المدونة المدودة، فرفضه أصحاب سحنون"[2].

و ربما تعود قصة رجوعه إلى المذهب الشافعي، إلى تأثره بتعاليم هذا الإمام في مذهبه، عن طريق تلاميذه عند زيارته للمشرق.

أما عن سبب نعته للمدونة بالمدودة فربما يرجع ذلك إلى كونه وقع في جدال حول مسألة ما مع أحد المتعصبين للإمام سحنون، جعلته يطلق عليها هذا الإسم، و إلاّ كيف نفسر أنه تلقّى العلم شخصيا عن الإمام سحنون، وبعد ذلك ينعت مدونته بهذا الإسم، و التي أصبح لها صيت ليس في المغرب و الأندلس فحسب، بل حتى بالمشرق.

إلاّ أنه في آخر أيامه كانت له مواقف حاسمة مع دعاة الشيعة الفاطميين، إستطاع أن يكسب بها ثقة الرعية به، حيث تصدى للفاطميين بمناظراته لهم، مدافعا عن السنة، يتجلى ذلك في مجلس المناظرة الذي جمعه مع أبي عبد الله الشيعي، إذ قال أبو عبد الله لأبي عثمان: « أنتم تفضلون على الخمسة أصحاب الكساء غيرهم (يعني بأصحاب الكساء محمد -صلى الله عليه و سلم-والحسن و الحسين و عليا و فاطمة، و يعني بغيرهم أبا بكر و عمر و عثمان)، فقال أبو عثمان: أيهما أفضل خمسة سادسهم جبريل أو إثنين الله ثالثهما، فبهت الشيعي" [3].

هكذا وردت هذه المناظرة عند الدباغ، وهي في رأيي غير مقنعة لأنّ السنة لا يفضلون أبا بكر عن محمد -صلى الله عليه و سلم-. ومن الواضح أنها موضوعة، ولكنها مع ذلك تعطي فكرة عن قيام مناظرات بين سنة و شيعة.

---

[1]أبو العرب :المصدر السابق ص248.و الخشني :قضاة قرطبة ج3 ص257

[2]ابن ناجي :المعالم ج2 ص202-203

[3] الدباغ: المصدر السابق، ج2 ص 205.

كما سأل يوما علي بن زياد أبا محرز الذي كان وسط طلبته: " يا أبا محرز ما الذي أراده الله سبحانه و تعالى من عباده؟" قال: "الطاعة" فقال له: "و ما الذي أراد إبليس منهم؟" فقال له: "المعصية" فقال له: "أي الإرادتين غلبت؟" فقال أبو محرز : "أقلني أقالك الله تعالى" فقال له علي: "و الله لا أقيلك حتى تتوب من بدعتك "[1]، أي أن لا يرجع إلى الإعتزال.

و كان أبو محرز معتزليا، و مساندا من قبل الأمير الأغلبي زيادة الله الأول، و الذي كان هو نفسه يقول بالاعتزال[2].

و يتبين مما سبق أنّ هذه المناظرات كان يقصد ا فقهاء المالكية إستجلاء الحقائق المختلف فيها بينهم و بين الفئات الأخرى و خاصة المعتزلة و الشيعة، و تفنيد آرائهم، و بالتالي القضاء على بدعهم. كما تبين هذه المناظرات مدى تطور الدراسات الكلامية بإفريقية خلال القرن الثالث هجري/التاسع ميلادي.

ثالثا: حركة التأليف في مختلف العلوم.

عرفت إفريقية في عصر الأغالبة حركة نشطة في مجال التأليف، فقد صنف العلماء و الفقهاء تآليف في شتى مناحي العلم و المعرفة، وإن كانت أغلب هذه المؤلفات التي وردت في كتب التراجم و الطبقات، في الفقه و أمور الدين بصفة عامة، إضافة إلى كتب شملت موضوعا ا علوم التاريخ و اللغة العربية و الطب.

و قد ورد ذكر بعض هذه المؤلفات في ثنايا الحديث عن العلوم المختلفة. ففي العلوم الشرعية لا شك أنّ أهم كتاب أُلّف في هذه الفترة، و كان له الأثر البالغ في نفوس أهل إفريقية هو"مدونة" الإمام سحنون. فلما ذهب هذا الأخير إلى مصر عام

---

[1] المالكي: المصدر السابق، ج1 ص 159-160.

[2] M.VONDERHEYDEN, op.cit, P.145

(178هـ/793م) تلقّى العلم على تلاميذ الإمام مالك بن أنس، منهم عبد الرحمن بن القاسم و ابن وهب و أشهب.

وكان سحنون قد حمل معه من القيروان تلك الأجزاء من موطأ مالك التي كان أسد بن الفرات قد درسها على الإمام مالك.

وكانت تطرح على بساط البحث بعض المسائل التي تثيرها دراسة الموطأ في حضرة الفقيه عبد الرحمن بن القاسم الذي عد من أعظم أئمة المذهب المالكي بعد وفاة الإمام مالك[1]، و كانت صلة الإمام سحنون بعبد الرحمن ذات أثر بعيد في نشر المذهب المالكي بإفريقية و المغرب.

و قال بعض من كتب سيرة الإمام سحنون أنه كان أول من أدخل آراء مذهب الإمام مالك إلى المغرب، إلاّ أنّ عليا بن زياد و البهلول بن راشد و أسد بن الفرات سبقوه إلى تلقين الموطأ أو أجزاء منه على الأقل للطلبة في المغرب[2].

و المدونة مصنف جامع و شامل يزيد كثيرا عن موطأ مالك، ولو أنه يعتمد عليه، و مخطوطات المدونة تعد نادرة بعض الشيء، و قد طبعت طبعتين في القاهرة، الأولى تقع في أربعة مجلدات و طبعت عام 1324هـ -1325هـ /1906م-1907م. والثانية في ستة عشر جزءا و طبعت عام 1905م-1906م.

و قد قام الفقيه المغربي أبو محمد عبد الله بن أبي زيد بإختصار مصنف سحنون هذا و عنونه بـ " مختصر المدونة " . و هناك مختصرا آخر للمدونة قام به سعيد خلف بن القاسم الأزدي البراذعي الذي يعد من كبار تلاميذ ابن أبي زيد.

---

[1] دائرة المعارف الإسلامية، ج 11 ص328.

[2] دائرة المعارف الإسلامية، ج 11 ص329. و أنظر مبحث المذهب المالكي في الفصل الثاني.

ومن الشروح الكثيرة التي كتبت في تفسير المدونة شرح وضعه محمد بن سحنون، و آخر وضعه إسحاق عبد الرحمن بن أبي عمران الفاسي (ت 443هـ/1051م)[1].

أما كتاب "الأسدية" الذي ألّفه أسد بن الفرات، فهو عبارة عن مسائل على مذهب الإمام مالك بن أنس طرحها أسد على أبن القاسم و أجابه عنها، حينما زار أسد مصر.

و لا شك أنّ أسد بن الفرات قد ضمن كتابه هذا بعض آراء علي بن زياد في مذهب مالك، حيث أنه - أي أسد - كان قد سمع الموطأ أول الأمر من علي بن زياد قبل رحلته إلى المشرق[2].

و ظلّت الأسدية هي المرجع الأساسي لمذهب مالك بالمغرب، إلى أن جاء الإمام سحنون بالمدونة التي أضافت عدة مسائل على الأسدية ، و أصبحت هي المعتمدة بالمغرب.

ومن مؤلفي و أعلام إفريقية الذين برزوا في ميدان التأليف في العلوم الدينية و غيرها كذلك، نذكر محمد بن سحنون (ت 256هـ/869م) الذي كان غزير التأليف، من تصانيفه "كتاب الجهاد" و يقع في عشرين جزء، و كتاب "المسند في الحديث" و كتاب "تفسير الموطأ" في أربعة أجزاء، و كتاب "الإباحة" و كتاب "غريب الحديث" و كتاب "طبقات العلماء" في سبعة أجزاء، و كتابه المشهور "آداب المعلمين"[3]، و له كذلك كتاب "الجامع" و هو أكبر مؤلفاته حيث جمع فيه فنون العلم و الفقه، و هو يزيد عن المائة جزء، عشرون منها في السير، و خمسة و عشرون جزءا منها في الأمثال، و عشرة أجزاء في آداب القضاء، و خمسون جزءا تتحدث في الفرائض، و ثمانية أجزاء تتحدث في التاريخ و طبقات

---

(1) دائرة المعارف الإسلامية : ج 11 ص 331.

(2) أنظر مبحث المذهب المالكي في الفصل الثاني.

(3) عياض المدارك، ج3 ص105-106 و ما بعدها.و ابن فرحون، الديباج، ص235-236، و ذكر الدباغ أن محمد بن سحنون شرح أربعة كتب من المدونة منها كتاب "المرابحة"، أنظر، معالم الإيمان، ج2 ص18.

الرجال، و الكتاب يعد إجمالا عبارة عن دائرة معارف شبه شاملة للعلوم التي كانت سائدة في ذلك العصر[1].

ولم يصلنا من كتب ابن سحنون هذه إلا كتابه آداب المعلمين و البقية تعد مفقودة.

و تمتاز كتب محمد بن سحنون بجودة العرض، و براعته في تناول المواضيع، و قد شهد له بذلك علماء مصر، إذ ورد لدى أبي العرب ما نصه "و لمّا تصفّح محمد بن الحكم كتابه -يعني محمد بن سحنون- و كتاب معاصره محمد بن عبدوس قال : كتاب ابن عبدوس كتاب رجل أتى بفقه مالك على وجهه، و قال في كتاب ابن سحنون أنه كتاب رجل سبح في العلم سبحا"[2].

و في التفسير برز يحي بن سلام(ت 200هـ/815م) – السالف الذكر- كأشهر مفسر أغلبي، حيث ألّف كتاب التفسير فسر فيه القرآن الكريم[3]، كما ألّف كتاب "التصاريف" و هو كتاب في التفسير يهتم بدراسة الألفاظ القرآنية من حيث إتفاقها من جهة اللفظ و إختلافها من جهة المدلول[4].

كما ألّف محمد بن ابراهيم بن عبدوس (ت260هـ/873م) كتاب "التفاسير" فسر فيه أصول الفقه المالكي، كتفسير كتاب "المرابحة" و كتاب "المواضعة" و كتاب "الشفعة"[5].

---

(1) عثمان حجازي: المذهب التربوي عند ابن سحنون، ط1، مؤسسة الرسالة للطباعة و النشر، 1406هـ/1986م، ص34.

(2) الخشني، قضاة قرطبة و علماء إفريقية، ج1 ص 178.

(3) و قد ألف هذا الكتاب بإفريقية و عمل على تلقينه للناس. أنظر'الدباغ' المعالم، ج1 ص 326، و الداودي، طبقات المفسرين، ج2 ص 372

(4) عبد القادر زمامة و آخرون: معجم تفسير القرآن، د.ط، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية و العلوم و الثقافة، إيسيسكو، مطبعة الدار البيضاء، المغرب، 1997م، ص96.

(5) ابن فرحون:الديباج، ص336.

كما ألّف أربعة أجزاء في شرح مسائل المدونة[1].و ظهر نوع خاص بالتفسير الفقهي، مرتبط بأحكام القرآن[2]، و هو تفسير خاص بآيات التشريع.

و قد برز في هذا المجال محمد بن سحنون، و أبو الأسود موسى بن عبد الرحمن المعروف بالقطان و الذي ألّف فيه إثنا عشر جزءا[3]، و ألّف أحمد بن أحمد بن زياد الفارسي (ت306هـ/918م) أيضا في هذا المجال عشرة أجزاء[4].

ومن أشهر من اهتم بالتفسير اللغوي للقرآن الكريم بعد يحي بن سلام، نذكر أبو اليسر إبراهيم بن أحمد الشيباني(ت298هـ/910م) الذي ألّف كتابا في هذا المجال عنونه بـ "سراج الهدى في القرآن و مشكله و إعرابه و معانيه"[5].

كما إشتهر سعيد بن الحداد كمفسر لغوي للقرآن حيث ألّف كتاب "توضيح المشكل في القرآن"[6] فسر فيه معاني القرآن إعتمادا على المرجعية اللغوية و علومها.

و ألّف أبو زكريا يحي بن عمر بن يوسف(ت289هـ/901م) كتاب "الصراط" و كتاب النظر إلى الله عز وجلّ" و كتاب "إختلاف ابن القاسم و أشهب" وله من المصنفات أربعين جزءًا[7].

---

(1) عياض: المدارك، ج3 ص120-121. و ابن فرحون: المصدر السابق، ج1 ص178.و الشيرازي: طبقات الفقهاء، ص 134. كما ألف كتابا في الفقه سماها "المجموعة على مذهب مالك و أصحابه" أنظر: عياض: المصدر السابق، ج3 ص 120.

(2) مناع القطان: مباحث في علوم القرآن، ص 350.

(3) ابن مخلوف: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، ط1 ، دار الكتاب العربي، بيروت، 1930م،ج1 ص 70.

(4) عياض: تراجم أغلبية، ص 385.

(5) إسماعيل باشا البغدادي: هدية العارفين و أسماء المؤلفين و آثار المصنفين، د.ط، إستانبول، 1951، ج1 ص4.

(6) الزبيدي: طبقات النحويين و اللغويين، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، مصر، 1954م، ص 261.

(7) الدباغ: المعالم، ج2 ص 163. و الظاهر ان كتابه الأخير مساهمة منه لتوضيح أسباب الإختلاف بين هذين العالمين، و التي لا تخرج عن مسائل فقهية.

كما ألّف يحيى بن عمر الكناني (ت289هـ/901م) ما يربو عن أربعين كتابا في الحديث و الفقه والرد على أهل البدع، وفي فضائل المرابطة. و منها كتاب هام هو "أحكام السوق" بين فيه نظام المدائن في الإسلام و نظام الحسبة. و يرى الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب أن هذا المصنف هو أقدم كتاب في أصول الحسبة و أحكامها[1].

كما ألّف أحمد بن إبراهيم بن أبي عاصم اللؤلؤي (ت 318هـ/930م) كتابا في الضاد و الظاء[2]، و هو كتاب لغوي.

وصنف أبو سعيد عثمان بن محمد الغساني (ت302هـ/914م) كتاب "إيضاح المشكل" في التفسير و كتاب "المقالات" رد فيه على أهل المذاهب كلها، و كتاب "عصمة النبيين" و كتاب" العبادة الصغرى و الكبرى"[3]، و غيرها.

و ألّف أبو العرب محمد أحمد بن تميم بن تمام بن تميم التميمي (ت333هـ/944م) عدة الكتب منها كتاب "طبقات علماء إفريقية" و كتاب "عباد إفريقية"، و "مسند حديث مالك" و كتاب "التاريخ" في سبعة عشر جزءا، و كتاب "مناقب بني تميم" و كتاب" المحن" و كتاب"فضائل مالك" و كتاب" فضائل سحنون" و كتاب "الوضوء و الطهارة" و غيرها[4].

---

[1] أنظر، ورقات، ص 50_51. و يشير الأستاذ عبد الوهاب أن لديه نسخة كاملة من هذا الكتاب " أحكام السوق" قام بتحقيقها و نشرها، إلا أننا لم نعثر عليها.

[2] الزبيدي: طبقات النحويين واللغويين، ص 234. والسيوطي : بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، ط1، مطبعة السعادة، 1326هـ ، ص172

[3] الدباغ: المصدر السابق، ج2 ص 202، والزبيدي: المصدر السابق، ص 238

[4] الدباغ: المعالم، ج3 ص 43. وعياض: المدارك، ج3 ص 335.و ابن فرحون: الديباج، ص 250. والخشيني: قضاة قرطبة، ج1 ص 226

و كان لأبي بكر بن محمد بن اللباد (ت333هـ/944م) تصانيف منها "إثبات الحجة في إثبات العصمة" و كتاب "فضائل مالك بن أنس" و كتاب "الإيثار و الفوائد" في عشرة أجزاء(1).

كما نذكر تصانيف للفقيه أبي عبد الله محمد بن حارث بن إسماعيل الخشني (ت361هـ/971م) منها كتابه "الإتفاق و الإختلاف في مذهب مالك" و كتاب"التحاصر و المغالاة" و كتاب" الفتيا" و كتاب "تاريخ علماء الأندلس "و كتاب "تاريخ قضاة الأندلس" و "تاريخ الإفريقيين" و كتاب" فقهاء المالكية" و غيرها(2).

و ألّف أبو محمد عبد الله بن أبي زيد(ت389هـ/996م) كتاب " النوادر و الزيادات على المدونة" في أزيد من مائة جزء، و كتاب "مختصر المدونة" و كتاب "الإقتداء بأهل السنة" و كتاب "الذب عن مذهب مالك" و كتاب "المضمون من الرزق" و كتاب "المعرفة و اليقين" و كتاب "المناسك" و كتاب "شرح مسألة الحبس" و كتاب "البيان عن إعجاز القرآن" و "كتاب الرسالة"(3).

و قد إنتشر كتاب "الرسالة" في سائر بلاد المسلمين، منها العراق و اليمن و الحجاز و الشام و مصر، و بلاد النوبة و صقلية، و جميع بلاد إفريقية و الأندلس و المغرب. و تنافس الناس في إقتنائها حتى كتبت بالذهب. وأول نسخة نسخت منها بيعت ببغداد في حلقة العالم أبي بكر الأ.ري بعشرين دينارا(4).

---

(1) ابن ناجي: المصدر السابق، ج3 ص 23. و ابن فرحون:المصدر السابق، ص 250

(2) عياض: المصدر السابق،ج4 ص 531

(3) الدباغ: المصدر السابق، ج3 ص173. و عياض: المصدر السابق، ج4 ص 494. و ابن فرحون: المصدر السابق، ص 177.

(4) الدباغ: المصدر السابق، ج3 ص 138-139.

و هذه الرسالة في أصلها حوت عقيدة أهل السنة و مجمل الفروض، و تناولها المفسرون بأكثر من مائة شرح. كما ترجم أصلها إلى كثير من اللغات الأجنبية[1].

ولقيمة هذه الرسالة، فقد مدحها القاضي أبو محمد عبد الوهاب بن نصر المالكي بأبيات شعرية منها:

رسـالة علم صاغها العلم النهد   قد اجتمعت فيها الفرايض و الزهد

أصـول أضاءت بالهدى فكأنما   بدى لعيـ ـون الناظرين ا الرشد

وفي صدرها علم الديان واضحا   و آداب خـ ـير الخلف ليس لها ند

لقد أم بانيها السداد فذكره   ا خالد ما حج و اعتمر الوفد[2].

وفي علم الحديث برز أيضا أبو السيد إبراهيم (ت 296هـ/908م) الذي ألّف "مسندا في الحديث"[3].

و صنف ابن أبي كريمة كتابا في الحديث منها كتاب الزهد[4].

أما في مجال علم الكلام و الفلسفة، فقد برز فيهما مجموعة من العلماء الذين ساهموا بمؤلفا م في النشاط الكلامي الذي طبع إفريقية في هذه الفترة بين أهل السنة (من مالكيين و أحناف و شافعيين) و المعتزلة.

---

(1) ح.ح. عبد الوهاب: ورقات، ص 54

(2) ابن ناجي: المصدر السابق، ج3 ص 139-140.

(3) ابن الأبار: التكملة لكتاب الصلة، تحقيق عزت العطار، مطبعة السعادة، مصر 1956م، ج1 ص 173-174.

(4) أبو العرب :المصدر السابق,ص 216.

وقد وقفنا على مجموعة من الكتب الكلامية رد فيها أهل السنة على أفكار المعتزلة و أصحاب البدع و الأهواء منها: كتاب "الرد على الشكوكية" و كتاب "الرد على المرجئة" ليحي بن عمر(1).

و ألّف محمد بن سحنون كتبا في الكلام و المناظرة منها "رسالة في أدب المتناظرين" و كتاب "الإيمان و الرد على أهل الشرك" و "كتاب تحريم المسكر" و كتاب "تحريم النبيذ"، وقد أثارت مسألة تحريم أو تحليل النبيذ عقد مناظرات.

كما ألّف أيضا كتاب "الرد على الشافعي و على أهل العراق" و كتاب "الحجة على القدرية" و كتاب "الحجة على النصارى" و كتاب" الرد على أهل البدع" و كتاب "الرد على الفكرية".(2)

و ألّف عبد الله بن فروخ كتاب "الرد على المبتدعة"(3).

و يشير الدكتور محمد الطالبي في المجلة التونسية للعلوم الإجتماعية إلى شخصيتين قيروانيتين ألّفتا كتابين هامين في الرد على القدرية، و هما أحمد بن يزيد القرشي المعلّم (ت284هـ/897م) الذي ألّف كتاب السنة، و الثاني هو يحي بن عون الخزاعي (ت298هـ/911م) الذي ألّف كتاب الحجة. و رأى الطالبي أنّ هذين الكتابين لهما أهمية كبيرة ليس لإفريقية فحسب، و إنما لكل العالم الإسلامي(4).

---

(1) عياض: تراجم أغلبية، ص 163

(2) عياض: المدارك، ج3 ص 106 وما بعدها. و عياض: تراجم، ص 173-174

(3) أبو العرب: طبقات، ص 110. و المالكي: الرياض، ج1 ص 177

(4) Mohamed Talbi : du nouveau sur l'itizal en Ifriquia ,in revue tunisienne des sciences sociales N° 40-43. Année 1975, p. 47-48.

كما يعد أبو عثمان سعيد بن الحداد أحد أبز المناظرين ضد المعتزلة و الشيعة، و قد ألّف كتبا في المناظرة.[1]

و لم يكن ابن الحداد مناظرا فحسب، بل كان فيلسوفا أيضا. وقد إكتسب هذه الصفة من تأليفه كتاب "الإستواء"[2]، الذي تطرق فيه إلى صفات الله، و إستوائه على العرش[3].

كما ذكر الخشني أنّ لإبن الحداد كتابا آخرا في الفلسفة دون ذكر عنوانه، مبينا أنه رد فيه على القائلين بخلق القرآن.[4]

و نظرا لنشاط ابن الحداد في مجالس المناظرات و تأليفه الكتب في المجال الفلسفي، فقد إعتبره البعض الفيلسوف الأغلبي البارز الذي عرفته إفريقية[5].

و من الفلاسفة الذي ساهموا في تطور الدراسات الفلسفية في إفريقية أيضا نجد أن إسحاق بن سليمان الإسرائيلي الذي ألّف كتاب "بستان الحكمة" الذي يحوي مسائل العلم الإلهي، و كتاب "المدخل إلى المنطق" و كتاب في الحكمة في أحد عشر مقالة.[6]

---

(1) الخشني: طبقات علماء إفريقية، ص 150. أنظر مناظرته مع أبي عبد الله الشيعي في مبحث المناظرات ص127 من هذا الفصل.

(2) عبد المجيد بن حمدة: ثقافة المجتمع القيرواني في القرن الثالث الهجري، رسالة دكتوراه الدور الثالث، إشراف د. علي أحمد عيسى، كلية الآداب و العلوم الإنسانية، جامعة الجزائر، 1972م، ص 249.

(3) عياض: المدارك، ج1 ص 171

(4) أنظر: طبقات علماء افريقية، ص 221

(5) ح.ح عبد الوهاب: ورقات، ج1 ص 214.

(6) ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق نزار رضا، مكتبة الحياة، بيروت 1965م، ص 479 و ما بعدها

و في علم النحو[1]- الذي نشأ بالبصرة و الكوفة اللتين صارتا من أهم مراكز الثقافة في القرن الأول الهجري/السابع ميلادي[2]، فقد نحى علماء المغرب منحى البصريين و الكوفيين في هذا العلم، و أخذوه عنهم عندما زاروا المشرق بقصد العلم إبتداء من القرن الثاني الهجري/الثامن ميلادي.

و لم يقتصر علماء النحو المغاربة على السماع، و نقل كتب المشارقة و الأخذ عنها، بل إ م صنفوا مؤلفات خاصة م في النحو و العروض.

و لم أستطع الإطلاع على الكثير من هذه المؤلّفات لفقدها، و عدم دراستها من قبل المختصين في النحو و العروض، بل إنّ المتقدمين ذكروا عن بعض هؤلاء النحويين بأنهم كانوا يستخرجون من مسائل النحو و العربية أمورا لم يسبقهم إليها أحد[3]، و هذا دليل على تعمقهم في النحو و علوم اللغة العربية بصفة عامة.

و من الذين إشتهروا ذا العلم بإفريقية، و كان لهم دور في تعليمه و إنتشاره، عبد الله بن أبي حسان اليحصبي (ت226هـ/840م) الذي زار العراق و أخذ عن سيبويه (ت179هـ/795م) عالم اللغة بالبصرة، و عن الكسائي (ن189هـ/804م) العالم اللغوي بالكوفة[4].

و نذكر أيضا أبا الوليد عبد الله بن قطن المهري (ت253هـ/ 867م) الذي "كانت الأشعار تقرأ عليه مجردة من الشرح فيشرحها و يفسر معانيها"، فلما دخلت المشروحات نظر طلبة العربية و النحو فيها، و فيما كانو رووا عنه منها، فلم يجدوا في شرحه خلافا لما قال أصحاب الشرح، و لا وجدوا عليه من روايته و تفسيره شيأ من الخطأ[5]، و قد إلتقى

---

(1) إنّ علم النحو هو أن "ينحو الإنسان إلى معرفة التركيب فيما بين الكلمات لتأدية أصل المعنى"، أنظر، السكاكي: كتاب مفتاح العلوم، ط1، المطبعة الأدبية، مصر، د.ت، ص41.

(2) حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي، ج1 ص 505.

(3) أنظر الصفحة الموالية.

(4) ابن مخلوف: شجرة النور الزكية, ج1 ص 63

(5) الزبيدي: طبقات النحويين، ص 226. و المالكي: الرياض، ج1 ص311

بعدد من علماء العربية المعروفين منهم ابن الطرماح و عياض بن عوانة و أبو عبد الرحمن المقرئ الكوفي، و قتيبة النحوي[1].

وكان أبو محمد عبد الله بن محمد المكفوف (ت308هـ/920م) "عالما بالشعر و تفسير المشروحات، و أيام العرب و أخبارها ووقائعها"[2]. و قد أدرك ابن قطن المهري و أخذ عنه، و له كتب كثيرة في اللغة و الغريب و العروض.

فقد ذكر الزبيدي أنّ له كتابا في العروض "يفضله أهل العلم عن سائر الكتب المؤلّفة فيها"[3]. و لشهرة هذا النحوي فقد كان محط أنظار طلبة إفريقية و شتى مناطق المغرب.[4]

و من الذين لازموا و تتلمذوا على هذا العالم نذكر أحمد بن إبراهيم بن أبي عاصم اللؤلؤي (ت318هـ/930م) الذي كان من العلماء النقّاد في العربية و الغريب و النحو، و كان مطالعا على أكثر دواوين العرب في الشعر[5].

و يعد أبو القاسم إبراهيم بن عثمان بن الوزان النحوي(ت346هـ/957م) "إمام الناس في النحو وكبيرهم في اللغة العربية و العروض"، فقد كان يحفظ كتاب الخليل بن أحمد (ت170هـ/786م) في العين، و كتاب أبو عبيدة (ت211هـ/826م) في المصنف، و كتاب ابن السكيت (ت246هـ/860م)، وكتاب سيبويه و غيرها من كتب اللغة.و كان "يستخرج من مسائل النحو و العربية أمورا لم يتقدمه فيها أحد"[6].

---

(1) الزبيدي: المصدر نفسه، ص229.

(2) نفسه، ص 236

(3) الزبيدي: المصدر السابق، ص 237

(4) المصدر نفسه، ص237.

(5) المصدر نفسه، ص 244. و جمال الدين القفطي: إنباه الرواة على أنباه النحاة، تحقيق محمد أبو الفضل، د.ت، ص 27. و السيوطي: بغية الوعاة، ص 127.

(6) الزبيدي: المصدر نفسه، ص 248.

و يذكر السيوطي أن لأبي القاسم تصانيف كثيرة في النحو و اللغة[1]، إلاّ أنه لم يذكر عناوين هذه التصانيف، شأن الكثير من النحاة الذين ألّفوا كثيرا من الكتب و لم نعثر على عناوينها في كتب الطبقات، و بالتالي تعد مفقودة .

و كان أحمد بن أبي الأسود القيرواني من الذين تظلّعوا في النحو و اللغة بالقيروان، و درس على يدي أبي الوليد المهري[2].

كما كان أحمد أبو عبد الله محمد بن إسماعيل المعروف بحمدون النعجة (ت285هـ/898م) أحد كبار تلاميذ الوليد المهري، و أخذ عنه، إلاّ أنه –أي أبو عبد الله– كان أعلم من أستاذه في علم النحو، لحفظه كتاب سيبويه[3].

و كان أبو عبد الله يعظّم مكانة أبي الوليد في اللغة و النحو، و قد وضح ذلك شعريا عندما زاره أبو عبد الله في بيته ، فقال أبو الوليد لأبي عبد الله:

فلا تعملن نظرا في الكتاب   و ما شئت من علم نحو فسل

فقال أبو عبد الله:.

فإنك بحر لنا زاخر   تظل أمواجه ترتكل[4].

و كان أبو عبد الله محمد بن زرزر (ت 291هـ/903م) "حافظا للغريب، بصيرا بالعربية".[5]

---

(1) السيوطي: المصدر السابق، ص183.

(2) الزبيدي: طبقات النحويين، ص233. و القفطي: إنباه الرواة، ج1 ص 31

(3) السيوطي: بغية الوعاة، ص 22. و القفطي: المصدر نفسه، ج1 ص332

(4) أي تضرب أمواجها بعضها في بعض، و يقصد بذلك تأثير أبي الوليد في معاصريه. الزبيدي: المصدر السابق، ص 235. و القفطي: المصدر نفسه، ج1 ص 332-333. و السيوطي: المصدر السابق، ص22

(5) المالكي: الرياض، ج1 ص515. و الدباغ: المعالم، ج2 ص 248.

و يذكر الزبيدي أن أحمد بن محمد المدني كان عروضيا نحويا، و كان يؤدب الصبيان و يثقفهم بالعربية[1].

و لتوضيح الم لة التي بلغها النحاة المغاربة في هذا العلم، أن كان بعضهم يتراسل بمسائل النحو مع زملائهم. فقد كان علي بن الحضرمي يتراسل بالمسائل النحوية مع أحد العلماء، و مما كتب علي إلى هذا العالم، الذي يكنى بأبي إسحاق، هذه الأبيات:

لما أتاني كتاب واضح حسن   في النحو منك أبا إسحاق قد صنعا

كما تغلطني فيه و تفحمني   و لست بالنحو ممن يبتغي الشنعا[2].

و قد تفاعلت صقلية مع الحركة الأدبية التي عرفتها إفريقية في الفترة الأغلبية، حيث قصدها كثير من علماء اللغة، و أقدم الصقليون على تعلم اللغة و الآداب العربية.

و كان ممن دخل صقلية بقصد التعليم أبا سعيد بن غورك عالم اللغة المشهور، الذي استدعاه أبو الأغلب ابن أخ الأمير زيادة الله بن إبراهيم إلى جزيرة صقلية، وكان أعلم من أبي الوليد المهري بالقرآن و بحدود النحو[3].

و كان هذا الأخير قد زار الجزيرة، و يرجح أنه بث علوم اللغة العربية ا[4]. كما صحب إبراهيم ابن الأغلب معه العالم اللّغوي إسماعيل بن يوسف النحوي القيرواني المعروف بالطلاء المنجم ، إلى صقلية في غزواته[5]، و يكون قد ساهم في نشر علوم اللغة هناك.

---

(1) الزبيدي : طبقات النحويين، ص 237.

(2) المصدر نفسه، ص239

(3) الزبيدي: المصدر السابق، ص254.

(4) المصدر نفسه: ص251

(5) القفطي: المصدر السابق، ج1 ص214. و الزبيدي: المصدر السابق، ص 264

و من أهم المؤلفات اللغوية في العصر الأغلبي، و التي حفظتها لنا كتب الطبقات، على قلتها نذكر:

كتاب الألفاظ و كتاب في اشتقاق الأسماء لأبي الوليد المهري السالف الذكر[1].

و كتاب سراج الهدى في القرآن و مشكله و إعرابه و معانيه، و كتاب قطب الأدب و لقيط المرجان لإبراهيم ابن أحمد الشيباني (ت298هـ/910م)[2].

وكتاب توضيح المشكل في القرآن لسعيد بن الحداد[3].

و كتاب العروض لأبي محمد بن محمد المكفوف[4].

و كتاب أقيسة الأفعال للحسن بن علي السبخي (ت 243هـ/859م)[5].

و كتاب في الظاء و الضاد لأحمد بن أبي عاصم اللؤلؤي.[6]

و كتاب التصاريف ليحي بن سلام – و قد سبقت الإشارة إليه – و هو كتاب في التفسير يهتم بدراسة الألفاظ القرآنية من حيث إتفاقها و اختلافها من جهة المعنى.[7]

---

(1) الزبيدي: المصدر السابق، ص 250

(2) ابن الابار: التكملة، ج1 ص 174.

(3) الزبيدي: المصدر السابق، ص261

(4) المصدر نفسه، ص 257.

(5) الدباغ: المعالم، ج3 ص 50. و المالكي: الرياض: ج2 ص 203.

(6) ياقوت الحموي: معجم الأدباء، تحقيق إحسان عباس، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1993م، ج1 ص 171 . و القفطي: إنباه الرواة، ج1 ص 27

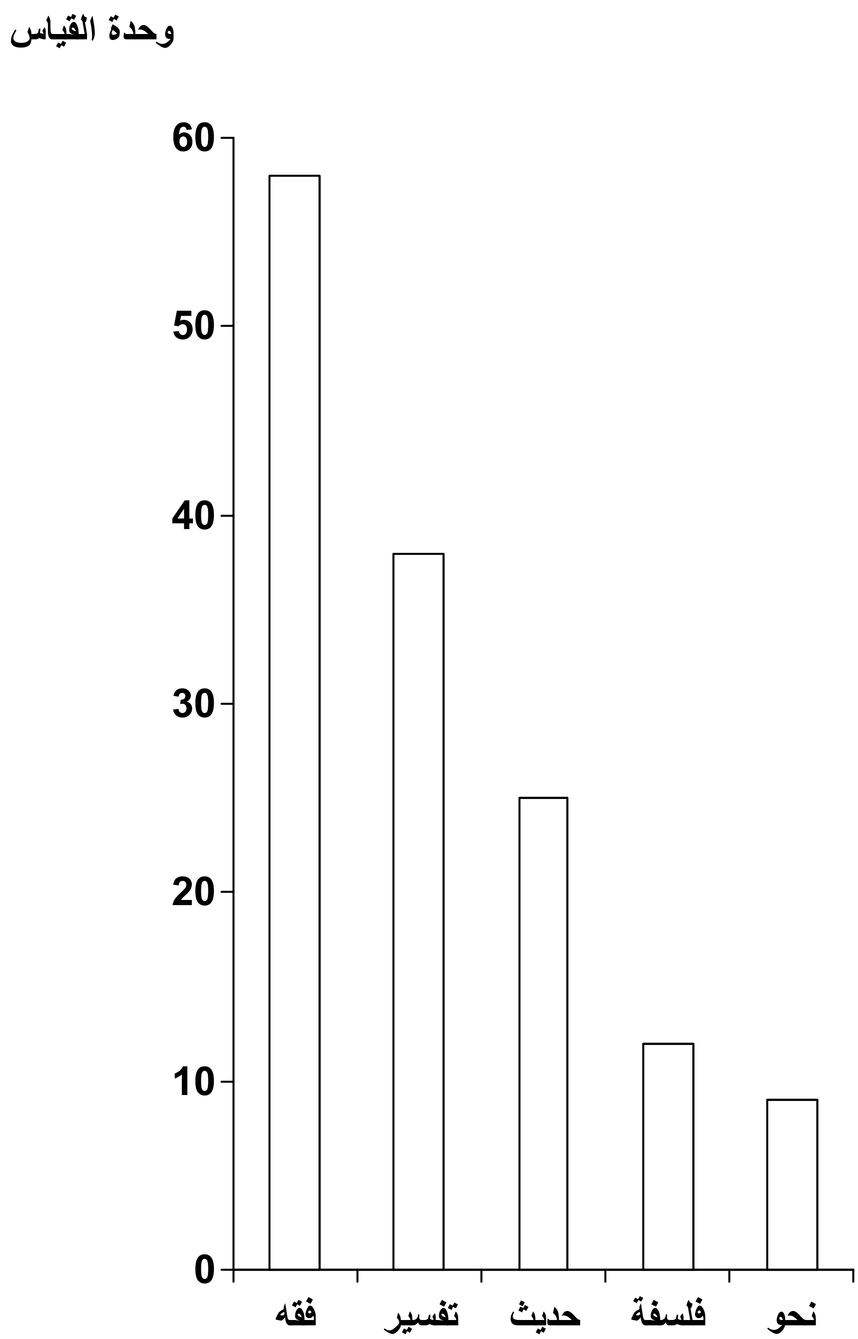
(7) عبد القادر زمامة و آخرون: معجم تفسير القرآن، ص96.

و قد أحصينا لـمل المؤلفين الذين ذكرناهم في هذا المبحث، ثمان و خمسون مؤلفا في الفقه و ثمان و ثلاثين في التفسير و خمس و عشرين في الحديث و إثني عشر في الفلسفة و علم الكلام و تسعة في علم النحو.

و سيتوضح ذلك من الجدول و الرسم البياني التاليين:

التخصص	**عدد المؤلفات**
فقه	58
تفسير	38
حديث	25
فلسفة	12
نحو	09
ا موع	142 مؤلفا

رسم بياني لعدد المؤلفات في الفقه و التفسير و الحديث و الفلسفة و النحو



يتبين من هذا الرسم البياني أن عدد المؤلفات في علم الفقه تفوق مثيلا ا في العلوم الأخرى، كون الفقه مرتبط مباشرة بالحياة الإجتماعية و الشخصية للأفراد، و عليه تبنى المعاملات التجارية بين أفراد ا لتمع. أما العلوم الأخرى فإ ا مرتبطة أكثر بالناحية الثقافية و العلمية للمجتمع.

كما تجدر الإشارة إلى أن ما ذكرته هو ما عثرت عليه و لا يمثل كل المؤلفات، كما أن معظم تلك التصانيف لم تصلنا. و أن كتب الطب و التاريخ و الأدب لم تذكر و سأذكرها لاحقا.

رابعا: أعلام الفكر في العلوم العقلية و الأدبية و التطبيقية.

كان المغاربة في بداية عهدهم بالإسلام بحاجة إلى دراسة القرآن و السنة، أو ما يقع تحت مفهوم العلوم الدينية، فكان ذلك بالنسبة لهم هو الأساس، و ما دونه من المباحث و العلوم العقلية الأخرى كالطب و الفلك و التاريخ و الأدب يأتي في مرتبة ثانية من إهتمامهم. لذلك فقد تأخر ظهور العلوم العقلية في منطقة المغرب الإسلامي إلى القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي.

و لم تبرز هذه العلوم بشكل ملحوظ إلا في عصر إزدهار الدولة الأغلبية.[1]

و نعرض فيما يلي لأهم العلوم التي عرفتها إفريقية في الفترة الأغلبية:

1.علم الطب:

يعرف علم الطب بأنه علم يبحث فيه عن بدن الإنسان من جهة ما يصح و يمرض لالتماس حفظ الصحة و إزالة المرض.[2]

و قد إهتم المسلمون بنشر الثقافة الطبية معتمدين في البداية على أطباء اليونان، ثم أسسوا البيمارستانات (المستشفيات) و ألحقوا ا دراسة الطب، حتى يستطيع الأطباء معاينة المرضى عن قرب و إجراء الفحوص اللازمة[3].وهذه المستشفيات منها ما كان قارا و منها ما كان محمولا، و المسلمون هم أول من أنشأ البيمارستان المحمول[4].

---

(1) رابح بونار: المغرب العربي تاريخه و ثقافته، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1968م، ص 93.

(2) التهانوي: كشاف اصطلاح الفنون، د.ط، كلكتا، 1863م، ص 43

(3) سعيد عبد الفتاح عاشور و آخرون: تاريخ الحضارة الإسلامية العربية، ط2، منشورات ذات السلاسل، الكويت، 1986، ص 121

(4) قدري حافظ طوقان: العلوم عند العرب ، ط2، دار إقرأ، بيروت، لبنان، 1983م، ص 26

و كان تدريس الطب يتم بالمعاهد العلمية الملحقة بهذه البيمارستان، من خلال أساتذة في الطب يقومون بتأطير تلاميذ لهذه المهنة، و في نهاية مدة الدراسة تعطى لهؤلاء التلاميذ شهادة الإجازة الطبية التي تسمح لهم بممارسة مهنة التطبيب.[1]

و ببلاد المغرب الإسلامي، فقد ظهر الطب بظهور أول طبيب بإفريقية، و هو الطبيب السرياني النصراني يوحنا ابن ماسويه الذي اصطحبه الأمير المهلبي يزيد بن حاتم سنة (155هـ/772م)[2].

في حين يذكر الباحث أحمد بن ميلاد أن البداية الأولى للطب بالقيروان كان مع مجيء الطبيب العباسي اسحاق بن عمران، الذي يعود له الفضل في تأسيس المدرسة الطبية القيروانية[3].

و في أواخر العصر الأغلبي، ترسخ الطب بإفريقية، بعد أن أنشئت مراكز لتعليم الطب و الصيدلة، و في بيت الحكمة التي أسسها زيادة الله الثالث (290هـ-296هـ/ 902م_908م) على غرار بيت الحكمة في بغداد، و التي جلب إليها عددا كبيرا من الأطباء و الفلكيين و الموسيقيين من المشرق[4].

و كان الطبيب إسحاق بن عمران البغدادي الأصل – السالف ذكره – قد "دخل القيروان في عهد زيادة الله بن الأغلب، و به ظهر الطب بالمغرب...وكان طبيبا حاذقا متميزا بتأليف الأدوية المركبة، بصيرا بتفرقة العلل، أشبه بالأوائل في علمه وجودة قريحته، استوطن

---

(1) Ahmed Cherif, Histoire de la médecine arabe en Tunisie, Amico librairie, Tunis 1908, P 22.

(2) أبو العرب، طبقات علماء إفريقية و تونس، ص99. و الدباغ: المعالم، ج1 ص177. و محمد زيتون: العلاقات الثقافية بين القيروان و بين مراكز الفكر في المشرق، مجلة كلية العلوم الإجتماعية، جامعة محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، العدد 1، سنة 1977م.

(3) AHMED Ibn Milad, l’école médicale de kairaoun aux 9eme et 10eme siècles, imprimerie da la faculté de médecine, jouve et cie, paris.1933, p.11

(4) بونار، المغرب العربي، ص 42

القيروان حينا، و ألّف ا كتبا منها كتابه المعروف بـ "نزهة النفس" و كتابه في الفصد، و كتابه في النبض..."[1]

و يذكر رابح بونار أن كتاب إسحاق بن عمران "الوصفيات الطبية" كان معروفا في القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي لدى الأطباء.[2]

و من تآليف إسحاق بن عمران في الطب كذلك، كتاب "الأدوية المفردة" و كتاب" العنصر و التمام في الطب" و مقالة في علل القولنج و أنواعه، و كتاب في البول، و كتاب في الشراب.[3]

ومن أطباء هذه الفترة كذلك إسحاق بن سليمان الإسرائيلي الذي ساهم في العلوم الطبية في القيروان، و هو مصري الأصل و يهودي الديانة، و قد سكن القيروان و لازم إسحاق بن عمران البغدادي و تتلمذ على يديه. و اشتهر بمهارته في الطب، و شغفه بدراسة العلوم العقلية.[4]

و قد عالج هذا الطبيب أبا عبد الله الشيعي، إذا لما وصل الشيعي إلى رقادة سنة 296هـ/908م، قال إسحاق: "أدناني و قرب م لي، و كان مريضا بالحصاه في كلاه، فكنت أعالجه بدواء فيه العقارب المحرقة. و جلست ذات يوم مع جماعة من كتابه فسألوني عن صنوف مرض العلل، فكلما أجبتهم لم يفقهوا قولي، فقلت لهم: إنما أنتم بقر، و ليس معكم من الإنسانية إلاّ الإسم، فبلغ ذلك أبا عبد الله الشيعي، فوبخني، و كاد يقتلني لإهانتي

(1) ابن جلجل: طبقات الأطباء و الحكماء، تحقيق فؤاد سيد، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، 1955م، ص84-85. و ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء: في طبقات الأطباء، ط1، المطبعة الوهبية، 1882م، ج2 ص 35-36.

(2) بونار: المرجع السابق، ص 98.

(3) ابن جلجل: المصدر السابق، ص 84-85. و ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ج2 ص36. و يذكر أن زيادة الله هو من سجن و قتل هذا الطبيب، أنظر قصة قتله، ابن جلجل: المصدر نفسه، ص 84.

(4) ابن جلجل: المصدر السابق، ص84.

أنصار دولته، و كانت مجالسته جدية، و شأنه جديا، و ليس للهزل عنده سوق"[1]، و واضح أن رد أبي إسحاق لأنصار الشيعي بذلك الشكل، كان بسبب عدم إكتراث أولئك بشروحاته في ميدان الطب.

وقد توفي إسحاق بن سليمان حوالي سنة 320هـ/932م، و ترك مؤلفات عديدة في الطب منها: كتاب الأدوية و الأغذية، و كتاب البول، و كتاب الإستقصات.[2]

و يضيف ابن أبي أصيبعة أن لإسحاق كتاب في النبض و كتاب "المدخل الى صناعة الطب"[3]. كما ساهم في التعريف بطب العيون، حيث كان كحالا.

و من أشهر تلاميذ إسحاق بن سليمان أبو جعفر أحمد ابن إبراهيم بن أحمد بن أبي خالد بن الجزار الذي توفي في حدود سنة 320هـ/932م[4] – أي عاش الفترتين الأغلبية و الفاطمية_، و كان أشهر طبيب عرفته منطقة المغرب الإسلامي في أواخر القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي.

و قد نشأ في عائلة ذات صلة متينة بالطب، إذ كان عمه و والده طبيبين، و لا شك أنه أخذ الطب عن عائلته، ثم عن أستاذه إسحاق بن سليمان. و يقول ابن جلجل في شأن ابن الجزار: "طبيب ابن طبيب، و عمه طبيب. كان ممن لقي ابن سليمان و صحبه و أخذ عنه، و له في الطب تآليف عجيبة. و كان من أهل الحفظ و التطلع و الدراسة للطب و سائر العلوم [5].

---

(1) ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ج3 ص 58.

(2) ابن جلجل: طبقات الأطباء، ص87. و ابن أبي أصبعية: المصدر السابق، ج3 ص 58.

(3) ابن جلجل: المصدر نفسه، ص87 .و.Ahmed Cherif, OP.cit.P.20

(4) محمد زيتون: القيروان و دورها في الحضارة الإسلامية، ط1، دار المنار، القاهرة، 1988م، ص395.

(5) ابن جلجل: المصدر السابق، ص88-89

و قد أمضى ابن الجزار و قتا طويلا في البحث من أجل اكتشاف أدوية جديدة مستخلصة من الأعشاب[1]، و امتهن الطب و الصيدلة في القيروان، حيث فتح في م له عيادة لمداواة المرضى، و جعل في سقيفة م له صيدلية حوت الأدوية التي ركبها هو بنفسه، و عهد ا - أي الصيدلية – إلى مساعد صيدلي يدعى رشيق، فكان هذا الأخير يقدم الأدوية الموصوفة من قبل ابن الجزار للمرضى[2].

و قد ترك ابن الجزار إنتاجا علميا غزيرا، حتى قدر وزن كتبه بنحو خمسة و عشرين قنطارا[3].

و أهم كتبه في الطب "زاد المسافر" و قد اعتمد فيه على كتب إسحاق بن عمران[4]، ككتاب "الفصد" و كتاب "في النبض" المذكورين سابقا، كما ألف ابن الجزار أيضا كتاب "الأدوية المفردة" و يعرف بالاعتماد، و كتاب "المعدة أمراضها و مداوا ا"[5] ...

و قد طرق ابن الجزار تقريبا كل مجالات الطب و الصيدلة، و خاصة طب الأطفال الذي ألّف فيه كتابا أسماه "سياسة الصبيان و تدبيرهم"[6] .

و تشير كتب الطبقات المغربية إلى أن بعض الفقهاء كانوا ملمين أيضا بعلوم الطب، فقد أشار القاضي عياض أن الإمام سحنون بن سعيد كان جامعا للعلم فقيه البدن[7].مما

---

(1)) Ibrahim ben M’rad, Hommage à IBN AL_GAZZAR, IBLA, N° 151, revue da L’institut des belles lettres arabes, 1983 – 1, Tunise, p.44.

(2) IBID, P.44_45

(3 IBID, P.45

(4) ابن الجزار: زاد المسافر و قوت الحاضر، المقالات الثلاث الأولى، تحقيق محمد سويسيو د، الراضي الجازي، ط1، الدار العربية للكتاب، 1986م، ص 70

(5) ابن أبي أصبعية: عيون الأبناء في طبقات الأطباء، ج2 ص38-39.

(6) Ibrahim Ben M’rad, OP,cit, P.47

(7) عياض: المدارك، ج1 ص588.

يوحي بأنه كان على إطلاع بالأمراض التي تصيب البدن.وقد تبين ذلك في مدونته حين أشار على الشركة بين الأطباء و ابتياع الأدوية[1] .

و من الفقهاء الأغالبة الذين كانت لهم دراية بالطب كذلك يوسف أبو عمر المغامي (ت288هـ/900م) الذي كان ممتهنا للتطبيب[2]، و منهم يحي بن عمر (ت289هـ/901م) الذي كان فقيه البدن[3]، و محمد بن سعيد الكلبي أبو سليمان المعروف بابن عيشون الذي كان فقيه البدن، يخضب بالحناء، و لم يكن صاحب كتب[4].

و هذا يبين أن هؤلاء الأطباء كانوا يمارسون هذه المهنة وفق الطرق التقليدية، و عن طريق الأعشاب، و لم تكن لهم مراجع علمية في الطب، و من الأطباء الذين ظهروا في أواخر الفترة الأغلبية، نذكر محمد بن فرج البنامولى بني الأغلب (ت303هـ/915م)، و موسى بن عبد الرحمن القطان (ت306هـ/918م)، الذين كانوا من فقهاء البدن.[5]

و أشار الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب إلى أن هؤلاء الفقهاء الأطباء كانت لهم دراية بالفصد و الكي و جبر العظام، و تضميد الجراح بالأعشاب و العقاقير المألوفة[6].

و هو ما يمكن أن نطلق عليه طبا بدائيا أو تقليديا، و بالتالي فإن هؤلاء الأطباء (الفقهاء) امتهنوا هذه المهنة كإضافة لعلومهم الفقهية و الشرعية، و ليس كعلم له أدواته و مصادره، مثلما عرفناه عند الطبيبين إسحاق بن سليمان و ابن الجزار.

و يمكن أن نعطي دراسة نموذجية لما وصل إليه علم الطب بإفريقية الأغلبية، بكتب ابن الجزار و منها: كتابه "زاد المسافر" الذي يعد موسوعة طبية شاملة، و قد احتوى على سبع

---

[1] سحنون بن سعيد: المدونة الكبرى، طبعة دار صادر، بيروت، د.ت، ج5 ص48

[2] ابن فرحون: الديباج المذهب،ص 439

[3]. نفسه، ص 432.

[4] المالكي: رياض النفوس، ج2 ص162. و عياض: تراجم أغلبية، ص 387

[5]الدباغ: المعالم، ج2 ص316 و ما بعدها.

[6]ح.ح. عبد الوهاب: ورقات، ج1 ص272 و ما بعدها.

مقالات على أبواب كثيرة[1]، ففي الباب السابع[2] اختصت كل المقالة بأمراض معينة، وهي موزعة كالآتي:

- المقالة الأولى و عنوا ا: أمراض الرأس.
- المقالة الثانية و عنوا ا: أمراض الوجه.
- المقالة الثالثة و عنوا ا: الأمراض النفسية.
- المقالة الرابعة و عنوا ا: أمراض المعدة.
- المقالة الخامسة و عنوا ا: أمراض الكبد و الكلى.
- المقالة السادسة و عنوا ا : الأعضاء التناسلية.
- المقالة السابعة و عنوا ا: أمراض ما تحت الجلد[3].

و قد نشرت المقالات الثلاث الأولى عام 1986م من قبل الأستاذ محمد سويسي و الدكتور الراضي الجازي، و لازالت المقالات الأخرى مخطوطة، و بقيت النسخة العربية الوحيدة و الكاملة للمخطوطة، محفوظة بالمكتبة الوطنية في باريس [4].

(1) ابن الجزار: زاد المسافر، ص33.

(2) Ahmed Cherif, Histoire da la médecine arabe, P.61.

(3) Ahmed Cherif, op.cit.P.64

(4) IBID,P.55

و نظرا للأهمية العلمية لهذا الكتاب، فقد تم ترجمته إلى اللغات اليونانية و اللاتينية و العبرية[1].

و كان لتأسيس بيت الحكمة[2] من قبل زيادة الله الثالث بالقيروان، تأسيا ببيت الحكمة عند العباسيين، أثره في تطور علم الطب و العلوم الأخرى.

فقد ضم هذا الأمير مكتبة ا أمهات الكتب و نوادر المخطوطات، إلى هذا البيت، و جعل ا قسما للترجمة عن اللغة اللاتينية.كما أنشأ بداخل بيت الحكمة مدرسة الطب الإفريقية.[3]

و أوكل زيادة الله الثالث لثلّة من الأطباء البارزين أمثال إسحاق بن عمران و إسحاق بن سليمان الإسرائيلي و ابن الجزار، إلى ترجمة الكتب الطبية اليونانية إلى العربية، ككتاب الطبيب اليوناني جالينوس "التعلم" و كتاب "العلل"[4] ،وكتاب "الأدوية المبسوطة" و كتاب "الصنعة الطبية"[5] ،التي اقتبس منها ابن الجزار.

و في المقابل فقد تعدت شهرة هذا الطبيب – أي ابن الجزار – و غيره من الأطباء الأغالبة، منطقة بلاد المغرب، حيث قام الطبيب قسطنطين الإفريقي، إنطلاقا من بيت

---

(1) AHMED CHIRIF, OP.CIT ,P.55

(2) أنشئت بيت الحكمة أولا ببغداد على يد الخليفة العباسي هارون الرشيد، أنظر: ابن النديم: الفهرست، ص274.

و

sourdel,bayt al hikma, encyclopédie de l’islam. Paris.1975.t1.p.1175

(3) عثمان العكاك: محاظرات في مراكز الثقافة بالمغرب، طبعة معهد الدراسات العربية، جامعة الدول العربية، القاهرة، 1958م، ص 22. وابن تاويت: الأدب المغربي، ط2، دار الكتاب اللبناني.بيروت، لبنان،1969م، ص74

(4) ابن الجزار: زاد المسافر، ص56-57.

(5) ابن الجزار: سياسة الصبيان، ص98-114.

الحكمة، بترجمة كتب الطب لابن الجزار وغيره إلى اللغة اللاتينية، و نقلها إلى ايطاليا، عندما أسس مدرسة الطب بسالرنو[1]. و هذا دليل على تأثير الطب الأغلبي على أوربا.

و هكذا فإن الطب بإفريقية في العصر الأغلبي عرف تطورا ملحوظا، خاصة مع ناية القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي، ببروز أعلام في هذا الميدان كان لهم شأنا كبيرا في إنشاء مدرسة الطب الإفريقية، كما ساهموا بتجار م العلمية في الحركة العقلية النشطة التي عرفتها افريقية في هذه الفترة والتي سيكون لها عظيم الأثر في الأزمنة اللاحقة.

2. علم التاريخ:

يعرف التاريخ اصطلاحا بأنه "فن يبحث عن وقائع الزمان من حيثية التعيين و التوقيت و موضوعه الإنسان و الزمان".[2]

كما يعرفه ابن خلدون فيقول: " اعلم أن فن التاريخ فن عزيز المذهب، جم الفوائد شريف الغاية، إذ يوقفنا على أحوال الماضين من الأمم في أخلاقهم ، و الأنبياء في سيرهم، و الملوك في دولهم و سياستهم، حتى تتم فائدة الإقتداء في ذلك لمن يرومه في أحوال الدين و الدنيا".[3]

و من قول ابن خلدون هذا نستنتج أن التاريخ هو حافظ تراث الإنسانية الأدبي و الديني، و هو الذي يطلعنا على سير الأمم الغابرة لكي تستفيد منها الأمم الحاضرة و المستقبلية.

---

(1) عثمان الكعاك: العلاقات بين تونس و إيران عبر التاريخ، طبعة الشركة التونسية للتوزيع، تونس،1972م، ص 125.

(2) السخاري: الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، تحقيق احمد تيمور باشا، ط2، دار الكتاب العربي، بيروت، 1983، ص6.

(3) ابن خلدون: المقدمة، ص 12.

و إن كان مصطلح التاريخ لم يتضح عند العرب و المسلمين إلا بعد القرن الثاني للهجرة الثامن للميلاد[1]، إلا أن العرب في الجاهلية كانوا يحفظون أحداثهم عن طريق الرواية الشفوية على شكل أشعار أو أخبار متفرقة[2].

و بمجيء الإسلام كانت الحاجة ماسة إلى تدوين تاريخه و تراثه. و كان القرآن الكريم مادة تاريخية هامة، انكب علم التاريخ على شرحها و تفسيرها[3]. و كذلك فان "تجارب الأمة الإسلامية جديرة بأن تدون وتعرف في تطور أحداثها و أمورها و تقارن مع تجارب الأمم الأخرى"[4].

و قد ظهر هذا العلم ببلاد المغرب عندما تمكّن الإسلام من أهله، و كانوا بحاجة إلى تدوين العلوم و المعارف التي أتى ا العلماء مع الفاتحين. و عن طريق هؤلاء العلماء عرف المغاربة علم الأنساب[5] الذي يهتم بحفظ انساب الأفراد و الجماعات.

فقد وفد على افريقية كثير من إخباريي المشرق في منتصف القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي، و منهم: المعمر بن سنان التميمي (ت 177هـ/793م) الذي أتى رفقة الأمير يزيد بن حاتم المهلبي 155 هـ/771م حين ولي على إفريقية، و سكن القيروان، و كان – أي سنان المعمر بن سنان- من أعلم الناس بأيام العرب و أخبارها و أشعارها[6].

و عياض بن عوانة الكلبي (ت 158 هـ/774م) الذي كان أبوه عوانة بن الحكم راوية للأخبار عالما بالنسب، و من الممكن أن عياض، الذي استقر بالقيروان في عهد يزيد بن حاتم، قد أدخل إلى إفريقية كتاب أبيه المعنون بـ " التاريخ" في التاريخ الإسلامي خلال

(1) بشار قويدر: منهجية الكتابة التاريخية عند العرب و المسلمين، 1988من، ص 11.
(2) نفسه، ص 13.
(3) شاكر مصطفى: التاريخ العربي و المؤرخون، دار العلم للملايين، بيروت، 1979م، ج 1، ص 60.
(4) المرجع نفسه، ج1 ص 60.
(5) و هو علم يعني بحفظ الأنساب، بالاهتمام بتسلسل الآباء و الأجداد و الأسر و الجماعات، انظر بشار قويدر، المرجع السابق ص 13.
(6) ابن الآبار: الحلة السيراء، ص242.

القرن الأول الهجري/السابع الميلادي، و كتاب سيرة معاوية و بني أمية.[1] كما أخذ أهل إفريقية عنه تاريخ العرب في الجاهلية و حفظ أنسا م .

و قتيبة الجعفي (ت خلال سنة 200 هـ/815م): و قد كان عالما بالنسب و أيام الناس، قدم القيروان في عهد يزيد بن حاتم، و قد روى عنه أهل المغرب وقائع العرب[2] .

و نتيجة لهذا التواصل بين إخباريي المشرق و أهل المغرب، برز بعض المؤرخين بافريقية ممن اهتموا بعلم الأنساب و تضلعوا فيه، و منهم:

عبد الله بن أبي حسان اليحصبي (ت 226 هـ/840م) الذي كان عالما بأيام العرب و أنسا ا و قد اخذ الناس عنه أخبار افريقية و حرو ا.[3]

و أبو الوليد عبد الملك بن قطن المهري (ت 253 هـ/867م)، وقد سبقت الإشارة انه كان لغويا بارزا، وتتلمذ على المؤرخ عياض بن عوانة السالف الذكر، و أصبح احفظ العلماء و أكثرهم رواية لأنساب العرب ووقائعها و أيامها [4].

و أبو سهل فرات بن محمد العبدي (ت 292 ه/904 م) الذي كانت له معرفة بالأنساب[5] ، ويعد من أكثر المؤرخين الذين أخذ عنهم المؤرخ أبو العرب [6].

واحمد بن شريس القيرواني (ت 297 ه/909 م) الذي كان حافظا لأخبار العرب .[7]

---

[1] ابن النديم: الفهرست، ص 418. و ياقوت: معجم الأدباء، ج 5، ص 93-95.

[2] الزبيدي: المصدر نفسه، ص 149. و المالكي: الرياض، ج 1، ص 219.

[3] عياض: تراجم أغلبية، ص 73-75. و ابن فرحون: الديباج، ص 217.

[4] المالكي: رياض النفوس، ج1 ص 311.

[5] ابن عذاري: البيان المغرب ، ج1ص 139.

[6] ابو العرب: طبقات علماء افريقية، ص44.

[7] القفطي : انباه الرواة، ج1 ص45.

و أبو عبد الله محمد بن زرزر (ت 291 ه/920 م) الذي كان حافظا لأخبار العرب. [1]

و أبو محمد المكفوف (ت308 هـ/920 م) الذي كان ضليعا بالعربية وتفسير أيام العرب و أخبارها و وقائعها، وكان يقصده الطلبة من جميع أنحاء افريقية والمغرب. [2]

و أبو العرب محمد بن أحمد بن تميم بن تميم بن تمام بن تميم التميمي(ت 333 ه/ 944م)، الذي كان، بالإضافة إلى تبحره في علوم عصره، مؤرخا بارزا، حيث ألّف في هذا المجال كتاب" طبقات علماء إفريقية وتونس " الذي يحوي مجموعة من التراجم لعلماء القيروان وتونس، وكتاب " عباد إفريقية " وكتاب " مناقب بني تميم " وكتاب " التاريخ " الذي يقع في سبعة عشر جزءا. واشتهر بين معاصريه بأنه رافع لواء التاريخ بإفريقية [3].

وهكذا فان فترة القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي هي التي عرفت بروز بعض الإخباريين بإفريقية الأغلبية، وساهموا في مجالهم هذا – أي رواية أيام العرب وأنسا ا- في ظهور المدرسة التاريخية الإفريقية.

وفيما يخص سيرة النبي – صلى الله عليه وسلم - و غزواته، والتي تعرف عند علماء السيرة بالسيرة و المغازي [4]، فقد عرفها المغاربة مع الصحابة والتابعين والعلماء الذين وفدوا على إفريقية مع طلائع الفتح، فيكون هؤلاء قد بثوا شيئا من سيرة الرسول- صلى الله عليه وسلم – و أحاديثه بين أهل إفريقية، بالإضافة إلى مبادئ الإسلام.

---

(1) الدباغ : معالم الايمان، ج2 ص248.

(2) الزبيدي: طبقات النحويين، ص 257

(3) الدباغ: : المصدر السابق ، ج3 ص 43، ولم يصلنا من تآليف أبي العرب إلا كتاب " طبقات علماء افريقية وتونس ".

(4) الدوري: بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب، ط2، دار المشرق، لبنان، 1986 م، ص20

كما أن رحلة علماء المغرب إلى الحجاز لأخذ علوم الحديث والتفسير عن أعلامها، ابتداءا من القرن الثاني للهجرة / الثامن للميلاد [1]، من غير المستبعد أن يكونوا قد اخذوا أيضا عنهم السيرة و المغازي.

و ما كاد يحل القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي حتى برز عدد من المؤرخين الأغالبة منهم: أبا الوليد المهري (ت 253هـ/ 867م) الذي ألف كتابا في تفسير مغازي الواقدي[2] .

و أخذ عيسى بن مسكين عن مغازي الواقدي، حيث نقل عنه واقعة تخطيط عقبة بن نافع الفهري للقيروان[3] .

و نقل عن الواقدي أيضا عيسى بن محمد بن سليمان بن أبي المهاجر خبر غزوة عبد الله بن سعد بن أبي سرح لإفريقي.

و أخذ إسحاق بن أبي عبد الملك الملشوني الذي توفي حدود (242هـ / 856هـ) عن مغازي وهب بن منبه [4] في عدد الصحابة الذين رافقوا عقبة أثناء فتحه لإفريقية، و كان عددهم خمسة و عشرين صحابيا[5] . و عد إسحاق الملشوني من العالمين بالأخبار و المغازي[6] .

و لم يكتف مؤرخو الفترة الأغلبية على الأخذ عن مؤرخي المشرق و دراسة كتبهم في السير و المغازي، بل أصبحوا يؤلّفون الكتب هم أيضا في هذه الموضوعات، فقد ألّف

---

(1) انظر عن ذلك الفصل الثاني

(2) الزبيدي: طبقات النحويين، ص250. و الواقدي هو احد ابرز من ألف في المغازي من المؤرخين المشارقة.

(3) ابو العرب: طبقات علماء إفريقية، ص 58.

(4) أبو العرب: المصدر السابق، ص60. و وهب بن منبه هو فقيه مصري اختص بتاريخ المغازي.

(5) المالكي: الرياض، ج1، ص 10.

(6) المصدر نفسه، ج1، ص401.

محمد بن سحنون كتاب "السير" الذي يقع في عشرين جزءا، و كتاب "التاريخ" في ستة أجزاء، و كتاب "طبقات العلماء" و يقع في سبعة أجزاء[1] .

و قد اعتمد عليه الدباغ في كتابه "معالم الإيمان" للتأريخ للعلماء الذين نزلوا القيروان حتى القرن السابع الميلادي. فقد ذكر " و نحن نذكر من نزلها منهم معتمدين في ذلك على ما نقله الرواة مثل... و محمد بن سحنون، و سنروي عن كل واحد منهم حديثا مسندا تبركا باتصال السند م و الرواية عنهم رضي الله عنهم و عن أتباعهم"[2] ، و ذكر المالكي أن محمد بن سحنون ألّف نحو مائتي كتاب في جميع العلوم و المغازي و التاريخ[3] .

و هكذا فان محمد سحنون، بالرغم من إشتهاره بالعلوم الدينية، فقد إهتم بالدراسات التاريخية و ألّف فيها، و عد- أي محمد بن سحنون- رائدا للمدرسة التاريخية في العصر الأغلبي.

و في مجال التاريخ العام فقد عرفت إفريقية مجموعة من المؤرخين طرقوا هذا التخصص منهم محمد بن سحنون، السالف الذكر الذي ألف كتاب التاريخ، و قد إعتمد عليه المالكي حين قال: " ذكر ابن سحنون في تاريخه أن الصحابي سفيان بن وهب قد غزا إفريقية سنة (60هـ /679م) بعد أن شهد فتح مصر (ت 82هـ/691م)[4] .

و ألّف إسحاق بن أبي عبد الملك الملشوني، السابق ذكره كتابا عاما يسمى "تاريخ الأنبياء" يتضمن معلومات عن أخبار الديانات العامة[5] .

---

[1] عياض: المدارك، ج3 ص 105 و ما بعدها. و ابن فرحون: الديباج، ص235-236.
[2] الدباغ: معالم الإيمان، ج2، ص 70. إلا أن هذا الكتاب يعد مفقودا.
[3] المالكي: المصدر السابق، ج1، ص 345.
[4] المالكي: الرياض، ج1، ص ص 90-91.
[5] المصدر نفسه، ج1، ص 401.

كما كان هذا المؤرخ مصدرا للمغاربة في التاريخ العام، حيث كانوا يروون عنه أخبار بدء الخليقة إلى عصر أبي العرب(القرن الرابع الهجري/العاشر ميلادي)[1] .

أما في مجال التواريخ المحلية و اهتمام المؤرخين الأغالبة بتاريخ إفريقية و المغرب، فإن القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي شهد تألّقا كبيرا لمؤرخين كانت لهم بصمتهم في تدوين تاريخ المنطقة، و منهم: عيسى بن محمد بن أبي المهاجر الذي ألّف كتاب "فتوح إفريقية" الذي يعد مصدرا مهما لتاريخ الفتح الإسلامي لافريقية، و قد اعتمد عليه المؤرخ أبو العرب[2] .

و من الذين برزوا في هذا المجال أيضا عبد الله بن أبي حسان اليحصبي (ت 226هـ/840م) حيث روى عنه الناس أخبار افريقية وحروبها[3] ، و إن لم نعثر له على كتاب خاص به في هذا المجال لكن يظهر انه كان ضليعا في تاريخ فتح افريقية، حيث يشير الدباغ بأنه كان "اعلم الناس بالتاريخ"[4] .

و قد طرق هذا الباب أيضا بعض الفقهاء أمثال أبي عثمان سعيد بن الحداد الذي كان عالما بأخبار افريقية و علمائها[5] .

و في مجال التراجم و الطبقات فقد إهتم مؤرخو هذه الفترة بهذا الجانب و ألّفوا الكتب في طبقات العلماء و المحدثين و القضاة و غير ذلك، تأسيا بكتب الطبقات المشرقية.

---

(1) ابو العرب" الطبقات علماء افريقية، ص56.
(2) نفسه، ص 65-206.
(3) عياض: تراجم اغلبية، ص 73.
(4) الدباغ: المعالم، ج2، ص 58
(5) عياض: المصدر السابق، ص 354.

و شهد القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي بروز بعض من مؤرخي التراجم و الطبقات، و من هؤلاء: المؤرخ محمد بن سحنون الذي ألف كتاب "طبقات العلماء" الذي يقع في سبعة أجزاء، و قد اعتمد عليه الدباغ في معالمه[(1)] .

كما أن لإبن سحنون كتاب "الطبقات" و هو عام، و يقع في أربعة أجزاء[(2)] ، و هو أيضا مفقود، و قد اعتمد عليه المؤرخ المالكي في ترجمته للتابعين الذي دخلوا افريقية ، منهم عبد الرحمن بن اسميفع بن وعلة السبائي، الذي يعرف بابن وعلة المصري، حيث ذكره في طبقات ابن سحنون بالقول: " هو من أهل افريقية و ا مسجده و مواليه إلى اليوم" [(3)]، كما استند إليه نفس المؤلف في التأريخ لفقهاء القيروان و منهم: عبد الله بن الحكم نزيل افريقية، و المصري الأصل[(4)] .

و برز كذلك المؤرخ أبو العرب الذي عاش الفترتين الأغلبية و الفاطمية، و قد ألّف في هذا ا ال الكتاب " طبقات علماء إفريقية و تونس" المشهور، و قد سبقت الإشارة إليه، حيث ذكر فيه الصحابة و التابعين الذين دخلوا إفريقية و من روى عنهم من أهل المغرب، كما أشار إلى العلماء و المحدثين و المفسرين.

و يعد كتابه هذا من أهم المصادر المغربية في القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي في علم الطبقات و التراجم، خاصة و أن أبا العرب كان معاصرا للأحداث.

كما ألّف ابن الجزار – الطبيب القيرواني-كتاب "طبقات القضاة"، خصصه فيما يرجع للقضاة الذين تولوا هذا المنصب بإفريقية في عهده. و قد اعتمد عليه القاضي عياض حين قال: " قال ابن الجزار في كتابه "طبقات القضاة"[(5)] .

---

(1) انظر فيما سبق من هذا المبحث ص 173.

(2) عياض: المدارك، ج3، ص 106 و ما بعدها.

(3) المالكي: لرياض، ج 1، ص 131.

(4) المصدر نفسه، ج1، ص 167.

(5) عياض: المصدر السابق، ج2، ص 406-413.

و يتبين مما سبق أن فترة القرنين الثاني و الثالث الهجريين/الثامن و التاسع الميلاديين، شهدت تطورا ملحوظا للدراسات التاريخية بافريقية الأغلبية، ببروز مؤرخين في شتى التخصصات التاريخية (من سير و مغازي و تاريخ عام و تراجم)، كان للمؤلّفات المشرقية و رحلة المؤرخين المغاربة إلى المشرق لمختلف الأغراض العلمية، دورا في بلورة المدرسة التاريخية الأغلبية.

3. الأدب:

يعرف ابن خلدون الأدب بأنه: "علم يهتم بالإجادة في فن المنظوم و المنثور على أساليب العرب و مناحيهم"[(1)] . و تبعا لهذا التعريف سنحاول تتبع أعلام إفريقية في العصر الأغلبي في فني الشعر و النثر.

أ. في الشعر:

إن أهم ما يميز هذا الفن في إفريقية في العصر الأغلبي هو أن معظم شعراء هذه الفترة كانوا من رجال الدين، فقهاء كانوا أم محدثين. فقد استأثرت العلوم الدينية عندهم بالإهتمام الأكبر.

و كانت الدراسة الأدبية البحتة عندهم في مرتبة ثانية. و قد يكون السبب في ذلك هو أ م كانوا بحاجة إلى نظم دينية تنظم حيا م[(2)] .

و قد إنتشر بينهم شعر الزهد و الحكمة، إلى جانب أبواب أخرى كثيرة، كالمدح و الفخر و الغزل، و بيان أهمية العلم، و الحنين و الرثاء و الشكوى و غير ذلك.

و يتميز عصر الفتوحات بقلة عدد الشعراء المغاربة الذين نبغوا في هذا الفن، بسبب قلة الشعراء المشارقة الذين وفدوا مع جيش الفتح إلى إفريقية.

---

(1) ابن خلدون: المقدمة، ص 459.

(2) رابح بونار: المغرب العربي- تاريخه و ثقافته، ص 102.

و قد ظهرت ملامح الأدب المغربي الأولى خلال عصر الولاة، حيث برز عدد من الشعراء المغاربة كعبد الرحمن بن زياد بن أنعم[1] .و أبي مالك أمان بن الصمصامة[2] .

و على الرغم مما قيل عن عدم انتشار الشعر بين المغاربة في تلك الفترة، إلا انه في الفترة الأغلبية و جدنا كثيرا من الشعراء الذين كان لهم شأن في هذا المجال.

و كان لتشجيع أمراء بني الأغلب للشعر دوره في بروز هذا الفن، حيث كان بعضهم يجيد قول الشعر، فقد كان إبراهيم بن الأغلب " فقيها أديبا، شاعرا، خطيبا "[3] .و من شعره هذين البيتين يتشوق فيهما إلى زوجته التي تركها بمصر:

ما سرت ميلا و لا جاوزت مرحلة   إلا و ذكرك يثني دائمـ ـا عنقي

و لا ذكرتك إلا بت مرتقبـ ـ ـا   أرعى النجوم كأن الموت مغتبقي[4] .

و كان في بلاط الأمير زيادة الله الأول (198هـ -224 هـ/813م-898م) عدد من الشعراء منهم عبد الرحمن و علي ابني أبي سلمة و أبي العزاف و الشاعر يعقوب بن يحي[5] .

و كان هذا الأمير هو نفسه شاعرا، و هذان بيتان ضمن رسالة بعثها إلى الخليفة المأمون يتحداه فيها و يعتد بنفسه فيها:

أنا النار في أحجارها مستكنة   فإن كنت ممن يقدح الزند فاقدح

(1) المالكي: الرياض، ج1، ص 156.

(2) الزبيدي: طبقات النحويين و اللغويين، ص 245.

(3) ابن عذاري: البيان المغرب، ج1، ص 92.

(4) بونار: المرجع السابق، ص 108.

(5) ابن عذاري: المصدر السابق، ج1، ص 105.

أنا اللّيث يحمي عليه بزئيره   فإن كنت كلباً حان يومك فانبح[1]

و كان الفقيه عبد الله بن عمر بن غانم (ت 190 هـ/805م) قد "بصر بالعربية و رواية الشعر"[2] . كما كان أبو محرز محمد بن عبد الله الكناني (ت 213 هـ/828م) الذي كان يجلس للخصوم في داره، أثناء فترة قضائه، قد نبع في اللغة و الشعر[3] . مما يبين تعدد ميولات هذا الفقيه الثقافية.

و كان بكر بن حماد بن سمك بن إسماعيل الزناتي التاهرتي (ت 296 هـ/908م) شاعرا كبيرا ،و قد ذاع صيته ليس في المغرب فحسب، بل بالمشرق و الأندلس، قال فيه ابن عذاري : "كان عالما بالحديث و تمييز الرجال و شاعرا مغلقا "[4] .

و لبكر بن حماد قصائد في المدح و الرثاء و الهجاء و الزهد، من شعره في الزهد هذه الأبيات:

هذا أبا بكر دنياه منغصـةً   فيها حزازات أحشاءٌ و أكباد

فكلنا واقف منها على سفر   و كلنا ضاعن يحدو به الحـاد

في كل يوم نرى نعشاً نشيعه   فرايح فارق الأحباب أوغـاد

الموت يهدم ما تبنيه من فرح   فما انتظارك يا بكر بن حمـاد[5].

كما قال قصيدة يتحسر فيها على قتل الإمام علي بن أبي طالب – كرم الله وجهه- من قبل عبد الرحمن بن ملجم المرادي، و مجدا فيها مناقبه و فضائله، منها هذه الأبيات:

---

[1] النويري: اية الارب في فنون الأدب، تحقيق حسين نصار، د.ط، القاهرة، 1983م، ج24، ص 106.

[2] عياض: ترتيب المدارك، ج1، ص 316. و الرقيق القيرواني: تاريخ افريقية، ص 175.

[3] ابن ناجي: المعالم، ج2، ص 19.

[4] ابن عذاري: البيان، ج1، ص 154.

[5] الدباغ: المعالم، ج2، ص 194.

قتلت أفضلَ من يمشي على قدم		و أول الناس إسلامـاً و إيمانـاً

و أعلم النـاس بالقرآن ثم بمـا		بما سن الرسولُ لنا شرعاً و تبياناً

صهر النبي و مولاه و نـاصره		أضحت منـاقبه نوراً و برهانـاً

ذكرت قـاتله و الدمع منحدر		قلت سبحان رب الناس سبحاناً[1].

و تنم هذه الأبيات عن حب بكر بن حماد لآل البيت و كراهيته للخوارج.

كما كان عبد الله بن أبي حسان اليحصبي (ت 226 هـ/840م) حسن البيان راوية للشعر قائلا له[2] ، بالإضافة الى كونه عالما بأيام العرب و أنسابها، كما سبقت الإشارة إلى ذلك سابقا، مما يبين تعدد ميولات هذا العالم الثقافية.

و كان أبو جعفر احمد بن دوواد الربعي الصواف (ت 291 هـ/903م) من الشعراء البارزين في العصر الأغلبي، فقد رويت له أشعاركثيرة منها هذه الأبيات في الزهد:

لمـا حجـا عمري ثمانين حجةً		و أيقنت أني قد قربت من المدى

تركت تكـاليف الحياة لأهلها		وجانبتها طوعاً فجـانبني الردى

رأيت حليم القوم فيهم مقدمـاً		و من نال علماً وجاها و سؤددا[3].

و تظهر براعة هذا الشاعر، في انتقاده لمقطوعة بكر ابن حماد الذي قال فيها:

فيا سبحان من أرسى الرواسي		و أوتدها على السبع الشداد

---

[1] د. عبد العزيز نبوي: محاضرات في الشعر المغربي القديم، ديوان المطبوعات الجامعية، مطابع مؤسسة الكرمة الجزائر، 1983م، ص 137.

[2] عياض: تراجم أغلبية،ص 73.

[3] المالكي: الرياض، ج1، ص 410.

فقال أبو جعفر: الأصلح أن تقول: و أوتدها مع السبع الشداد، لا أن الله أوتدها على السبع الشداد، فإعترف بكر بن حماد بغلطه و أصلح بيته[1].

و كثيرا ما إلتصق شعر الزهد بالفقهاء المغاربة، حيث نبغوا فيه إضافة إلى ما إشتهروا به من علوم دينية، فهذا أبو عقال غلبون بن الحسن بن غلبون (ت 291 هـ/903م) كانت له أشعار كثيرة،

منها هذه الأبيات التي قالها عند توبته:

أبصر بالقلب سبيل الرشد	فبـاين الأهل معـاً الولد
و جـد في السير إلى ربه	مشمراً يطلب ملك الأبـد
قد صارت الدنيا بأقطارها	عليه كالسجن فمنها شرد[2]

و هناك من الشعراء من تخصص في أكثر من فن، فكان أبو مالك بن الطرماح "شاعرا و حافظا لشعر جده، عالما باللغة"[3] ،كما كان حافظا لكلام العرب و أنسا م و أيامهم. و قد أخذ عنه أهل المغرب مرويا ه و فنونه الأدبية و انتفعوا ا[4].

و يتجلى لنا شعر الزهد كذلك لدى الفقيه أبو حفص عمر بن يوسف بن عمر بن عيسى (ت 286 هـ/899م) الذي رويت له بعض الأشعار منها هذين البيتين:

أيا نفس قد أثقلتنـي بذنـوب	أيا نفس كفى من هواك و توبي

---

(1) رابح بونار: المغرب العربي-تاريخه و ثقافته، ص 82.

(2) الدباغ: المصدر السابق، ج2ن ص 145.

(3) الزبيدي: طبقات النحويين، ص 225.

(4) ح.ح. عبد الوهاب: المنتخب المدرسي من الأدب التونسي، ط2، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1944م، ص ص 16-17.

كيف التصابي بعدما ذهب الصبا   و ما حل بعارضي عتاب مشيبي[1].

و كان أبو سليمان ربيع بن عطاء الله القطان، إضافة إلى قرضه للشعر، يؤلّف الخطب و الرسائل، من شعره ينصح الناس بوجوب قبض اللسان و عدم التدخل في شؤون الغير

و هذا اللون من الشعر يمكن تصنيفه في باب شعر الحكمة:

لا تطمئنوا فإن الناس قد حالوا   و اقبض لسانك عما قلت أو قالوا

و احذر زمانا إذا حدثت عن زمن   نادي النصيحة أما ملت أو مالوا

لله أنت و قد غـدوت في زمن   أعلى النصائح آداب و أعمال[2].

و لمكانة هذا الشاعر و الفقيه، فقد رثاه أخوه احمد بأبيات شعرية منها:

رزيت ربيعا كان للناس كلهم   ربيعا ترى فيه القلوب رواعيا

رزيت أبي فيه و أمي و عترتي   و أهلي و إخواني فلم يبق باقيا

رثيتك مقروحا و أي مصيبة   بأعظم لي من أن أرى لك راثيا[3].

و كان الفقيه عيسى بن مسكين بن منصور بن جريج الإفريقي (ت 275 هـ/888م) من الشعراء الفقهاء البارزين في زمن بني اغلب، من شعره قوله لما تقدم به العمر:

---

[1] عياض: ترتيب المدارك، ج3، ص 264.

[2] المصدر نفسه: ج3، ص ص 327-328.

[3] المصدر نفسه: ج3، ص 331.

أصاب الدهر مني عظم ساق — به قد كنت مشاءاً جليداً

و إلي الفقهاء أنقلها و أطوي — ا للحاجة، البلد البعيداً

إذا رجلُ الفتى يوما أصيبت — و طال سقامه ألف القعوداً

و صار لبيته حلساً و أمسى — من الإخوان منفرداً وحيداً [1].

و في هذه المقطوعة يحن الشاعر إلى شبابه، و يشكو عجزه عن المشي لمالسة العلماء، و يتحسر على مشيبه الذي أقعده عن النشاط.

كما كان أبو عبد الله محمد زرزر (ت 291 هـ/903م)، بصيرا بالعربية و حافظا للغريب في اللغة و راوية للأشعار[2] .بالإضافة إلى كونه فقيها.

و يعد أبو عثمان سعيد بن الحداد (ت 302 هـ/914م) العالم النحوي و اللغوي، من أبرز علماء الدين الذين طرقوا فن الشعر. و له مقطوعة في الفخر، يعتد فيها بنفسه و ينأى ا عن مكاسب الدنيا، منها هذه الأبيات:

رغبت بنفسي عن دنيّ المكاسب — و ما أعجزتني حيلةٌ عن مطـ ـ ـالبي

فإن لم أنل دنيـا فقد نلت همّة — ت ّه نفسي عـن دنيّ المعـ ـ ـ ـائب

أبـت همّتي إلا سموا إلى العلى — و أن طأطأتني حـ ـادثات النوائـب

تراني و في صدري هموم كثيرة — ضحوكاً لأخفي عن جليس و صاحب[3].

---

[1] عياض: المصدر السابق، ج3، ص 226.

[2] المالكي: الرياض، ج1، ص 515. و الدباغ: العالم، ج2، ص 248.

[3] المالكي المصدر السابق، ج2، ص 98.

و من الشعراء الأدباء الذين اختصوا في فن الشعر، و لم يكونوا ذوي نزعة دينية كالشعراء السابقين نذكر: عبد الملك بن قطن المعروف بالمهري (ت 225 هـ/868م)، و يعد من ابرز علماء اللغة و الأدب في العصر الاغلبي، كما كان شاعرا كبيرا. و من شعره هذه الأبيات ضمن قصيدة يرثي فيها الإمام سحنون:

من يبصر البرق فوق الأفق قد لمعاً فقد تسربل ثوب الليل و أدرعـ ـاً

ولي لعمري بأرض الغرب قاطبةٌ ميت له البدو و الحضار قد خشعـاً

لله أنت إذا ما هاب فـ ـاصلةٌ من القضاء بكيل الحد فارتدعـ ـ ـاً

هناك برزت يا سحنون منفردا كسـ ـابق الخيل لمّا بان فانقطعـ ـاً

فإذهب فقيداً حبـاك الله جنته و احصد من الخير ما قد كنت مزدرعا[1].

و هذه الأبيات تنم عن قوة اللغة عند هذا الشاعر بالإضافة إلى جزالة الألفاظ و وضوح المعنى عنده.

و من شعراء هذه الفترة أيضا مجبر بن إبراهيم بن سفيان (ت 285 هـ/898م)، و هو من أفراد الأسرة الأغلبية[2] .

و يعقوب بن يحيى الذي كان من الشعراء المقربين من الأمير زيادة الله الأول[3] .

---

(1) عياض: المدارك، ج1، ص 626.
(2) ابن الابار: الحلة السيراء، ص 185.
(3) ابن عذاري: البيان، ج1، ص 105.

و كان محمد بن إسماعيل المعروف بالنعجة المتوفى في سنة (285 هـ/898م)، المشهور بعلم النحو، عالما باللغة و الغريب و الشعر[1] .

يتبين مما سبق أن فن الشعر لم يلق إهتماما كافيا لدى الأغالبة في القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي، و ذلك لغلبة العلوم الدينية التي كانت تستأثر بإهتمامهم الأكبر، لذلك لم يبرز شعراء في هذه الفترة بالشكل اللافت.

و حتى في القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي- و هو قرن الانتشار الفعلي للشعر الأغلبي- فإن معظم الشعراء الذين ساهموا في الحركة الشعرية كانوا فقهاء و محدثين، و لا يكاد يستثنى منهم إلاّ القليل كالشاعر بكر بن حماد الذي إشتهر بالمغرب و الأندلس، و حتى بالمشرق، كونه شاعرا أكثر منه محدثا أو فقيها.

ب. في النثر الأدبي:

يعتبر النثر أحد الأشكال الفنية التعبيرية التي أبدع فيها الأدباء. و تنحصر مجالات هذا الفن في عدة أبواب أهمها: الوصف و القصة و المقاومة و الرواية و التاريخ و الخطابة و الرسالة و النقد الأدبي[2] .

و يعود إهتمام المغاربة بفن النثر إلى سنوات الفتح الإسلامي للمغرب، حين دعا الفاتح عقبة بن نافع أولاده قبل مغادرته القيروان لمواصلة فتح المغرب، و أوصاهم في مقطوعة نثرية قال فيها: " إني بعت نفسي من الله، و ما أدري ما يأتي علي في سفري، يا بني أوصيكم بثلاث خصال فإحفظوها و لا تضيعوها: إياكم أن تملأوا صدوركم بالشعر و تتركوا القرآن، فإن القرآن دليل على الله عز وجل، و خذوا من كلام العرب ما يهتدي به اللبيب و يدلّكم على مكارم الأخلاق..."[3] .

---

[1] السيوطي: بغية الوعاة، ص 22.

[2] انطوان مسعود البستاني: البلاغة و التحليل، ط3، دار المشرق، بيروت، لبنان، 1986، ص 202.

[3] المالكي: رياض النفوس، ج1، ص 34.

و واضح من هذه المقطوعة أ ا جاءت سهلة الأسلوب، واضحة المعاني، واعظا فيها صاحبها أولاده و موصيا إياهم بسلوك النهج الذي رسمه لهم.

و لم يظهر النبوغ المغربي في هذا الفن إلاّ في منتصف القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي، حيث ارتقت أساليب هذا الفن عند أدباء المغرب و اتسعت، من رسائل إخوانية ووصايا، و رسائل تعليمية و ديوانية و كتابة أدبية[1] .

و تختلف الأساليب النثرية عند الأدباء الأغالبة بين الأسلوب النثري العادي و الأسلوب الأدبي الفني، فأسلوب الفقهاء و رجال الدين عموما يهتم بالمعنى أكثر من الجمال الفني، و العكس صحيح عند الأدباء العاديين، و هاتان المقطوعتان توضحان ذلك:

لما ركب الفقيه أسد بن الفرات السفينة في طريقه إلى فتح صقلية سنة 212هـ/827م، وقف خطيبا أمام جنوده و المشيعين له بالمرفأ، قال: " أيها الناس لا و الله ما ولّى لي أب و لا جد ولاية قط، و ما رأى احد من سلفي قط، و ما رأيت ما ترون إلاّ بالأقلام فأجهدوا أنفسكم، و اتعبوا أبدانكم في طلب العلم و تدوينه، و كابدوا عليه و اصبروا على شدته، فإنكم تنالون به الدنيا و الآخرة"[2] . و يمكن إدراج هذه الخطبة ضمن الخطب العسكرية.

و في مقطوعة للإمام سحنون ينصح فيها ابنه محمد يقول فيها: "سلم على الناس فان ذلك يزرع المودة في القلوب، و سلّم على عدوك و داره، فإن رأس الإيمان بالله مدارات الناس"[3] .

و جاءت هاتان المقطوعتان للإمامين أسد و سحنون، في أسلوب سهل يهتم بالمعنى، دون المحسنات البديعية و التعابير الفنية للجمل.

---

[1] رابح بونار: المغرب العربي، ص102.

[2] ح.ج. عبد الوهاب: المنتخبات الأدبية، طبعة تونس، 1919م، ص 23.

[3] ح.ج. عبد الوهاب: المرجع السابق، ص 24.

أما الأسلوب الأدبي الفني و ما يمتاز به من صور بيانية و اتساع في الرؤية، فنلمسه عند بعض الأدباء كعبد الله بن قطن (ت 255هـ/869م) الذي عاد القاضي و الفقيه عبد الله بن غانم في مرضه و دعا له بالشفاء، فقال: " لما مرض عبد الله بن غانم قاضي افريقية مرضه الذي توفي فيه، و دخلت عليه فقلت له: رفع الله ضجعك من هذه العلة، إلى إفاقة وراحة، و أعاد عليك ما عودك من الصحة و السلامة، فطالما صححت و عوفيت أصلحك الله فاصبر لحكم ربك، فان الله عز وجل يحب أن يصبر على بلواه، كما يحب أن يشكر على نعماه" [1].

و تنم هذه المقطوعة عن عمق المواساة الممزوجة بالعواطف الدينية، مما يبين مدى فهم هذا الأديب لروح الإسلام، أما أسلوب هذا النص، فيرى رابح بونار أن عبد الملك بن قطن كان متأثرا فيه بأسلوب الجاحظ في كتبه[2] .

و يعتبر أحمد الصواف من الذين امتاز أسلوب قصائدهم النثرية بميزة فنية، إضافة إلى نبوغه الشعري، و المقطوعة التي قالها في نصيحة طالب العلم توضح ذلك، إذ يقول: "ينبغي لطالب العلم أن يتخذ له قبل طلبه أدبا يستعين به على طلبه، و أدبا بعد طلبه يستعين به على حلمه، و من أدب العلم الحلم، و أن يغلب حلمك هواك، إذا ما دعاك إلى ما يشينك، و عليك بالوقار و التعفف و الدراية و الصيانة و الصيت الحسن، و التودد إلى الحسن، و مجانبة من لا خير فيه و الجلوس مع العلماء و محبة الخيار، و مجانبة الأشرار[3] .

و قد تأثّر الكاتب في هذه المقطوعة بعبد الله بن المقفّع (ت142هـ/759م) في كتابه الأدب الصغير أو الكبير، واهتمامه بالسجع الخفيف مع ضرب الحكم و الأمثال[4] ،خاصة

---

[1] ح ح عبد الوهاب، ص 23.

[2] بونار: المرجع السابق، ص 104. و أشهر كتب الجاحظ هما "البيان و التبيين" و الحيوان".

[3] ح.ج. عبد الوهاب: المنتخبات الأدبية، ص 24.

[4] بونار: المغرب العربي، ص 104.

و أن كتب ابن المقفّع مثل كليلة و دمنة كانت متداولة عند أدباء الدولة الأغلبية، الذين كانوا يتحلّقون لسماع نوادر الأدب الفارسي[1] .

و يعد أبو العباس محمد بن احمد البريدي (ت 276هـ/889م) ابرز شخصية أدبية في النثر الفني في هذه الفترة، و قد كان احد كتاب الدولة الأغلبية، حيث اسند إليه إبراهيم الثاني الاغالبي ديوان رسائله ثم نقم عليه و سجنه، فكتب إليه أبو العباس هذه الرسالة الإعتذارية من السجن يقول فيها: من كرم العفو و علو قدره و جليل خطره ، تسمى الله عز وجل به فسمى نفسه العفو الغفور، و الطبع البشري مركب على النقص، مقرون بالزلل، إلا ما خص به الله الأنبياء، و أودعه السادات الأمراء من طهارة الأخلاق و نزاهة النفس، و لست، أيد الله الأمير، ممن يدعي العصمة و البراءة، و لست أمت إليك إلا بفضلك علي، و احسانك إليّ، و لا أعرفك بل أذكرك أن من غرس غرسا فواجب أن لا يجتثّه و إن أبطأ بسوقه، بل يمده بموارده العذبة، حتى تمتد حيطانه و تورق أغصانه. أعاذك الله بما اودعك من معالي الاخلاق، من ترك العفو عن مقرن معترف لا يعرف إلا فضلك و لا يرجو إلا عدلك، و لو كنت، اعز الله الأمير، عونا في الخدمة، لكان عفوك اكبر من ذنبي، و فضلك في حلمك أعظم من جرمي، فكيف و أنا بكر في خدمتك لم أقف على حدودها و لا معرفة أقسام مراتبها؟ فإن يكن ذنب فعلي غير قصد او زلة فليست عن عمد... فما سألتك سؤالا دحضت حجته، و أحاطت به زلته، و أوبقه جرمه فالحظني بعين عفوك، وأضف علي ستر نعمتك، و أقول اعز الله الأمير:

هبني أسأت فأين العفو و الكـــرم	قد قـــادني نحوك إلاذعانُ و الندم
يا خير من مدت الأيدي إليه أمـــا	ترثي لمن بكاه عندك الإذعان و الندم
بالغت في الصفح فاصفح صفح مقتدر	إن الملـــوك إذا ما استرحموا رحموا[2] .

---

[1] عثمان الكعاك: العلاقات بين تونس و إيران، ص 142 و ما بعدها.

[2] ابن عذاري: البيان المغرب، ج1، ص ص 121-122

و قد كان هذا الأمير ذواقا للشعر و ناقدا له، فرد عليه و قال: "هبني أسأت"، أما انه لو قال:

و نحن الكاتبون و قد أسأنا فهبنا للكرام الكـ ـاتبنا[1].

و يعتبر رابح بونار هذه الرسالة خطوة هامة في فن الترسل، إذ يستشف منها إعتذار لطيف و التماس رضى ملك مستبد، في أساليب مختلفة، من تقرير و إنشاء. كما اتسمت هذه الرسالة بالسجع في بعض الأحيان. و قد استعان الكاتب ببعض الأبيات الشعرية لإبراز المعاني العاطفية.

و في هذه الرسالة تأثر الكاتب بأسلوب الجاحظ، و حاكى منهج الترسل لدى كتاب العصر العباسي[2] . كما تنم هذه الرسالة عن مقدرة أدبية و فنية عالية لدى هذا الكاتب، حين مزج بين المنثور و المنظوم.

و هكذا فإن النثر الأدبي عرف أوج انتشاره في الفترة الأغلبية، فقد بلغت خطب و رسائل الأدباء الأغالبة مستوى من النضج ضاهى مستوى الأدباء العرب الفصحاء المتقدمين[3] .و زاد من تألّق هذا الفن تشجيع البيت الأغلبي للحركة الأدبية، و مساهمته فيها.

و قد أحصينا في العلوم العقلية سبع عشر كتاباً في الطب و إحدى عشرة كتابا في التاريخ. و في العلوم التطبيقية[4] كتابا واحدا في علم الفلك و كتابين إثنين في علم الكيمياء و كتابا واحدا في علم الجغرافيا.

---

[1] ابن عذاري: المصدر السابق،ج1، ص 122.

[2] بونار: المرجع السابق، ص ص105-106

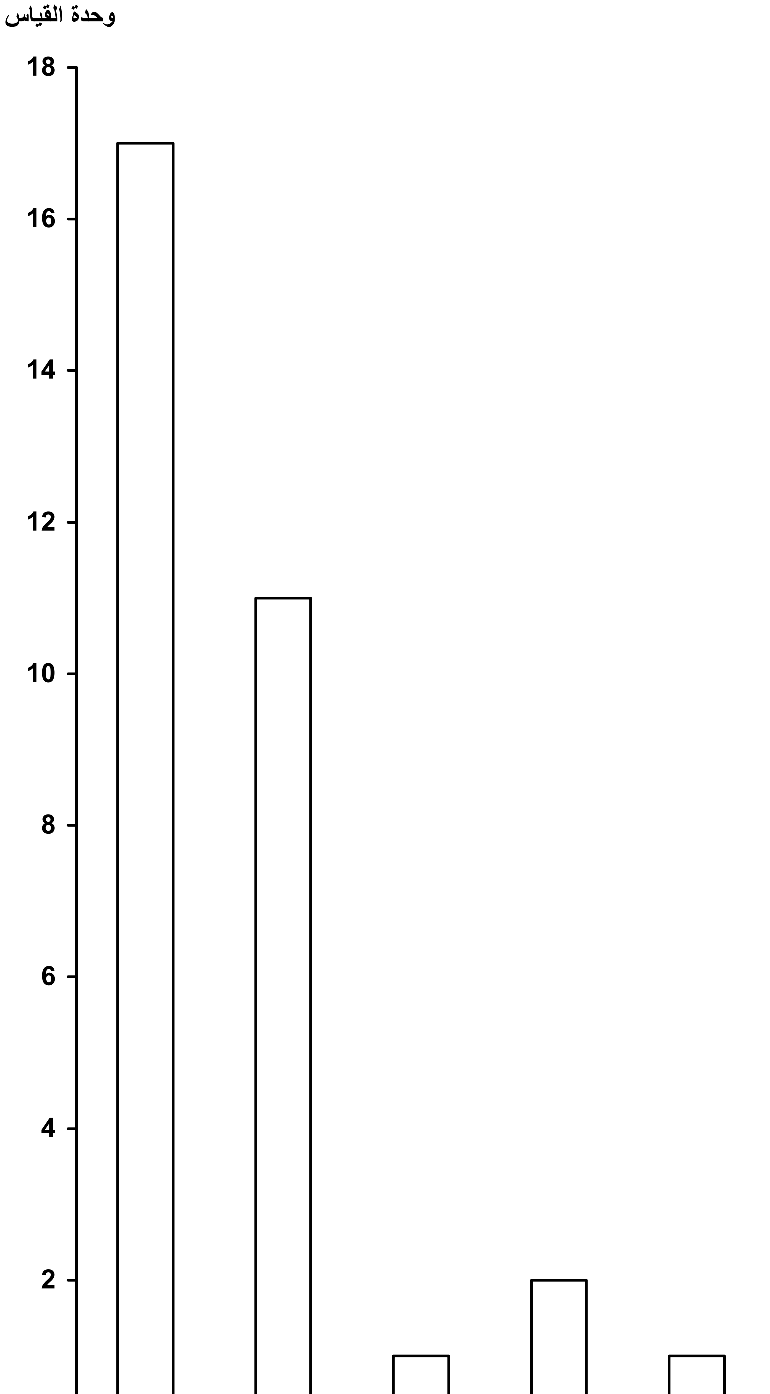
[3] الرقيق القيرواني: تاريخ افريقية، ص 212. و ابن الآبار: الحلة السيراء، ص 93-94.

[4] أنظر عنها و عن مؤلفيها في مبحث العلوم التطبيقية لاحقا من هذا الفصل.

و سنوضح ذلك في الجدول و الرسم البياني الآتيين:

التخصص	عدد المؤلفات
الطب	17
التاريخ	11
الفلك	01
الكيمياء	02
الجغرافيا	01
ا موع	32

رسم بياني لعدد المؤلفات في الطب و التاريخ و الفلك و الكيمياء و الجغرافيا



يستنتج من هذا الرسم البياني أنّ الأغالبة برعوا أكثر في العلوم العقلية كالطب و التاريخ، دون العلوم التطبيقية. ففي الطب ساهمت بيت الحكمة - التي اعتنى ا الأمير زيادة الله الثالث- في بروز مدرسة الطب الإفريقية بما اشتهرت به من أطباء تعدت شهر م بلاد المغرب، بما تركوه من تصانيف في الطب، كالطبيب ابن الجزار الذي ألّف كتاب "زاد المسافر" ، و هو بمثابة موسوعة طبية شاملة.

و رغم ذلك تبقى المؤلّفات في العلوم العقلية في مرتبة اقل من المؤلفات في العلوم الشرعية كالفقه و التفسير و الحديث وعلم القراءات.

4. العلوم التطبيقية:

لم ترق العلوم التطبيقية، من فلك و حساب و تنجيم و كيمياء و جغرافيا، إلى الم لة التي وصلتها العلوم الشرعية بافريقية الأغلبية، و لم تفرد كتب الطبقات و التراجم معلومات كافية عن هذه العلوم – أي علوم التطبيقية- التي تكاد تكون منعدمة في هذه الفترة من البحث.

فهل المغاربة كانوا يستنكفون من العلوم التي لا تتصل بالعلوم الشرعية، من فقه و حديث؟ أم أن أصحاب كتب الطبقات، و هم في غالبيتهم فقهاء كانوا يتفادون الخوض في هذه العلوم التي ليست لها ارتباط بالدين، و بالتالي جاءت معلوما م عرضية عن هذه العلوم؟ و إذا صح ذلك، فإ م أبانوا عن سوء فهم للإسلام الذي يدعو إلى العلم و يحث عليه.

و سنتتبع فيما يلي أثر هذه العلوم بإفريقية و أهم أعلامها:

أ. علم الفلك:

و هو العلم الذي يدرس حركة الكواكب و النجوم السابحة في السماء، من حيث "حركات مراكز الكواكب و ما يجري مجراها في مناطقها"[(1)] .

و يعود اهتمام المغاربة بهذا العلم إلى عهد الفاتح عقبة بن نافع، حين تأسيسه للمسجد الجامع بالقيروان و ما رافق ذلك من تحديد وجهة القبلة، فقد قام بعض الناس أياما ينظرون إلى مطالع الشتاء و الصيف من النجوم و مشارق الشمس[(2)] .

و في العصر الأغلبي توسع اهتمام المغاربة - على قلتهم - بعلم الفلك و النجوم و حركاتها في السماء.

و كان ممن درس هذا العلم و برز فيه إسماعيل بن يوسف الطلاء الذي رحل إلى العراق و أخذ أصول هذا العلم، و عند رجوعه عينه الأمير إبراهيم بن الأغلب على راس بيت الحكمة، و كان ضليعا في النجامة[(3)] . و لا شك أن الرحلة العلمية للعلماء الأغالبة إلى المشرق في القرن الثاني للهجرة/ الثامن للميلاد، قد مكنتهم من الإطلاع على المؤلفات الفلكية العباسية، و من ثمة إدخالها إلى القيروان.

و أغلب علماء إفريقية الذين برزوا في هذا العلم ظهروا خلال القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي و ما بعد العصر الأغلبي، و في مقدمتهم إسماعيل يوسف الطلاء السالف الذكر، الذي كان عالما بالنجامة، أي النظر في النجوم لحساب مواقيتها و سيرها[(4)] .

---

(1) التهانوي: كشاف اصطلاحات الفنون، ج1، ص 48 و ما بعدها.

(2) ابن عذاري: البيان، ج1، ص30.

(3) الزبيدي: طبقات النحويين، ص402.

(4) المصدر نفسه، ص 241

و عبد الله بن أبي القاسم بن مسرور التجيبي (ت346هـ /957م) الذي ألف كتبا كثيرة في شتى أنواع العلوم، منها كتاب " المواقيت ومعرفة النجوم والأزمان " [1]

و محمد بن زرزر (ت 291 هـ/903م)الذي كان له نظر في النجوم.[2]

و رغم العدد القليل لعلماء الفلك الأغالبة الذين تناولت تراجمهم كتب الطبقات، إلاّ أن ذلك يعطي نظرة عن تمكّن الأغالبة من هذا العلم، و أ م وصلوا إلى وضع المصنفات فيه.

ب. علم الحساب:

الحساب هو "علم الأعداد، و فيه جانبان: جانب نظري (يعالج الأرقام و الأعداد: مراتبها و النسب التي بينها و تكرارها على نسق معين)، ثم جانب تطبيقي يتناول الحسبان (معرفة المطلوب بالأعمال الأربعة: الجمع و التفريق و الضرب و القسمة).

و تكثر الحاجة إلى الحسبان في استخراج المطلوب من صلة بعض الأشياء ببعض (في البيع و الشراء و القياس و تقسيم الإرث...الخ)، و أول الحساب العد، و هو إحصاء الأشياء الماثلة"[3] .

و يعد محمد بن موسى الخوارزمي (ت 232 هـ/842م) أبرز من إشتهر ذا العلم في العصر العباسي فهو الذي أسس لعلم الجبر، في كتابه "الجبر و المقابلة" الذي صنفه بأمر من الخليفة المأمون[4] .

---

(1) عياض: المدارك، ج3 ص 342. وابن فرحون: الديباج، ص 135.

(2) ابن عذاري: المصدر السابق، ج1، ص 136.

(3) عمر فروخ: تاريخ العلوم عند العرب،ط4، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1984م، ص 19.

(4) محمد بن موسى الخوارزمي" الجبر و المقابلة، تحقيق علي مصطفى مشرفة، و محمد مرسي احمد، ط3ن دار الكتاب العربي للطباعة و النشر فرع مصر، 1968، ص 15.

أما ببلاد المغرب، فقد عرف أهله الحساب عن طريق الكتاب[1]، حيث كان مدرجا -أي الحساب- ضمن منها ج المواد المقررة للصبيان في الكتاب، فقد أشار محمد بن سحنون بالقول: " و ينبغي (على المعلّم) أن يعلّمهم الحساب، و ليس ذلك بلازم له إلا أن يشترط عليه"[2] .

و قد برز عدد من العلماء بإفريقية الأغلبية منهم أبو زكرياء يحي بن سليمان الخراز الحفري (ت 237هـ/851م) الذي كان عالما بالفرائض و الحساب، و قد تولى ديوان إفريقية سنة 155 هـ/771م لإلمامه بعلم الحساب[3] .

و أورد أبو العرب أن شقران بن علي (ت 183 هـ/799م) ألف كتابا فريدا لا يعرف عند غيره من العلماء[4] .

و مثلما كان إسماعيل بن يوسف الطلاء ضليعا في علم التنجيم ، فقد كان له كذلك نظر في الحساب[5] .

و لا يستبعد أن تكون بيت الحكمة التي أسسها زيادة الله الثالث، قد حوت كتبا مترجمة من اللغات اليونانية و السريانية و الفارسية و الهندية، إستند إليها علماء بين الأغلب في تعميق معلوما م في هذا العلم. فقد أشار حسن حسني عبد الوهاب أن الكتب المترجمة في عهد الخلفاء هارون الرشيد و المأمون و المعتصم و المتوكل كانت لها علاقة بالحساب و الهندسة[6] .

---

(1) انظر فيما بعد في الفصل الرابع مبحث الكتاتيب كمؤسسات تعليمية.

(2) محمد بن سحنون: آداب المعلمين، تحقيق حسن حسني عبد الوهاب، ط2، مطبعة المنار، تونس، 1972م، ص 82.

(3) أبو العرب: طبقات علماء إفريقي و تونس، ص 174.

(4) المصدر نفسه، ص 139. واضح من عبارة أبي العرب أنّ هذا الكتاب ذو أهمية، و إن لم يذكر إسمه.

(5) القفطي: إنباه الرواة، ج1، ص 213.

(6) ح.ح. عبد الوهاب: ورقات، ص 195.

و أكد عثمان الكعاك أن كتاب "الجبر و المقابلة" للخوارزمي كان متداولا بين أهل القيروان، و منه استنبط المغاربة الأرقام العربية[1] .

و كان لعلم الحساب أثره على الحياة الاقتصادية و المالية و عملية البيع و الشراء، فعرفت القيروان أسواق الصرف[2] ، و ما يتطلبه من عد و حساب النقود.

و من المحتمل أن يكون الأغالبة قد تعلموا حرفة الصيرفة عن العراقيين، فقد ذكر الدباغ أن الصيارفة البصريين كانوا يقومون بالتجارة أثناء وجودهم بإفريقية[3].

كما استعمل علم الحساب في مجال سك العملة، خاصة و أن الأغالبة كانت لهم دارا للضرب بالقيروان و العباسية و رقادة[4] تلزم القائمين عليها معرفة دقيقة بأمور الحساب.

و هكذا يمكن القول أن علم الحساب عرف طريقة إلى افريقية الأغلبية، و استفادت منه الدولة عمليا كمجال الصيرفة و سك النقود، إلا أنه لم يرق إلى الشهرة التي عرفها المشرق في فترة الخلافة العباسية، حيث برز علماء طبقت شهر م العالم الإسلامي آنذاك كالعالم محمد بن موسى الخوارزمي.

كما أن علماء بني الأغلب لم يتركوا مصنفات في هذا ا ال تضاهي المصنفات المشرقية، ككتاب "الجبر و المقابلة" للخوارزمي.

---

[1] عثمان الكعاك: العلاقات بين تونس و إيران، ص 124.

[2] الخشني: طبقات علماء افريقية، ص 219.

[3] الدباغ: المعالم، ج2، ص 312.

[4] ح.ح. عبد الوهاب: ورقات، ص 414.

جـ.علم الكيمياء:

يعرف ابن خلدون الكيمياء بأ ا علم يهتم بتركيب المواد و استحضارها، بإجراء التجارب و الإختبارات عليها[1] ، و هذه المواد تكون سائلة أو معدنية. و عرف المسلمون هذا خلال العصر الأموي، حين جاء الأمير خالد بن يزيد بن معاوية بجماعة من المصريين كانوا على دراية بصناعة الكيمياء فنقلها عنهم[2] .

و ليس هناك في المصادر المحلية ما يوحي بأن العلماء الأغالبة حذقوا هذا العلم و اشتهروا فيه، و ما وجد في ثنايا تراجمهم، على قلتهم، من اهتمام بصنعة الكيمياء، إلا النـ ر اليسير.

و من أشهر الكيميائيين الذي برزوا في العصر الأغلبي نذكر إسماعيل بن يوسف المعروف بالطلاء المتعدد المعارف، الذي رحل إلى مصر و الشام و العراق طالبا للعلم.

و ببغداد تعلّم صنعة الكيمياء، و عند رجوعه إلى إفريقية كان أول من أدخل هذه الصناعة إلى القيروان.[3]

كما كان لوفود بعض علماء الكيمياء العباسيين على القيروان، أن أكسب أهلها مهارة في هذه الصنعة، فقد أورد الدباغ أن رجلا سماه بالبغدادي، جلبه إبراهيم بن الأغلب، و صنع له قراميد مزينة بالرخام و الذهب و أضافها إلى القراميد التي أتى ا

---

[1] ابن خلدون: المقدمة، ص 1016.

[2] ابن النديم: الفهرست، ص 242.

[3] الزبيدي: طبقات النحويين، ص 263. و محمد زيتون: العلاقات الثقافية بين القيروان و مراكز الفكر في المشرق، مجلة كلية العلوم الاجتماعية العدد1، ص 375.

إبراهيم من العراق ليزين بها محرابا رخاميا أتى به أيضا من العراق و وضعه بالمسجد الجامع بالقيروان.[1]

و يمكن أن يكون أهل القيروان قد نقلوا مهنة صناعة القراميد المزينة بالرخام عن هذا الصانع البغدادي. و من الصناعات الكيميائية التي عرفتها بلاد المغرب، و كان لها الإنتشار الواسع، صناعة الحبر التي ركّز عليها النويري عند حديثه عن أنواع الصموغ المغربية (و هي المادة التي تدخل في صناعة الحبر)، منها الفربيون و الصبر و المر[2].

و كان لاهتمام الأغالبة بهذه الصنعة أن ألف بعض العلماء في هذا المجال، منهم العالم احمد بن الجزار الذي ألف كتاب العطر، أفراده لصناعة الروائع و طرق تقطيرها من النباتات و العقاقير المستخلصة منها[3].

و دون أن نغفل دخول صناعة الكيمياء في تحضير الأدوية، و أبرز من قام بتركيب الأدوية بإفريقية الطبيب القيرواني ابن الجزار- السابق ذكره- الذي كان يقوم بتحضير الأدوية بالطرق الكيميائية ثم يضعها في قوارير زجاجية[4] .

و قد وضع ابن الجزار خبرته و تجاربه في صناعة و تركيب الأدوية في مؤلّفيه " الأدوية المفردة" المعروف بـ "البغية" و " المختبرات "[5] ، و بذلك يكون ابن الجزار قد طبق معلوماته النظرية في الميدان العملي.

---

(1) الدباغ: المعالم، ج2، ص 147. و G. Marçais, les faïences de la grande mosquée de Kairouan, librairie orientaliste, paris, 1982, P2-11

(2) النويري: نهاية الأرب، ج11، ص ص 302-305.

(3) ابن أبي أصيبعة: طبقات الأطباء، ص 204.

(4) المصدر النفسه، ص 11.

(5) المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص 18. و أنور الرفاعي: الإسلام في حضارته و نظمه الإدارية و السياسية و الأدبية و العلمية و الاجتماعية و الاقتصادية و الفنية، د.ت دار الفكر، ص 588.

د- علم الجغرافيا:

إن كلمة جغرافيا يونانية الأصل و معناها علم وصف الأرض. و أطلق العرب على هذا العلم أسماء متعددة منها علم تقويم البلدان و علم المسالك و المماليك و علم مسالك البلدان و الأمصار.

و في هذا السياق يقول المقدسي: -إنّ الجغرافيا علم لابد منه للتاجر و المسافر، و الملوك و الكبراء و القضاة و الفقهاء.[1]

و لقد كانت الفتوحات الإسلامية التي انطلقت من جزيرة العرب، فرصة للمسلمين لكي يطلعوا على أحوال البلاد المفتوحة، فعرفوا ميزا ا الجغرافية من طبيعة أرض و إنتاج و أقاليم و نشاط بشري، فتعمقت معارفهم الجغرافية، و خصوا الجغرافيا كعلم قائم بذاته بكثير من العناية، فلم يكتفوا بترجمة كتب اليونان بل أظافو إليها تجار م العديدة[2] .

و مــن أبــرز الجغــرافيين الــذين ظهــروا في العــصر العباســي الأول، اليعقوبي(ت284هـ/837م) الذي تناول في أبحاثه وصف الممااليك معتمدا على ملاحظاته و مشاهداته، خاصة و أنه طاف بكثير من البلدان و المماليك الإسـلامية، كخراسـان و أرمينية حتى وصل إلى الهند، و جمع كل ما لاحظه و وصل إليه مـن خـلال رحلاتـه في كتابه"البلدان"[3] .

و منهم أيضا الجغرافي ابن خرداذبة (ت300هـ/912م) الذي ألف كتاب (المسالك و المماليك) و بين فيه حدود الأرض و مسالكها و ممالكها معتمدا على كتاب المسطي لبطليموس اليوناني[4] .

---

(1) المقدسي: المصدر السابق، ص 18.

(2) أنور الرفاعي: المرجع السابق، ص 589.

(3) اليعقوبي: كتاب البلدان، ط1، دار إحياء التراث العربي، لبنان، 1988م، ص ص 5-6.

(4) أنور الرفاعي: المرجع السابق، ص 590.

و يعود إهتمام الأغالبة بهذا العلم إلى زمن الرحلة إلى المشرق من أجل تلقي العلوم، و كان طلبة العلم بعد رجوعهم إلى القيروان، يجلبون معهم كتابا في شتى العلوم العقلية و منها كتب الجغرافيا و الأدوات الفلكية[1].

و من العلماء الذين ظهروا في العصر الأغلبي و نسبت إليهم المصادر اهتماما بهذا العلم، نذكر أبو عبد الله محمد ابن إسماعيل المغربي (ت290هـ/903م) الذي وصفه الدباغ بأنه كان دائم الأسفار [2] .

كما كان أبو سليمان ربيع بن عبد الله القيرواني كثير التغرب عن الأوطان، وقد جال في المشرق برا وبحرا [3].

و كان أبو القاسم الحسن بن مفرج مولى مهريه بنت الأغلب (309هـ/921م)، كذلك كثير الحج و الأسفار و التغريب عن الأوطان [4] .

و معنى هذا إن تلك الأسفار و الرحلات التي كان يقوم بها هؤلاء العلماء قد مكنتهم من اكتشاف عوامل طبيعية و أثرية، فدرسوها و دونوا ملاحظاتهم للمواقع و البلدان التي شاهدوها.

و يظهر بأن ورود أمهات الكتب الجغرافية لعلماء المشرق على افريقية الأغلبية في القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، ككتاب المسالك و الممالك لابن خرداذبة، و كتاب البلدان لليعقوبي، قد أثرت في المعرفة الجغرافية للعلماء الأغلبية و المغرب عامة، حتى أنهم حاكوهم في تأليف الكتب الجغرافية، فقد ألف العالم ابن الجزار كتاب (عجائب البلدان)

---

(1) ح.ح. عبد الوهاب: ورقات، ص 16.

(2) الدباغ: المعالم، ج2، ص 285.

(3) المصدر نفسه: ج2، ص 294.

(4) المصدر نفسه: ج2، ص 353

وهو في الجغرافيا الإقليمية، و قد إعتمد عليه ابن البيطار حيث قال: "قال ابن الجزار في كتاب (عجائب البلدان) جبل زمرد من جبال البجاة موصول بالمقطم جبل مصر"[1] .

و لإبراز دور علم الجغرافيا في وصف أقاليم البلدان، فإن الجغرافي اليعقوبي يعد مثالا لذلك، فعند حديثة عن المدن الأغلبية التي زاراها[2] ، وصف الحياة السكانية و الاقتصادية و المذهبية و السياسية لكل مدينة نزل ا، وصفا دقيقا اقر بصحته المستشرق الفرنسي جورج مارسيه[3] ، فهو – أي اليعقوبي- عند ذكره لتونس مثلا قال بأ ا تضم دارا للصناعة [4] ، أي صناعة السفن التي بعثها موسى بن نصير[5] ، و عند ذكره مدينة مجانة أشار إلى أن باطنها يحتوي على الفضة و الحديدي و الرصاص[6].

و هكذا فإنّ الاغالبة عرفوا علم الجغرافيا بفضل إحتكاكهم بالجغرافيين المشارقة، بالإضافة إلى معرفتهم بأدب الرحلة، بحيث زاروا عدة بلدان و إقليم و دونوا ملاحظا م عن كل ما شاهدوه.

و قد أحصينا لأعلام الفكر في العلوم العقلية و الأدبية و التطبيقية الذين وردت أسماؤهم في هذا المبحث ستة أطباء مختصين و تقليديين و ثلاث عشرة مؤرخا و ثماني عشرة شاعرا و خمسة ناثرين و ثلاثة فلكيين و ثلاثة رياضيين و كيميائيين اثنين و أربعة جغرافيين.

---

(1) ابن البيطار: الجامع لمفردات الأدوية و الأغذية، مكتبة المثنى، بغداد، د.ت، ج2، ص 167.

(2) لقد زار اليعقوبي إفريقية و إستقر برقادة عاصمة الدولة الأغلبية سنة 263هـ/867م، أنظر:

Georges Marçais, la berberie au IX siècle d'après EL-YAKUBI extrait de la R.A. 1er et 2e mt, 1941, P 42.

(3) IBID, P42.

(4) اليعقوبي: كتاب البلدان، ص 105.

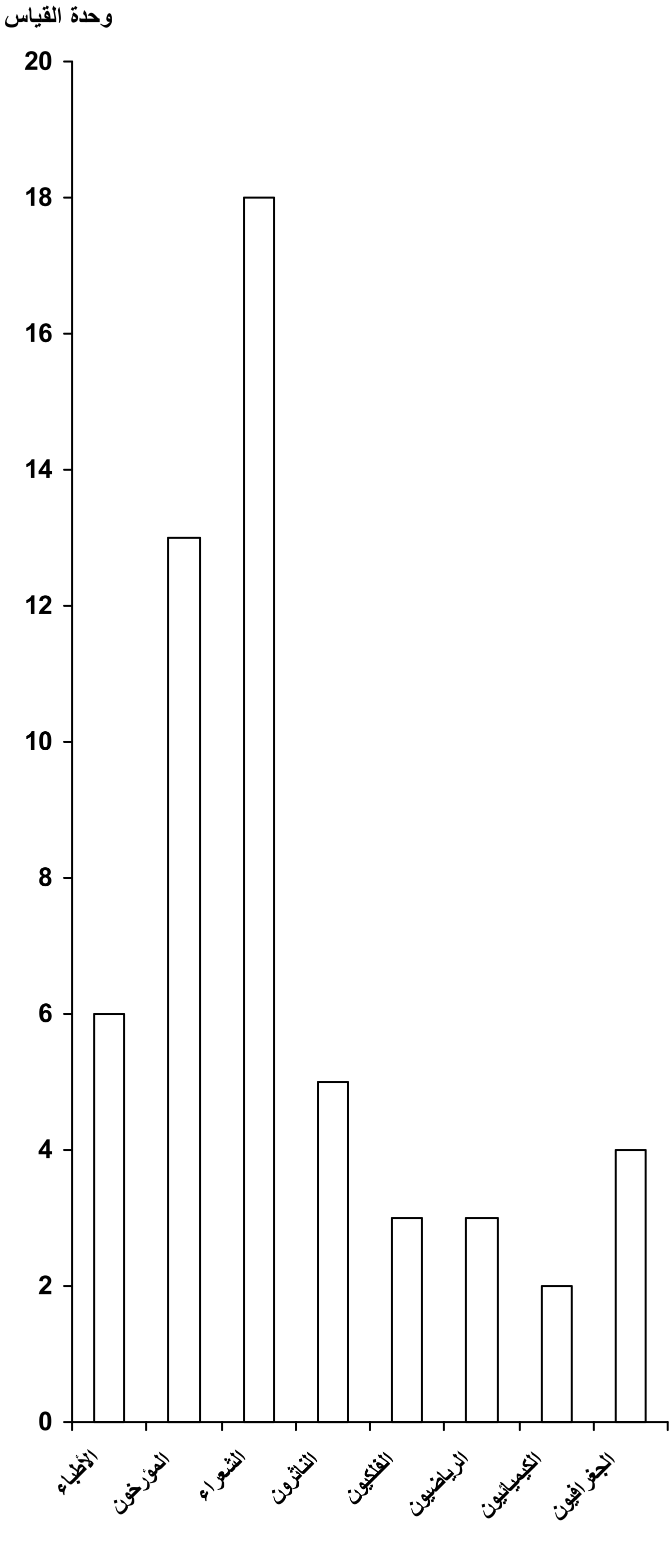
(5) لبن قتيبة: الإمامة و السياسة، تحقيق طه الزيني، ط1، دار المعرفة، لبنان، د.ت، ص 89.

(6) اليعقوبي: المصدر السابق، ص 106.

و سنوضح ذلك في الجدول و الرسم البيان التاليين:

أعلام كل تخصص	العدد
الأطباء	06
المؤرخون	13
الشعراء	18
الناثرون	05
الفلكيون	03
الرياضيون	03
الكيميائيون	02
الجغرافيون	04
ا موع	54

رسم بياني لإعلام الفكر في العلوم العقليـة و الأدبيـة و التطبيقيـة



يتبين من خلال هذا الرسم البياني أن الشعراء في عصر بني الأغلب كانوا أكثر برزوا في الساحة الثقافية الأغلبية من أعلام الفكر الآخرين، نتيجة لاحتكاك الشعراء المغاربة بأقرا م المشارقة، والتشجيع الكبير للأمراء الأغالبة للحركة العلمية والثقافة عامة و الأدبية خاصة، حيث كانوا هم أدباء وشعراء.

ونستنتج مما سبق من هذا الفصل أن حلقات العلم التي كانت تعقد بالمساجد أو ببيوت العلماء، كانت عاملا من عوامل تقدم الحركة العلمية بإفريقية.

كما بينت مجالس المناظرات التي كان يعقدها علماء المالكية مع نظرائهم من المذاهب الأخرى، وخاصة الأحناف والمعتزلة، مدى حرص المالكيين للدفاع عن المذهب المالكي و التصدي لأصحاب الأهواء و البدع، كالمعتزلة و المرجئة و الشيعة.

و أظهرت هذه المناظرات تطور الدراسات الكلامية خلال القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، والتي أدت إلى تأسيس المدرسة الكلامية بإفريقية.

وفي مجال التآليف نستنتج أن الأغالبة ساهموا بما أنتجوه من تأليف في مختلف العلوم، في النهضة العلمية و الأدبية التي عرفتها الدولة الأغلبية. ويكفي للتدليل على غزارة الإنتاج المعرفي الذي وصل إليه العلماء الأغالبة، أن العالم محمد بن سحنون ألّف نحو مائتي كتاب في جميع العلوم كما يذكر المؤرخ المالكي.

و في العلوم العقلية و الأدبية والتطبيقية في افريقية نستنتج أن علم الطب عرف تطورا ملحوظا بعد تأسيس المدرسة الطبية القيروانية، و بروز مراكز لتعليم الطب والصيدلة في بيت الحكمة التي أسسها الأمير زيادة الله الثالث.

وفي علم التاريخ برز مؤرخون كانت لهم بصمتهم في هذا اﻟﻤﺠال، وطرقوا التخصصات التاريخية المعروفة كالسير و المغازي والتراجم والتاريخ العام، كما حفظوا لنا تاريخ المنطقة بتآليفهم حول التاريخ المحلي، كمحمد بن أبي المهاجر الذي ألّف كتاب "فتوح افريقية" الذي يؤرخ فيه لتاريخ الفتح الإسلامي لافريقية.

وفي الأدب لم يبرز شعراء أغالبة في القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي بصفة ملحوظة، وذلك لاستئثار العلوم الدينية على ما سواها من العلوم الأخرى لديهم. وحتى في فترة انتشار فن الشعر بافريقية في القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، فإن معظم الشعراء كانوا فقهاء أو محدثين إلا القليل منهم.

ويدين شعراء بني الأغلب إلى دواوين العرب الشعرية في صقل مواهبهم الشعرية، و القصائد التي وصلتنا عنهم تدل على مدى تطور الشعر عندهم، بالرغم أننا لم نقف على دواوينهم الشعرية. كما أن البحور التي استخدموها هي البحور المعروفة والتي طرقها الأدباء المشارقة قبلهم.

أما فن النثر فقد بلغ فيه الأدباء الأغالبة مستوى من النضج، جعله يرقى إلى مستوى الأدباء المشارقة رغم أن عدد من طرق هذا التخصص يعتبر ضئيلا مقارنة بعدد الشعراء.

وفي العلوم التطبيقية، فيمكن القول، أ ا لم تكن لترقى إلى مستوى اهتمام الاغالبة بالعلوم الدينية ورغم ذلك طرق علماء بين الاغلب هذه العلوم، وطبقوها عمليا على واقعهم كعلم الحساب، و وصلوا حتى إلى التأليف فيها كعلم الفلك.

الفصل الرابع
المؤسسات العلمية و التعليمية
بإفريقية في عصر الأغالبة

❖ الفصل الرابع:

المؤسسات العلمية والتعليمية في افريقية في عصر الأغالبة (184هـ - 296هـ / 800م - 909م)

أولا: مراكز العلم

1- في القيروان

2- في تونس

ثانيا: المؤسسات التعليمية

1- الكتاتيب

2- المساجد

3- الرباطات

4- بيوت العلماء والأمراء

❖ **تمهيد:**

كان للمؤسسات العلمية والتعليمية التي عرفتها إفريقية في الفترة الأغلبية، كمراكز العلم في القيروان وتونس، ودور العلم ومنها الكتاتيب والرباطات والمساجد، دور هام في تنشيط الحياة العلمية والثقافية والدينية في القرينين الثاني والثالث للهجرة/ الثامن والتاسع للميلاد، فمن ذلك:

أوّلا: مراكز العلم

تعد مراكز العلم من أقدم المعاهد التي ساهمت في الحركة العلمية التي شهدها العصر الأغلبي، ومنها:

1- **القيروان**:

كانت القيروان أولى المدن التي أسسها الفاتحون في المغرب، وظلّت طيلة قرون عديدة مركزا للإشعاع الثقافي والديني، إلى جانب كو ا عاصمة سياسية لبلاد المغرب لمدة طويلة.

والى جانب القيروان كانت هناك مراكز ثانوية للثقافة وصل بعضها إلى مرتبة مرموقة في الميدان الثقافي مثل تونس، وتاهرت عاصمة الدولة الرستمية بالمغرب الأوسط، وفاس عاصمة الدولة الإدريسية بالمغرب الأقصى، فكانت القيروان ترسل إلى هذه العواصم بعلمائها، وبالمقابل كان يفد عليها طلاّبا من جميع أنحاء المغرب لتلقّي العلم عن علمائها.

ولقد استفادت القيروان من العدد الهائل من العلماء المشارقة الذين وفدوا عليها، كما كانت على صلة دائمة مع المراكز الكبرى للدراسات الإسلامية بالحجاز(مكة والمدينة) والشام والعراق، مما أدى إلى نضج الحياة الفكرية و إزدهارها في القيروان[1].

وكانت هذه العلاقات التي أوجدها أولئك العلماء والطلاّب بين شتى المراكز الفكرية آنذاك لم تكن ترعاها الدولة إلاّ بعثة الفقهاء التي أرسلها عمر بن عبد العزيز، ثم الأطباء والمترجمين الذين استقدمهم أمراء بني الأغلب عندما أنشأوا بيت الحكمة وبذلوا جهدهم لرقيها وازدهارها، و عملوا على شراء الكتب المختلفة وإحضارها لهذه المؤسسة من كل مكان[2].

وإمتاز النشاط الثقافي في القيروان بكثرة الفقهاء والمحدثين، وتعددت ا السالس العلمية، حيث أصبحت – أي القيروان- في العصر الأغلبي مركزا ذائع الصيت ليس في المغرب والأندلس فحسب بل في المشرق أيضا [3].

ومنذ القرن الثاني للهجرة/ الثامن للميلاد، وبظهور الإمام سحنون (ت226 هـ/840م) أعطى القيروان دفعا جديدا في مسارها الثقافي. ومنذ ذلك الوقت أخذ عدد طلاّب القيروان بالتزايد للتتلّمذ على علمائها [4].

كما كان يفد على القيروان بعض العلماء ممن جمعوا بين العلم والتجارة، بحيث حملوا معهم سلعهم التجارية، إضافة إلى علومهم ونشروها بالقيروان.

---

(1) محمد محمد زيتون: العلاقات الثقافية بين القيروان وبين مراكز الفكر في المشرق حتى منتصف القرن الرابع الهجري، مجلة كلية العلوم الاجتماعية، العدد الاول، 1977،ص 372.

(2) المرجع نفسه، ص 383.

(3) VONDERHEYDEN, la berberie orientale,p 120.

(4) ابن فرحون: الديباج المذهب، ص 164.

وفي المناطق التي كانوا يمرون ا، فقد بثّ العالم أبو يحي بن حماد السجلماسي علمه بالقيروان، إضافة إلى تجارته [1].

ولا نتخيل أن يكون هذا العلم في غير المذهب المالكي، خاصة وأن علماء هذا المذهب بإفريقية وعلى رأسهم الإمام سحنون كانت لهم حساسية مفرطة تجاه أصحاب الأفكار المخالفة لأهل السنة عامة والمذهب المالكي على وجه الخصوص .

كما وفد على القيروان عدد من طلاّب الأندلس لتلقي العلوم على أيدي علمائها، فقد سمع "قاسم بن أصبع بالقيروان من أحمد بن يزيد المعلّم وبكر بن حماد التاهرتي" [2]، فكان مما نقله هذا الطالب الأندلسي عن بكر بن حماد مسند بن مسرهد الذي يقع في عشرة أجزاء [3]

وكان من هؤلاء الطلاّب الأندلسيين من وفد خصيصا للقيروان لتلقي العلم عن الإمام سحنون، وقد ذكرنا سابقا في الفصل الثاني قولا للمالكي في معرض حديثه عن العالم سليمان بن سالم، أن هذا الأخير رأى " يوم مات سحنون مشايخ من أهل الأندلس يبكون ويضربون خدودهم كالنساء " [4].

---

(1) أبو العرب: طبقات علماء افريقية وتونس، ص 203. ويعد ابو يحي بن حماد السجلماسي أول من قدم بفقه عبد الملك بن عبد العزيز بن الماجشون(ت213هـ/828م) (أحد أشهر تلاميذ الإمام مالك بن انس بالحجاز) إلى القيروان. أانظر: أبو العرب: المصدر نفسه، ص 203. و عياض: تراجم أغلبية،ص 146.

(2) ابن الفرضي: تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس، تحقيق عزت العطار الحسيني، نشر مكتبة المثنى، بغداد، 1954م، ج1 ص407.

(3) الضبي: بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، دار الكتاب العربي، مطابع سجل العرب، القاهرة، 1967م، ص 447-448. وابن مسرهد :هذا هو مسدد بن مسرهد بن مسربل أبو الحسن الأسدي البصري، وهو محدث وهو أول من صنف المسند في الحديث بالبصرة (ت 228هـ/843م) انظر، الزركلي: الأعلام، مجلد 7 ص 215.

(4) المالكي: رياض النفوس، ج1 ص 288.

ولا غرابة في ذلك، فقد كان الإتصال والتفاعل الحضاريين بين الأندلسيين والقيروانيين شيئا مألوفا، وذلك لإمتزاج عناصر سكان بلاد المغرب والأندلس، خاصة إذا علمنا أنّ عددا من سكان الأندلس الذين إستقروا فيها بعد الفتح كانوا من أهل المغرب [(1)].

وكان تأثير سحنون واضحا في الفقه الأندلسي، ذلك أن هذا التأثير لم يكن عن طريق حضور بعض الأندلسيين من أجل تدبيج المدونة فحسب: بل كان أيضا عن طريق التتلّمذ المباشر [(2)] ، وأنّ شخصية الإمام سحنون سرعان ما فرضت نفسها، فأصبحت بفضله القيروان دار علم تشد لها الرحال[(3)]، وهذا يبين مكانة الإمام سحنون المتميزة ودوره في الحركة العلمية التي شهد ا القيروان آنذاك.

كما كان أسد بن الفرات (ت213هـ-828م) يدرس مذهب الإمام مالك بن أنس في القيروان، الذي تلقاه عنه طلبة كثيرون، منهم الإمام سحنون الذي آلت إليه رئاسة العلم في إفريقية من بعده، وعم إنتشار مذهب مالك عن طريقه [(4)].

2- في **تونس:**

لقد إمتازت تونس بنشاطها الفكري في بداية القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي، وإستقطبت أنظار الطلاب إليها من مختلف عواصم بلاد المغرب الإسلامي، من أجل التفقّه على علمائها البارزين أمثال علي بن زياد (ت183هـ/799م) الذي إشتهر كونه واضع أسس المدرسة المالكية بالمغرب، فقد جاءه البهلول بن راشد (ت182هـ-798م) من

---

(1) أبو القاسم كرو: عصر القيروان، ط1، دار المغرب العربي، تونس، 1973، ص 34.

(2) Mohammed talbi: la relation entre l'ifriqya et l'Espagne musulmane au III, IX, siècle .in. Les cahiers de Tunisie, revue des science humaines, faculté des lettres et des science humaines.1er et 2em trimestre. N° 69-70. tome 18,Tunis 1970.p.44.

(3) IBID, p, 44.

(4) أبو العرب: المصدر السابق، ص 184.

القيروان ليسمع منه العلم والمعرفة [1]، وكان" يكاتبه إلى تونس يستفتيه في أمور الديانة" [2]، أي في أمور فقهية أشكلت عليه.

ولمّا كانت رحلة العلماء المغاربة في القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي إلى المشرق لها أثرها في إزدهار العلوم الدينية بإفريقية، لم يكن هؤلاء العلماء يذهبون نحو وجهتهم بالحجاز والعراق ومصر والشام، وهو خالون من العلوم، بل كانوا يتلقون العلم في إفريقية أولا، ثم يشدون الرحال نحو المشرق لتوسيع دائرة معارفهم العلمية، فقد سمع أسد بن الفرات موطأ الإمام مالك بن علي بن زياد (ت183هـ/799م) بتونس ، قبل ذهابه إلى المدينة وقراءته عن مالك بن أنس [3].

وعلى الرغم من أنّ القيروان بدأت تأخذ مكانة تونس العلمية شيئا فشيئا، إبتداء من منتصف القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي، فقد حافظت تونس نسبيا على نشاطها العلمي، حيث إلتحق عدد من طلا ا بالقيروان من أجل التفقّه وتلقي العلم عن علمائها وفقهائها [4].

يستنتج مما سبق أنّ مركزي القيروان وتونس العلميين كانا منطلق الحركة العلمية و الفكرية التي عرفتها إفريقية في القرنين الثاني والثالث الهجريين/ الثامن والتاسع الميلاديين.

و أنّ الرعيل الأول من العلماء المغاربة، كالفقيه أسد بن الفرات والبهلول بن راشد، لم يشدوا الرحال إلى المشرق من أجل العلم في منتصف القرن الثاني للهجرة/ الثامن للميلاد، في مراكز الحجاز والعراق ومصر والشام، إلاّ بعد أن تتلمذوا على كبار فقهاء المغرب بالقيروان وتونس كالفقيه علي بن زياد السالف ذكره.

---

(1) ابو العرب :المصدر السابق، ص 222. و عياض: المدارك، ج1 ص 326.

(2) المالكي: رياض النفوس، ج1 ص 173. و ح.ح.عبد الوهاب: خلاصة تاريخ تونس، ط3، دار الكتب الشرقية، تونس، د.ت.ص 67. ويعد علي بن زياد مؤسس المدرسة الفقهية التونسية، وموطّد مذهب الإمام مالك بافريقية، وهو أول من أدخل موطأ الإمام مالك إلى المغرب. المالكي: المصدر السابق، ج1 ص 234.

(3) دائرة المعارف الإسلامية: مادة "أسد بن الفرات " ج2، ص 105.

(4) M.VONDERHEYDEN,OP.CIT.P121

ثانيا: المؤسّسات التعليميّة

شهدت إفريقية مؤسسات تعليمية ساهمت في تعليم أبناء المغرب علوما إرتبط معظمها بعلوم القرآن، ومنها:

1- الكتاتيب

تعد الكتاتيب أسبق أنواع المعاهد التعليمية وجودا في العالم الإسلامي.وقد إشتُق إسم هذه المعاهد من التكتيب، وتعليم الكتابة، وهي المهمة التي اضطلعت ا الكتاتيب، ويؤيد ذلك ما ورد في القاموس المحيط من أنّ المكتب والكتاب موضع تعليم الكتابة[1].

وإذا كان العصر الإسلامي قد أطلق إسم الكتاب على هذا المعهد الذي يتعلّم فيه الصبيان، فإنّ الدروس التي كانت تقام فيه كانت تعليم القرآن والقراءة والكتابة ومبادئ الدين[2].

والكتاتيب تكون غالبا ملحقة بالمسجد- وخصوصا في البداية- إذ قلّما يوجد كتابا منفصل عنه، أما في المدن فإ ا قد تكون ملحقة أو مستقلة عنه[3].

و يمكن لنا أن نتساءل، متى ظهر الكتاب ببلاد المغرب؟. لقد دخل الكتاب إلى منطقة المغرب الإسلامي مصاحبا بجيوش الفتح.

وكان الكتاب منذ النصف الأول من القرن الأول الهجري/ السابع الميلادي عبارة عن خيمة قبل أن تُمصر الأمصار، وكان جيش الفتح يصطحب معه خطباءه وشعراءه ومعلّميه[4].

---

(1) الفيروز أبادي: القاموس المحيط، توزيع مكتبة النوري، دمشق،د.ت، ج1، ص121.

(2) أحمد الكنوني: المدرسة القرآنية في المغرب، ص 36.

(3) المرجع نفسه، ص 36.

(4) حسين مؤنس: فتح العرب للمغرب، ص 297.وعثمان الكعاك: محاضرات في مراكز الثقافة في المغرب، ص 12.

ولمّا بدأ الفاتحون المسلمون من الصحابة والتابعين بفتح المغرب في أواسط القرن الأول الهجري/ السابع الميلادي، أول ما أنشأوا الدور والمساجد، ثم إلتفتوا إلى تعليم صبيا م، بإعتبار أنّ الكثير من الفاتحين جلبوا معهم عيالهم وأولادهم، فاتخذوا لهم كتابا بسيطا في بنائه يجتمعون فيه لقراءة القرآن، وذلك لحرصهم الكبير على دينهم[1] .

وكان الولاة ورؤساء الجيوش الإسلامية يجلبون معهم الأدباء لإنشاء الرسائل، ولتثقيف أبنائهم، وأبناء الأسر العربية، وأبناء المغرب.

فقد روي أن غياث ابن أبي شنب قال: " كان سفيان بن وهب صاحب رسول الله –صلى الله عليه وسلم– يمر علينا ونحن علمة بالقيروان، فيسلّم علينا بالكتاب..."[2]، وهذه إشارة توحي بأنّ الكتاتيب وُجِدت منذ زمن مبكّر، أي منذ إنشاء القيروان.

وكان دخول الصحابي سفيان ابن وهب[3] إلى إفريقية عام (78هـ /697م)، أي في خلافة عبد المالك بن مروان (86هـ -96هـ/705م-715م) ، لذلك فإّنه لم يمض ربع قرن على تأسيس مدينة القيروان، حتى وجدت ا كتاتيب.

وكان عدد هذه المعاهد التعليمية في إضطراد على قدر إنتشار العمران في القيروان، خاصة زان سكان المغرب كانوا يتزاحمون للدخول في الدين الإسلامي، فأقبلوا على تعلّم دين ولغة وآداب وأخلاق أولئك الفاتحين. ولذلك كانت الكتاتيب محل عناية من قبل كبار وأعيان المسلمين[4].

---

[1] محمد بن سحنون: كتاب آداب المعلّمين، تحقيق حسن حسين عبد الوهاب، ط2، مطبعة المنار، تونس، 1972م،ص33

[2] الدباغ: معالم الإيمان، ج1 ص120.

[3] هو سفيان بن وهب الخولاني أبو الّيمن صحابي من الأمراء، حج مع النبي-صلى الله عليه وسلم- حجة الوداع، وشهد فتح مصر (ت82هـ/701م)، انظر، الزركلي: الأعلام، مجلد3، ص105.

[4] ابن سحنون: المصدر السابق، ص34.

ولهذا وجدنا أن الأمير إسماعيل بن أبي المهاجر المخزومي[1] كان يؤدب أبناء الخليفة عبد الملك بن مروان، إلى حين تعيينه – أي إسماعيل- أميرا على ولاية إفريقية سنة (100هـ/718م) من قبل الخليفة عمر بن عبد العزيز (99هـ-101هـ/717م-719م).

وفي هذا السياق يقول المؤرخ إبن عساكر الدمشقي (ت575هـ/1188م) في تاريخه: "كانت أم الدرداء أشارت بإسماعيل على عبد الملك أن يكون معلّما لأولاده، فلما أحضره قال له:" يا إسماعيل علّم ولدي فإني معطيك ومثيبك، فقال له: وكيف ذلك يا أمير المؤمنين؟ وقد حدثتني أم الدرداء عن أبي الدرداء أن رسول الله- صلى الله عليه وسلم-، قال: من أخذ على تعليم القرآن قوسا، قلّده الله قوسا من نار يوم القيامة " [2].فقال عبد الملك " إني لست أعطيك على القرآن، ولكن أعطيك على النحو والعربية " [3]. ومما لا شك فيه أنه إهتم بالتعليم بإفريقية لمّا حلّ ا.

وقد إعتنى أمراء بني الأغلب بالتعليم ورغّبوا فيه، إذ ينقل لنا المالكي في رياضه: " أنّ الأمراء من بني الأغلب كانوا يأتون جامع القيروان ليلة نصف شعبان وليلة نصف رمضان، ويعطون فيها من الصدقات كثيرا، ثم يخرجون في حشمهم وأهل بيتهم وخدمهم من الجامع إلى المدينة فيزورون دور العباد والعلماء والكتاتيب والمحارس والدمنة: فيوزعون عليهم العطايا الجسيمة " [4].

وقد إنتشرت الكتاتيب وتكاثرت في القيروان، وفي المدائن الكبيرة كتونس وسوسة وصفاقس، كما إنتشرت في كل درب من الدروب أو حي من الأحياء[5].

---

(1) إمتاز عهد هذا الأمير بإفريقية بنشر العلم، حيث كان على رأس البعثة العلمية التي أرسلها الخليفة عمر بن عبد العزيز إلى إفريقية لتفقيه أبناء المغرب.أنظر، ابن الأثير: الكامل، ج4،ص40 . وابن عذاري: البيان،ج1،ص 45.

(2) لم أقف على هذا الحديث في المصادر الأصلية.

(3) ابن عساكر: تاريخ ابن عساكر، مطبعة روضة الشام، 1330ه، ج2، ص308.

(4) المالكي: الرياض، ج1، ص 318. والدمنة في النص مستشفى القيروان.

(5) ابن سحنون: كتاب آداب المعلمين، ص37-38.

ويدلّ إنتشارها في المدن هذا الإنتشار الواسع أنّ تعدادها كان كبيرا، حتى أنها تعددت في الحارة الواحدة مثلما تعددت المساجد في الحارات(1).

وكما إنتشرت الكتاتيب في المدن، فقد إنتشرت أيضا في القرى، حيث تصدر أسد بن الفرات لوظيفة التعليم وأقرأ القرآن بقرى وادي مجردة بتونس(2).

ومن الذين ساهموا في النشاط التعليمي في الكتاتيب، نذكر أبو علي شقران بن علي الهمذاني (ت168هـ-784م) الذي كان من فقهاء إفريقية، وكان يقوم بتعليم التلاميذ في كتاب منسوب إليه في القيروان(3).

كما كان حسنون الدباغ المعروف بإبن زبيبة- السابق ذكره-، والذي كان معاصرا لسحنون وابنه محمد، يُقرئ القرآن، وكان له كتاب بالقيروان في أواسط القرن الثالث للهجرة/ التاسع للميلاد(4).

وكان الفقية أبو إسحاق الجبنياني " يعلّم القرآن، وكان يعلّم اليتامى والفقراء إحتسابا لوجه الله عز وجل"(5)، أي أنه كان هناك نوعا من التعليم يضطلع به بعض الفقهاء تطوعا لتلاميذ معوزين.

وكان المؤدب محرز بن خلف بن أبي رزين يشتغل بتربية الصبيان وتعليمهم العربية وأصول الدين، و تهذيب أخلاقهم بالفضائل والمكارم، حتى لقّب " بالمربي محرز ".

ومن عنايته بتربية تلاميذه أن كاتب عالم إفريقية في وقته عبد الله بن أبي زيد القيرواني يطلب منه أن يحرر له موجزا في الضروري من أمور الدين، فكتب عبد الله بن أبي زيد إليه "

---

(1) ابن سحنون: المصدر السابق، ص 38.

(2) أبو العرب: طبقات علماء إفريقية، ص 163.

(3) ابن سحنون: المصدر السابق، ص 60.

(4) أبو العرب: المصدر السابق، ص141.

(5) عياض: المدارك، ج4، ص515.

الرسالة " المشهورة التي يقول في مقدمتها: " أما بعد، أعاننا الله وإياكم على رعاية ودائعه، وحفظ ما أودعنا من شرائعه، فإنك سألتني أن أكتب لك جملة مختصرة... وجمل من أصول الفقه وفنونه على مذهب مالك بن انس –رحمه الله تعالى – لما رغبت فيه من تعليم ذلك للولدان، كما تعلّمهم حروف القرآن ...فأجبتك إلى ذلك لما رجوته لنفسي ولك من ثواب من علم دين الله...."[1].

ويمكن أن نستخلص من إشارة كل من المالكي ومحمد بن سحنون وأبي العرب حول إنتشار هذه الكتاتيب، في مدن وقرى إفريقية، أنها كانت تعد بالعشرات.

ولم ترد أسماء لهذه الكتاتيب إلاّ ما إشتهر منها ونسب إلى أصحا ا، كالكتاب الذي بناه العالم أبو علي شقران بن علي الهمذاني- السالف الذكر- بالقيروان ونسب إليه ، أو كتاب العالم حسنون الدباغ – السالف الذكر- الذي أسسه بالقيروان، نبرزهما – أي الكتابين- في الجدول الآتي:

اسم الكُتّاب	مؤسسه
كتاب أبو علي شقران	أسسه أبو علي شقران ابن علي الهمذاني بالقيروان
كتاب حسنون الدباغ	أسسه حسنون الدباغ المعروف بابن زبيبة في أواسط ق 3هـ بالقيروان.

---

[1] ابن أبي زيد: الرسالة، ص14-16. ومحمد بن سحنون: المصدر السابق ،ص 68.

والكتاب هو عبارة عن بناء بسيط واسع مفروش بحصير أو ما شا ه " يجلس عليه الصبيان متربعين حول المعلّم الذي يختص بسرير وكرسي مرتفع، وربما عوض الكرسي بمصطبة مبنية ليس عليها من الرياش سوى بساط بسيط " [1].

وقد إختصت الكتاتيب في بادئ الأمر بتعليم القراءة والكتابة، وتعليم اللغة العربية، خاصة للمغاربة و أبنائهم، الذين كانوا بحاجة إلى هذه الأساسيات في التعليم، قبل إنتقالهم إلى تعلّم القرآن والعلوم الأخرى، إلى جانب تعلّم جملة من أصول الفقه وفنونه، وغالبا ما كان ذلك على مذهب مالك بن أنس[2].

و لإبراز دور الكتاب في التربية والتعليم، نورد نصا للفقيه والمؤرخ القابسي جاء فيه: " أن من واجب أمير المسلمين تعليم أولادهم القرآن و إتيا م المعلّمين، لأنّ تعليم الولد القرآن يوكّد له معرفة الدين، و أما إن كان للولد مال، فلا يدعه أبوه أو وصيه- إن كان قد مات أبوه- فليدخل الكتاب ويؤجر المعلّم على تعليمه القرآن من ماله حسب ما يجب. فإن لم يكن لليتيم وصي نظر في أمره حاكم المسلمين، وسار في تعليمه. و إن كان ببلد لا حاكم فيه، نظر له في مثل هذا. فالنظر في هذا اليتيم من مصالح البلد. و إن لم يكن لليتيم مال، فأمه أو أولياءه الأقرب، فالأقرب به، هم المرغّبون في القيام به في تعليم القرآن. فان تطوع غيرهم يحمل ذلك عنهم ، وكان له أجره. و إن لم يكن لليتيم من أهله من يعني به في ذلك، فمن عني به من المسلمين فله أجره، و إن احتسب فيه المعلّم فعلّمه لله عز وجلّ، وصبر على ذلك فله أجره عند الله " [3].

---

(1) ابن سحنون : المصدر السابق، ص 55.

(2) ابن أبي زيد: الرسالة ، ص 14-16. وابن سحنون: كتاب آداب المعلمين، ص68.

(3) القابسي: الرسالة المفصلة لأحوال المتعلّمين، ص 266.

فالمعلّم يستطيع أن يحمل عن الآباء مهمة تعليم أبنائهم تطوعا. ولكن لو انتظر من يتطوع لتعليم القرآن للأولاد، لتخلّف كثير منهم في تعلّمه[1].

وتلك دلالة على أنّ التعليم كانت له أهمّية قصوى. وهكذا يبدو أنّ الإنفاق على التعليم كان من قبل أولياء الأبناء، فهم الذين كانوا يتحملون عبء دفع أجر المعلّم. أما التلاميذ الأيتام والمعوزين، فإنّ الدولة هي التي كانت تتحمل مسؤولية تربيتهم وتعليمهم.

ويرى الباحث عبد الرحمن حجازي أنّ الخطة التعليمية التي وضعها محمد بن سحنون عن طريق كتابه –آداب المعلّمين – قد مكّنت الجميع من إرسال أبنائهم إلى الكتاتيب، ما داموا يدفعون أجر التعليم حسب إمكانيا م [2].

وينبغي لمعلّم الصبيان أن يكون موصوفا بالأخلاق الحميدة ومتمثّلا للآداب الإسلامية، حتى يكون نموذجا يقتدي به الأولاد في سلوكا م ومعاملا م.

وتزداد أهمّية سلوك المعلّم وتأثيره على الأولاد، كون المعلّم يبقى مع التلاميذ باستمرار في الكتاب، و طيلة فترة التعليم التي قد تمتد إلى بضع سنين[3].

و أما الطريقة التي يتبعها المعلّم في تعليم القرآن للأولاد، فتكون بقراءة الآية القرآنية من قبل المعلّم على مسامع الصبيان، ثم يقوم هؤلاء بترديدها حتى يحفظو ا (وهي نفس الطريقة التي ظلّت متبعة بمساجد وكتاتيب دول المغرب الإسلامية في العصر الحديث) .

---

[1] القابسي: المصدر السابق: ص269.

[2] عبد الرحمن حجازي: المذهب التربوي عند ابن سحنون، ط1، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، بيروت، 1986، ص 54.

[3] المرجع نفسه، ص67.

وبعد ذلك ينتقل المعلّم إلى آية أخرى، ويكتب التلميذ الآيات المطلوبة في لوح من الحجر أو اللّحاف أو العظام أو الجلود، ثم يقوم بحفظها، فإن حفظها محاها في إجانة ماء يلقي به في مكان فتبتلعه الأرض[1].

وفيما يخص أجر المعلّم الذي يأخذه لقاء تعليمه هؤلاء الصبية، فإنّ الإمام مالك بن أنس يجيز أخذ الأجر على تعليم القرآن، كما يجيز شرط الأجر، بدليل أنّ مالكا جاءه معلّم صبيان يشكو له أنّ الناس لم يعطوه كما كانوا يعطوه في السابق. فقال له مالك: " إذهب وشارط " ، فلما انصرف المعلّم، قال له – أي لمالك- بعض جلسائه: يا أبا عبد الله ، تأمره أن يشترط على التعليم؟ فقال لهم مالك: نعم فمن يمحط (أي يصلح) لنا صبياننا؟ ومن يؤد م لنا؟ لولا المعلّمون أي شيء كنا نكون نحن؟ [2].

وفي إعتقادنا أن أخذ الأجر على التعليم أصبح نتيجة حاجة المعلّم إلى ذلك الأجر، خاصة إذا كانت وظيفة التعليم المورد الوحيد الذي يقتات منه. وبذلك يجوز له أخذ الأجر إذا وفّى بشروط التعليم. و أما عن تعليم الفقه والفرائض، فكان الأب يستأجر من يعلّم ولده ذلك [3].

وكانت مواد التعليم عدا تعليم القرآن الكريم هي إعراب القرآن والشكل والهجاء والخط، والقراءة بالتوقيف والترتيل، والخطب و الأدب.

كما كان المعلّم يأمر التلاميذ بالصلاة ويعرفهم سننها، مثل ركعتي الفجر والوتر وصلاة العيدين والاستسقاء، كما كان يعلّمهم الحساب والشعر والغريب والعربية والنحو[4].

---

[1] د.محمد أسعد طلس: التربية والتعليم في الإسلام، طبعة بيروت، 1957م، ص 78.

[2] القابسي: الرسالة، ص 269.

[3] المصدر نفسه، ص 269-270.

[4] ابن سحنون: كتاب آداب المعلمين، ص112. والقابسي: الرسالة، ص 109-110.

وكان المعلّم لا يكتفي بالتعليم النظري للصلاة وسننها، بل كان يأمر التلاميذ بالتطبيق[1].

وتعتبر هذه الدراسة في الكتاتيب دراسة إبتدائية، أما الدراسة الأرفع فقد كانت تتم في المساجد.

وقبل الشروع في إستجلاء ظروف التعليم في هذه المؤسسة، ينبغي استكمال مناحي التعليم في الكتاتيب بالتطرق إلى سلطة المعلّم على الصبيان في الكتاب. فقد كان المعلّم يلجأ إلى تأديب الصبيان إذا خالفوا نظام الكتاب أو أهملوا دروسهم، ففي هذه الحالة فإنّ ابن سحنون يجيز التأديب، و يقصد به الضرب. و يحصر ضرب الصبي في شرطين، الأول أن يكون الهدف من وراء التأديب المنفعة، و قد حدد التأديب أو ضرب الصبي المخالف بثلاث درر[2]، لذلك لا بأس أن يضر م المؤدب و لا يتجاوز حد الضرب، و الشرط الثاني أن لا يقدم المعلّم على الضرب إلاّ بعد إذن من وليّ الأمر "و لا يجاوز بالأدب ثلاثا إلاّ أن يأذن الأب في أكثر من ذلك إذا آذى أحدا"[3].

و يلجأ المعلّم إلى الضرب كوسيلة أخيرة من وسائل التأديب، إذا لم تجد الإصلاحات المعنوية نفعا، و يشترط في التأديب الجسدي مراعاة بعض الأمور، منها أن يتولّى المعلّم تأديب الطفل بنفسه، و"لا يولّي أحدا من الصبيان الضرب نيابة عنه"[4]، لأنّ الصبي قد يقدم على الضرب إنتقاما، و المعلّم يفعل ذلك من أجل الإصلاح و التقويم، و من منطلق كونه بمثابة الأب للصبي. كما أنه يشترط في المعلّم أن لا يقدم على ضرب الصبي و هو غاضب،

---

[1] ابن سحنون: المصدر السابق، ص 109.

[2] المصدر نفسه، ص109.

[3] المصدر نفسه، ص89.

[4] المصدر نفسه، ص98.

لأنّ الغضب لا يتماشى مع طرق التأديب، لذلك يشترط سكون غضب المعلّم قبل مباشرة التأديب الجسدي[1].

و يرمي محمد بن سحنون من وضعه خطة التعليم الإبتدائية في الكتاتيب، إلى إرساء منهج تربوي مبني على قيم الثقافة العربية الإسلامية، و جعله يتلاءم مع روح التربية الإسلامية الهادفة إلى ربط الإنسان بثقافته و قيمه الروحية.

2 .المساجد:

يعد المسجد في الإسلام محور الحياة الدينية و الإجتماعية و السياسية، إذ هو مكان للعبادة و التربية و التعليم، و مكانا للتقاضي بين الناس.

كما يعتبر مكانا يجتمع فيه المسلمون للتباحث في أمور دينهم و دنياهم، إضافة إلى كونه مركزا للدعوة إلى الإسلام. و المسجد في الإسلام هو مؤسسة تعليمية قائمة بذا ا، في جانبه التربوي.

فكان أول عمل قام به الرسول - صلّى الله عليه وسلّم – بعد هجرته من مكة إلى المدينة، هو بناء المسجد النبوي الشريف، وهو ثاني مسجد يقام في الإسلام بعد مسجد قباء بالقرب من المدينة المنورة، فقد ذكر المؤرخ ابن سعد في طبقاته أنه لمّا "بركت ناقة رسول الله صلّى الله عليه و سلّم، عند موضع مسجد رسول الله صلّى الله عليه و سلّم، و هو يومئذ يصلي فيه رجال من المسلمين و كان مربدا[2]لسهل و سهيل، غلامين يتيمين من الأنصار، و كانا في حجر أبي أمامة أسعد بن زرارة، فدعا رسول الله، صلّى الله عليه وسلّم، بالغلامين فساومهما بالمربد ليتخذه مسجدا، فقالا: بل به لك يا رسول الله، فأبى رسول الله صلى

---

(1) عبد الرحمن حجازي: المذهب التربوي عند ابن سحنون، ص81.

(2) المربد: هو كل شيء حبست به الإبل و الغنم، أنظر، ابن منظور: لسان العرب، تحقيق عبد الله الكبير و محمد أحمد حسب الله و هاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، د.ت، ج2 ص.1556

الله عليه وسلّم، حتى ابتاعه منهما، و كان جدارا مجدرا ليس عليه سقف، و قبلته إلى بيت المقدس"[(1)].

و تتحدث النصوص التاريخية بأن الرسول- صلّى الله عليه و سلّم – شارك في بناء مسجده بالمدينة المنورة لكي يرغّب المسلمين في بناء المساجد. فكانت مشاركته –صلّى الله عليه و سلّم – مع الصحابة و المهاجرين و الأنصار في بناء مسجده سنة يتبعها المسلمون من بعده لبناء المساجد.

لذلك نجد الخلفاء و الصحابة و الحكّام قد حذوا حذو رسول الله – صلّى الله عليه و سلّم – فأقدموا على تأسيس المساجد.

وكان لأهمية المسجد في حياة المسلمين، أن صحبه المسلمون عندما خرجوا من الجزيرة العربية إلى العراق و فارس و الشام و مصر و بلاد المغرب، و غيرها من البلدان الأخرى التي نشروا فيها الإسلام، إذ كان المسجد في الغالب هو البناء الأول الذي يبدأون به عندما يؤسسون المدن و القرى و المعسكرات[(2)].

لذلك لمّا توطّد الفتح الإسلامي لبلاد المغرب، إتجهت أنظار الفاتحين إلى بناء المساجد لنشر الإسلام و تعليم أهل المغرب مبادئ الدين الجديد. و هكذا وجدت كثير من المساجد التي بناها أصحا ا لتأدية الصلاة و ممارسة التعليم. فقد بنى عقبة بن نافع الفهري جامعه الكبير بالقيروان، و جعله ثكنة و مدرسة و جامعا[(3)].

---

(1) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج1 ص239

(2) د.رابح تركي: رسالة المسجد في ا تمع الإسلامي، مجلة حوليات جامعة الجزائر، عدد1، 1986-1987، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص71.

(3) البكري: المغرب في ذكر بلاد إفريقية و المغرب، ص22. و المالكي: الرياض، ج1 ص12.و حول مسجد القيروان، أنظر كذلك: G. marçais: manuel d'art musulman du 19eme au 20 eme siècle. Paris, 1926, p.15-39.

و استمر هذا المسجد في القيام بوظيفته التعليمية كمركز أساسي بإفريقية من سنة 51هـ-555هـ/671م-1160م، حيث انتقل التعليم الرسمي إلى جامع الزيتونة بتونس[1].

ثم توالت حركة بناء المساجد من قبل هؤلاء الفاتحين و التابعين، و منها مسجد "الرباطي" الذي بناه أبو عبد الرحمن عبد الله بن يزيد المعافري الإفريقي (ت100هـ/718م)[2]، و جامع "الزيتونة " الذي بناه إسماعيل بن عبيد الأنصاري المعروف بتاجر الله (ت107هـ/725م) سنة 93هـ/711م[3]،و اختص بمجالس الذكر و العلوم الفقهية التي كان يلقيها الفقهاء التابعون فيه.

و هناك مسجد الفقيه أبي ميسرة أحمد بن بزار الزاهد، و قد بناه بعض التابعين ثم جدده الفقيه حسن بن محمد بن واصل التميمي[4]، و لاشك أنه كانت تقام فيه حلقات العلم و الذكر. إضافة إلى مسجد أبي عبد الرحمن الحبلي (ت100هـ/718م)، و مسجد حنش بن عبد الله الصنعاني و مسجد علي بن رباح اللخمي و مسجد السبت الذي يعرف بمسجد الدمنة لأبي محمد صالح الأنصاري الدمني، و كان يجتمع في هذا المسجد الصلحاء و القراء و الحفّاظ، يكونون حلقة علم يتدارسون فيها علوم القرآن "كل يوم سبت من أول النهار إلى الزوال"[5].

---

(1) عثمان الكعاك: محاضرات في مراكز الثقافة في المغرب، ص13. و حول تأسيس مسجد القيروان و تعاقب الحكام و الأمراء على ترميمه، أنظر: أحمد فكري: مسجد القيروان، مطبعة المعارف، مصر، 1936م، ص22.

(2) حسين مؤنس: فتح العرب للمغرب، ص296.

(3) الدباغ: المعالم، ج1 ص25.

(4) المصدر نفسه، ج1 ص 28.

(5) المصدر نفسه، ج1 ص28. و يعرف هذا المسجد الآن بمسجد العربي لرجل يقال له محمد العربي، كان يقوم برعايته و يأتي الناس إليه –أي إلى قبر أبي محمد الأنصاري-، أنظر: ابن ناجي: المصدر نفسه، ج1 ص 2-29.

كما يذكر الدباغ مسجد الخميس الذي بناه إبراهيم بن المضاء[1]، و كان يجتمع بهذا المسجد الصلحاء و القراء "كل يوم خميس من العصر إلى الليل"[2].

و قد أخذ كثير من المغاربة العلم عن هؤلاء التابعين الذين قامو ببناء هذه المعاهد (المساجد)، خص بالذكر منهم المؤرخ المالكي بكر بن سوادة الجذامي (ت128هـ/745م) و عبد الرحمن بن زياد الذي تفقّه على يد إسماعيل بن عبيد الأنصاري الذي بنى جامع الزيتونة بتونس[3].

و يبدو أنّ هؤلاء التابعين الذين بنوا هذه المساجد و درسوا بها، كانوا على درجة كبيرة من العلم، حيث قصدهم طلاّب العلم من شتى نواحي إفريقية، و حتى من خارجها، فقد روي "أنّ عمران بن عوف الغافقي من مصر أخذ العلم عن إسماعيل بن عبيد"[4] السالف الذكر.

و أما نظام حلقات الدروس التي كانت تقام في تلك المساجد، فقد كانت كل مجموعة من الطلاب تكون حلقة علمية يجمعهم أستاذ أو فقيه و يلقي عليهم درسا في الفقه أو التفسير أو الحديث، أو درسا في النحو و علوم اللّغة.

و قد تكون هنالك عدة حلقات في المسجد الواحد، حيث يختص كل فقيه أو أستاذ بإعطاء درس في مجال اختصاصه على مجموعة من الطلاب، فقد كان لأبي إسحاق بن إبراهيم بن أحمد السبائي (ت356هـ/966م) مجلس[5].

---

(1) هو إبراهيم بن المضاء بن طارق الأسدي، و هو قيرواني، و سمع من سحنون، عياض: المدارك، ج3 ص130.

(2) الدباغ: المعالم، ج1 ص29. و لم أقف على تاريخ وفاة العالم إبراهيم بن المضاء.

(3) المالكي: رياض النفوس، ج1 ص69. و يعد كل من بكر بن سوادة الجزامي و إسماعيل بن عبيد الأنصاري من الفقهاء التابعين العشرة الذين أرسلهم الخليفة عمر بن عبد العزيز إلى إفريقية. أنظر: المالكي: المصدر نفسه، ج1 ص99-117.

(4) المالكي: المصدر نفسه، ج1 ص69.

(5) عياض: ترتيب المدارك، ج3 ص 376-377.

كما كان لأبي العرب حلقة يدرس فيها[1]. و إن كانت المصادر لم تذكر مكان إنعقاد مجالس العلم أو حلقات الدرس، كما هو الحال لمس أبي إسحاق أو حلقة أبي العرب، فالغالب أنها كانت تقام بالمساجد، كما لا يستبعد أن تقام في بيت ذلك العالم أو ذلك الفقيه.

وكان للإمام سحنون أكبر حلقة عُرفت لأستاذ في ذلك الوقت، حتى أنّ المؤرخ ابن فرحون يذكر في ديباجه أنّ درسه كان يضم أحيانا سبعمائة طالب "انتفعوا بمجالسته"[2].

وكان لأبي سليمان ربيع بن عطاء الله القطان حلقة يدرس فيها الفقه بجامع القيروان يحضرها بعض العلماء منهم العالم أبو القاسم بن شبلون[3].

و هكذا كانت حلقات العلم التي تقام بالمساجد ميزة و طريقة متبعة في التحصيل و التفقه في شتى مناحي العلوم، إلى أن تطور التعليم و أصبحت له مؤسسات و معاهد وفق مناهج محددة خاصة به، في العصور اللاحقة.

---

(1) ابن ناجي: المصدر السابق، ج3 ص35-36. و عياض: المصدر السابق، ج3ص326.

(2) ابن فرحون، الديباج، ص164 و M.VENDERHEYDEN. LA Berberie orientale.p.138.

(3) عياض، المصدر السابق، ج3 ص324.

و قد أحصيت تسعة مساجد بنيت على أرض إفريقية موضحة وفق الجدول التالي:

إسم المسجد	مؤسّسه
- الجامع الكبير بالقيروان.	أسسه عقبة بن نافع و جعله ثكنة و مدرسة و جامعا.
- مسجد الرباطي.	بناه أبو عبد الرحمن عبد الله بن يزيد المعارفي الإفريقي.
- جامع الزيتونة.	بناه إسماعيل بن عبيد الأنصاري.
- مسجد الفقيه أبي ميسرة.	بناه بعض التابعين و جدده الفقيه. حسن بن محمد بن واصل التميمي.
- مسجد أبو عبد لرحمن الجبلي.	بناه أبو عبد الرحمن الجبلي و أخذ إسمه.
- مسجد حنش بن عبد الله الصنعاني.	بناه حنش بن عبد الله الصنعاني و أخد إسمه.
- مسجد علي بن رباح اللخمي.	بناه علي بن رباح اللخمي و أخذ إسمه.
- مسجد السبت (الدمنة).	بناه أبي محمد صالح الأنصاري الدمني
- مسجد الخميس.	بناه إبراهيم بن المضاء.(1)

و الملاحظ على هذه المساجد أنها بنيت قبل تأسيس الدولة الأغلبية، لكن معظمها ظلّت تؤدي رسالتها الدينية و العلمية في الفترة الأغلبية، كمسجدي القيروان و الزيتونة.

(1) المصادر: الدباغ: معالم الإيمان، ج1. و ابن ناجي: المصدر نفسه.

3الرّباطات:

الرباط بمعناه اللّغوي هو الثّبوت و اللّزوم، و ربط النفس على الأمر، أي تثبيتها عليه و إلزامها إياه، و معناه الشرعي ملازمة الثغور و الثبوت ا، و فرائضه النية و الزاد الحلال و العدة و المعقل[1].

و يمتاز المغرب الإسلامي بأنه بلد الرباط، إذ أنّ ساحله كان كلّه معرضا للغارات البحرية الآتية من القسطنطينية و جنوب إيطاليا و سردانية، فاعتبر المسلمون الساحل ثغرا يعد الرباط فيه جهادا في سبيل الله[2].

و كانت سواحل إفريقية أكثر تعرضا للخطر من غيرها لقر ا من مصادر الغارات، فوجدت الربط على ساحلها عند سوسة و تونس و المنستير، و كان المرابطون يقومون فيها بحراسة المسلمين و التعبد لله[3]. و من تونس إنتشرت الرباطات فيما بعد على الساحل المغربي كله، و أصبح الرباط مع الزمن نظاما عسكريا دينيا تحددت أصوله و قواعده شيئا فشيئا[4].

والرباط هو عبارة عن ثكنة تتكون من حصن و من عشرات الغرف المفردة حوله، و طبقات تعلو جوانبه و تنتهي بجامع كبير و مئذنة مستديرة ، كما يعد مدرسة لتلقين العلم للنساء و الرجال[5].

(1) محمد مفتاح: مفهوم الجهاد و الإتحاد في الأدب الأندلسي، مجلة عالم الفكر، عدد 1، مجلد 12، أبريل، الكويت، 1981م، ص183.

(2) H.R. IDRIS, contribution à l'histoire de l'Ifriquia, extrait de la revue des études islamiques, paris. 1936. p. 239.

(3) حسين مؤنس: مقدمة كتاب رياض النفوس، ص 25.

(4) المرجع نفسه، ص25.

(5) عثمان الكعاك: مراكز الثقافة، ص 16-17.

و قد عرفت الربطات إنتشارا واسعا في العصر الأغلبي، و كان الرباط المشهور هو رباط المنستير الذي أسسه الوالي هرثمة بن أعين سنة 180هـ/269م[1].

وقد بنى الأغالبة عددا كبيرا من الرباطات، و ذلك لدورها في التعليم، و في حماية الحدود البحرية من ضربات البيزنطيين و النورمان. فقد كان الساحل كلّه من طبرقة إلى طرابلس محاطا بالرباطات، و منها رباط "قصر الطوب" الذي أنشئ سنة 206هـ/821م في عهد زيادة الله الأول، من قبل رجل إسمه مسرور[2].

و كان هذا الرباط، إضافة إلى ما كانت تدور فيه من مجالس العلم لكثرة العلماء فيه، فقد كانت تنطلق منه السفن إلى صقلية[3].

و في كتاب رياض النفوس للمالكي إشارة واضحة إلى نشوء الرباطات و تطورها خلال القرون الثاني و الثالث و الرابع للهجرة/الثامن و التاسع و العاشر للميلاد، و ما كان يعقد ا من مجالس العلم.

فعندما نشأت الرباطات عند ساحل تونس، أقبل عليها الفقهاء و العلماء أمثال عبد الخالق المتعبد و حفص بن عمر الجزري الذي كان يقيم مع طائفة من الصالحين بجزيرة شريك[4]،و عبد الرحيم بن عبد ربه الزاهد الذي بنى "قصر زياد" ورابط فيه، و أبي السرى واصل المتعبد "بقصر حمه" بالمهدية[5].

---

[1] عُين هرثمة بن أعين واليا على إفريقية من قبل الخليفة هارون الرشيد سنة 179هـ/795م، أنظر ابن الأثير: الكامل، ج6 ص96. و عن موقع رباط المنستير أنظر الخريطة في ص 231.

[2] M. VONDERHEYDEN, OP.CIT.P.118 .
و عن موقع رباط قصر الطوب، أنظر الخريطة ص 231

[3] IBID, P.118

[4] عرفها ياقوت بأ ا كورة بإفريقية بين سوسة و تونس، كان ا حصن أحمد بن عيسى القائم علي بن الأغلب، معجم البلدان، مجلد2، ص136.

[5] المالكي: رياض النفوس، ج1 ص327-334.

و لم تخل تلك الرباطات من مجالس العلم و الذكر، حيث كان بقصر زياد كثير من العلماء و العباد و الصالحين من أصحاب مالك بن أنس، منهم ثابت بن سليمان، و كان به من أصحاب سحنون أربعة عشر رجلا يرابطون فيه[1].

و من الذين وضعوا أسس الرباط و قواعده محمد بن عبد الكريم المسوحي الذي كان يتنقل بين الأربطة المجاورة لسوسة، و أبي زكرياء الهرقلي الذي كان يرابط على شاطئ البحر، و العالم بشير بن عمروس المتعبد بالمنستير الذي خرج إلى المشرق و رابط ردحا من الزمن في "طرسوس"[2]، و مكرم المتعبد كذلك بالمنستير و الذي يقول عنه المالكي أنه كان كثير الحرس[3].

و لتبصرة الناس بفوائد المرابطة في الثغور، و ترغيبهم في التعليم و الجهاد، فقد كان عبد المؤمن الجزري يمتطي جوادا، و يسير في شوارع القيروان يدعو الناس لملازمة الرباطات[4]، فكان لنداء الجهاد المقدس المفعم بالحماس الديني في القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي، دورا بارزا في كسب معركة صقلية، و اعتبر أسد بن الفرات الذي قاد تلك المعركة، نموذجا للجندي المتفاني في ساحة المعركة، و العالم الفقيه في نفس الوقت[5].

---

(1) عياض: المدارك، ج3 ص259.

(2) المالكي: المصدر السابق، ج1 ص 414. و طرسوس هي الآن طرطوس و هي مدينة بثغور الشام بين إنطاكيا و حلب، أنظر ياقوت الحموي، المصدر السابق، مجلد 4 ص28.

(3) المالكي: رياض النفوس، ج1 ص 334.

(4) M.VENDERHEYDEN. La Berberie orientale.p.119.

(5) IBID, P.119.

و قد أحصينا أربعة أربطة مشهورة عرفتها إفريقية في الفترة الأغلبية، نبرزها في الجدول الآتي:

إسم الرّباط	مؤسّسه
- رباط المنستير	أسسه والي إفريقية هرثمة بن أعين سنة 180هـ/796م
- رباط "قصر الطوب" بسوسة	أنشأه شخص يدعى مسرور سنة 20هـ/821م
- رباط "قصر زياد".	بناه عبد الرحيم بن عبد ربه الزاهد.
- رباط "قصر حمه".	يعزى إلى أبي السرى واصل المتعبد.


قرطبة
مالقة
جبل طارق
سبتة
طنجة
البحر المتوسط
مرسى الدجاج
المحيط الأطلسي
فاس
الأدارسة
تاهرت
الأغالبة
رباط تونس
رباط سوسة
رباط المنستير
القيروان
الرستميون
سجلماسة
بنو مدرار
الصحراء الكبرى
خريطة المغرب الإسلامي موضح عليها أهم الرُّبُط ومراكز العلم
الرُّبُط
مراكز العلم

و يتبين مما سبق أنّ هذه الرباطات التي أقيمت على ساحل إفريقية في العصر الأغلبي كان لها دور هام في التربية و التعليم، خاصة إذا علمنا أنّ جلّ ملازمي تلك الرباطات كانوا رجال علم ودين.

4 بيوت العلماء و الأمراء:

لم يقتصر التعليم في إفريقية على الكتاتيب و المساجد و الرباطات، بل كان يتم أحيانا في بيوت العلماء و قصور الأمراء، فقد كان بعض الفقهاء يتولّون تعليم بناتهن و ذويهن في البيوت، ومن هؤلاء القاضي عيسى بن مسكين (ت275هـ/888م) الذي "كان من سيرته في غير مدة قضائه، أنه كان إذا أصبح قرأ حزبا من القرآن، ثم جلس إلى الطلبة إلى العصر. فإذا كان بعد العصر دعا بنته و بنت أخيه يعلّمهن القرآن و العلم"[1].

كما كان أسد بن الفرات و الإمام سحنون يقومان بتعليم ابنتيهما اللّتين نالتا من العلم درجة كبيرة. و بفضل هذا النشاط التعليمي نبغت بإفريقية ثلّة من الأديبات الشهيرات، بلغ إلينا بعض أخبارهن، نخص منهن بالذكر –إضافة إلى خديجة بنت الإمام سحنون و بنت أسد بن الفرات المتقدمتين- الحافظة الكاتبة "فضل" مولاة أبي أيوب أحمد بن محمد. فقد وُجد مصحفا جليلا بخطّها يعود تاريخه إلى سنة 295هـ/907م، و رقوقه محفوظة بمكتبة جامع عقبة بن نافع بالقيروان[2].

و قد اعتنى كذلك أمراء بني الأغلب بتعليم الجواري في قصورهم، مثلما إهتمت نساء القصر بتعليمهن، فقد ورد في كتاب محمد بن سحنون أنّ الأمير إبراهيم الثاني بن أحمد بن الأغلب(261هـ-289هـ/875م-902م) دخل يوما إلى أمه أتراب، فقامت إليه و رحبت به و دعت بطعام، فتناول منه، فلما رأته إنبسط قالت:"إنّ عندي جاريتين أدبتهما لك و ادخر هما لمسرتك. و هما تحسنان القراءة بالألحان، فهل لك أن أحضرهما للقراءة بين

[1] عياض: المدارك، ج3 ص 227. و قد تولّى عيسى بن مسكين منصب القضاء في عهد الأمير الأغلبي إبراهيم بن أحمد بن الأغلب (261هـ- 289هـ/875م-902م).

[2] ابن سحنون: آداب المعلّمين، ص 38-39.

يديك؟ فقال: إفعلي، فأمرت بإحضارهما فحضرتا، فأمر ما بالقراءة، فقرأتا أحسن قراءة، فقالت له: فهل ترى أن تنشداك الشعر؟ فقال: نعم، فأمر ما ففعلتا..."[1].

و كانت الأميرة الأغلبية مهرية بنت الحسن بن غلبون التميمي، التي نشأت في أواسط القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي بمدينة رقّادة بتونس، فقد تلقّت العلوم مع زميلا ا في ذلك العصر، حتى أتقنت العربية و نبغت في القريض، فاشتهرت في زما ا بالأدب، و من شعرها ترثي أخاها الأديب عقال هذه الأبيات:

لـيـت شـعـري ما الـذي عـانيته   بـعد طـول الصوم مع نقـي الوسـن

مع غـروب النـفس علـى أوطـا ـا   و التخـلّـي عن حـبيـب و سكـن

يـا شقـيق ليـس في وجـد بـ ـ ـه   غـلّـة تـمنـعنـي مـن أن أجـن

و كـمـا تبـلى وجـوه فـي الثـرى   فـكـذا يبـلـى علـيهـن الحـزن

وكان أخوها هذا قد مات غريبا عن الوطن سنة 291هـ/903م)[2].

كما وجدت معلّمات من فضليات النساء كان يهذّبن و يعلّمن الجواري و البنات المقصورات في الدور و القصور في كل عصر من العصور[3].

و إذا كانت المصادر قد سكتت عن ذكر مصادر تمويل هذه المؤسسات التعليمية، فالمرجح أنها كانت تتمول ذاتيا من مساهمات الطلبة و أوليائهم، و حتى أجور المعلّمين كانت على عاتق أولياء التلاميذ، مما يبين أنّ المهمة التعليمية لتلك المؤسسات اضطلعت ا

---

[1] ابن سحنون: المصدر السابق، ص 40-41.

[2] الدباغ: معالم الإيمان، ج1 ص44. و ح.ح. عبد الوهاب: شهيرات التونسيات، ط2، مكتبة المنار، تونس، د.ت. ص49.

[3] ابن سحنون: المصدر السابق، ص 40_41

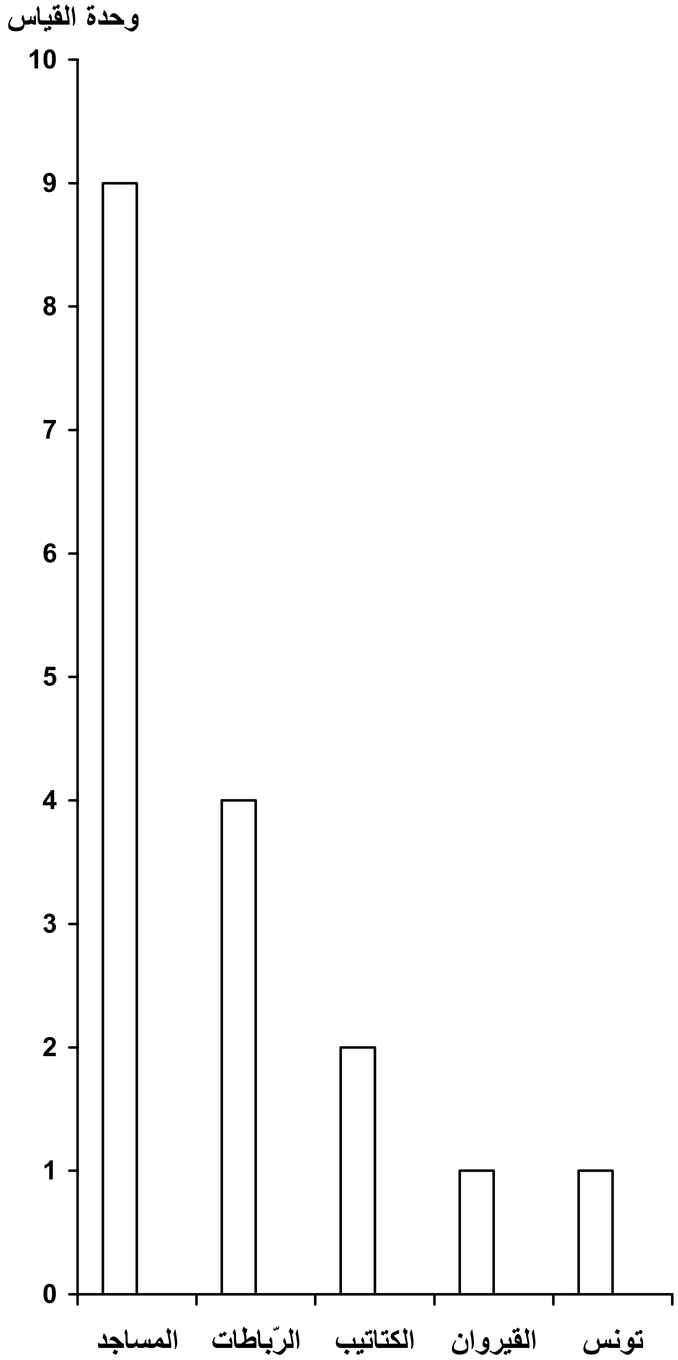
نخبة من العلماء بالدرجة الأولى، و يدعم كلامنا أنّ جلّ تلك المؤسسات من كتاتيب و رباطات و مساجد أُسست بمجهودات أصحا ا حتى أنها نسبت لهم.

و لكي تتوضح أكثر صورة هذه المؤسسات العلمية و التعليمية نبرزها في الجدول و الرسم البياني التاليين.

جدول عام للمراكز العلمية و التعليمية.

المراكز العلمية	المؤسسات التعليمية	
القيروان	الكتاتيب	02
تونس	المساجد	09
	الرباطات	04
ا موع:02	ا موع	15

رسم بياني للمراكز العلمية و التعليمية بإفريقية.



يتبين من هذا الرسم البياني أنّ المساجد كانت أكثر إنتشارا بإفريقية من المؤسسات الأخرى، لقيمة رسالة المسجد الدينية و العلمية في حياة الناس، وإقتداء الصحابة و الفقهاء المغاربة بالرسول –صلّى الله عليه و سلّم- حين هاجر من مكة إلى المدينة، حيث كان أول عمل قام به هو بناء المسجد.

ونستنتج مما سبق من هذا الفصل أنّ المؤسسات العلمية و التعليمية بإفريقية كانت منطلق العلوم التي ازدهرت في العصر الأغلبي، فكثير من العلماء و الفقهاء الذين إشتهروا و ذاع صيتهم ببلاد المغرب إنطلق مسارهم العلمي و الفقهي من المسجد و الرباط، قبل أن تؤسس المعاهد العلمية و المؤسسات الرسمية في الدولة الأغلبية كبيت الحكمة و معاهد الطب و الصيدلة.

الخاتمة

❖ خاتمة

ختاما لهذه الأطروحة أورد أهم النتائج التي توصلت إليها و منها:

بالرغم من إنتشار المذاهب الفقهية بإفريقية الأغلبية، كالمذهب المالكي و الحنفي و الشافعي و الظاهري، بفضل رحلة العلماء المغاربة إلى المشرق للأخذ عن أعلام تلك المذاهب، إلاّ أنّ معظم الأغالبة و المغاربة في سائر بلاد المغرب تمسكوا بالمذهب المالكي دون غيره من المذاهب الأخرى بفضل نشاط دعاته و منهجه في الإلتزام بالقرآن، و الإبتعاد عن التأويل، فلم يكن إنتشار هذه المذاهب الفقهية بنفس درجة إنتشار المذهب المالكي الذي تغلغل أكثر في أوساط المغاربة.

ومن شدة تمسك هؤلاء ذا المذهب أن وقفوا في وجه بعض القضاة الأحناف الذين عملوا على حمل المالكيين بالقول بالآراء الإعتزالية، التي كان يتبناها بعض الأمراء الأغالبة، و لاقى المالكيون في سبيل دفاعهم عن مذهبهم كثير من المضايقات و الأذى.

و أفضى وجود هذه المذاهب على أرض إفريقية إلى تنشيط الحياة الفكرية من قبل أعلام تلك المذاهب، بواسطة عقد مجالس المناظرات و الجدل و تأليف الكتب لدحض أفكار و آراء الأطراف المختلفة، و خاصة بين المالكيين و المعتزلة.

و أما عن دور علماء إفريقية في علم الفقه فقد تبين أنّ الفقهاء المالكيين كانوا يتحرون في إصدار الفتوى متأسين بالإمام مالك، عكس بعض فقهاء المذهب الحنفي الذين كانوا يجارون الأمراء الأغالبة و يفتون لهم بالرخص، و غالبا ما كان هؤلاء من المكتسبين. و لم يراع هؤلاء الفقهاء الأحناف أصول المذهب الحنفي، و لم يعملوا وفق ما إنتهجه أصحاب أبي حنيفة الأوائل.

و في علم التفسير ظهر عدد من المفسرين الأغالبة، الذين ألّفوا كثيرا من كتب التفسير التي غلب عليها التفسير بالمأثور، لعلّ أهمها تفسير يحي بن سلام.

و يظهر أنّ شهرة مفسري إفريقية جعلتهم مرجعا لإخوا م المشارقة، فقد إعتمد المفسر الطبري على تفسير يحي بن سلام السابق ذكره.

و أما في الحديث فقد إعتمد فيه المحدثون الأغالبة على مدارس الحجاز و العراق و الشام و مصر، و ظهر حفّاظ للحديث بإفريقية نالت أسماؤهم شهرة ببلاد المغرب، تنم عن عنايتهم ـذا العلم.

و قد بلغ مجموع عدد العلماء الأغالبة في علوم الفقه و التفسير و الحديث ثمان و خمسون عالما.

و فيما يخص مظاهر النشاط العلمي، أعطت حلقات العلم التي كانت تعقد بالمساجد و بمنازل العلماء و الفقهاء، دفعا للحركة العلمية و خاصة الدينية منها التي شهد ا الساحة الأغلبية.

كما كانت المناظرات إحدى مظاهر النشاط العلمي الذي إستخدمه علماء المالكية للإنتصار للمذهب المالكي، في خضم مجادلا م مع أصحاب المذاهب الأخرى، و خاصة بعض الأحناف المرتبطين بالسلطة الأغلبية و المعتزلة.

و كانت حركة التأليف التي إضطلع ا فقهاء و علماء و أدباء إفريقية إحدى نتائج ا هودات التي طبعت الفكر الأغلبي في القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي.

ففي العلوم الشرعية بلغ الأغالبة أوج نضجهم فيها بتأليف الإمام سحنون للمدونة التي لاقت صداها حتى خارج إفريقية. و لأهميتها أقدم بعض العلماء على شرحها. و يمكن إعتبارها المصدر الأول بإفريقية لفقه الإمام مالك بالمغرب بعد موطأ هذا الأخير.

و في التفسير إستوعب المفسرون الأغالبة هذا العلم و نسجوا فيه على منوال المشارقة، فبرز فيه كثير من المفسرين، منهم المفسر الأغلبي يحي بن سلام الذي يعد أشهر مفسر عرفته إفريقية.

و قد بلغ الأغالبة شأوا في تفسير القرآن الكريم حين إهتموا بالتفسير اللغوي للقرآن، و منهم يحي بن سلام –السالف الذكر- و أبو اليسر إبراهيم بن أحمد الشيباني و سعيد بن الحداد.

و أما في علم الكلام و الفلسفة فيستنتج منها أنّ المالكيين أبانوا عن مقدرة في الرد على مخالفيهم في الأفكار عن طريق التأليف، مثلما برعوا في الرد عليهم عن طريق الجدل و المناظرات، تترجمها تلك المصنفات التي وضعها أصحا ا في هذا ا ال، و منهم محمد بن سحنون الذي يعد أكثر من صنف الكتب الكلامية التي رد فيها على أفكار المعتزلة و أصحاب البدع و الأهواء.

كما ساهم نشاط العلماء الأغالبة الكلاميون في إرساء مدرسة الكلام الأغلبية في إفريقية.

و كان لهذا النشاط الكلامي دور في بروز فلاسفة كان لهم باع في الدراسات الفلسفية بإفريقية كسعيد بن الحداد و محمد بن سحنون و إسحاق بن سليمان الإسرائيلي.

و في ا ال اللغوي عرف القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي ظهور نحاة و لغويين أغالبة لموا من مدرستي البصرة و الكوفة و عن أعلامها كسيبويه و الكسائي. و قد ساهم هؤلاء النحاة و اللغويون في تأسيس مدرسة القيروان اللغوية.

وفي مجال الشعر إمتازت الفترة الأغلبية بظهور عديد من الشعراء الذين تفتقت مواهبهم الشعرية، بفضل دواوين العرب الشعرية التي جلبها معهم هؤلاء الشعراء أثناء رحلتهم إلى المشرق و التي عكفوا على دراستها. و القصائد التي وصلتنا عنهم و التي مست مختلف الأغراض الشعرية تدل على مدى تطور فن الشعر عندهم.

و أما في النثر فقد نبغ فيه الأدباء الأغالبة و طرقوا جميع أغراضه من وصف و قصة و رسالة و خطابة و نقد أدبي، متأثّرين في هذا الجانب بكتب فطاحلة الأدب العباسي ككتاب "الحيوان" للجاحظ و كتاب "الأدب الصغير" لابن المقفع.

و تعتبر المقطوعات النثرية القليلة التي حفظتها لنا المصادر المغربية مدى إستيعاب الأغالبة لهذا الفن.

و في ا ال الطبي يدين الأغالبة إلى الطبيب العباسي إسحاق بن عمران الذي يعود له الفضل في تأسيس المدرسة الطبية القيروانية.

و لم يترسخ الطب بإفريقية إلاّ في أواخر العصر الأغلبي بعد إنشاء مراكز تعليم الطب و الصيدلة، و قد تطور الطب بإفريقية في الفترة الأغلبية بشكل واضح، و ساهم فيه ثلّة من الأطباء كان على رأسهم الطبيب ابن الجزار الذي طبقت شهرته الآفاق ببحوثه العديدة التي كرسها من أجل إكتشاف أدوية جديدة.

و في ميدان التاريخ تبين لي أنّ المؤرخين الأغالبة طرقوا جميع التخصصات التاريخية من سير و مغاز و تراجم، معتمدين على مؤلّفات المشارقة في هذا الميدان، و ألّفوا الكثير من الكتب في هذه الموضوعات ذكرت في ثنايا المصادر المحلية، إلاّ أنّ معظمها ضاع و إندثر.

أما في مجال العلوم التطبيقية كالفلك و الكيمياء و الحساب، فلم تكن في مستوى إهتمام الأغالبة بالعلوم الدينية التي أولوها مكانة خاصة.

و رغم عدم شهر م في هذه العلوم إلاّ أ م ألمّوا ا. ففي علم الفلك توصل بعض العلماء إلى معرفة حساب مواقيت النجوم كالعالم إسماعيل بن يوسف الطلاء.

و في علم الحساب و إن لم يترك الأغالبة مصنفات في هذا العلم تضاهي المصنفات المشرقية ككتاب "الجبر و المقابلة" للخوارزمي. إلاّ أنه –أي علم الحساب- كان يدرس في الكتاتيب و استعمله الأغالبة في مجال الصيرفة و سك النقود.

و في علم الكيمياء توصل الأغالبة إلى إقامة صناعات كيميائية كصناعة الحبر و العطور، و الإستفادة من تجارب بعض العلماء في هذا ا ال، كالطبيب ابن الجزار الذي كان يقوم بتحضير الأدوية بالطرق الكيميائية.

وفي علم الجغرافيا إستفاد الجغرافيون الأغالبة من أعلام الجغرافيا المشارقة كابن خرداذبة و اليعقوبي، و جالوا في البلدان و العواصم، الشيء الذي مكّنهم من إكتشاف عوالم طبيعية و أثرية دونوها في كتبهم.

و قد توصلنا في هذا الفصل إلى إحصاء ثمان و خمسين كتابا في الفقه و ثمان و ثلاثين في التفسير و خمس و عشرين في الحديث و إثني عشر في الفلسفة و علم الكلام و تسعة في النحو.

كما أحصينا في العلوم العقلية سبع عشرة كتابا في الطب و إحدى عشر كتابا في التاريخ.

أما في العلوم التطبيقية فقد أحصينا كتابا واحدا في علم الفلك، و كتابين إثنين في علم الكيمياء و كتابا واحدا في علم الجغرافيا.

كما أحصينا لأعلام الفكر في العلوم العقلية و الأدبية و التطبيقية ستة أطباء مختصين و تقليديين، و ثلاث عشرة مؤرخا وثماني عشرة شاعرا و خمسة ناثرين و ثلاثة فلكيين و ثلاثة رياضيين و كيميائيين إثنين و أربعة جغرافيين.

و فيما يتعلّق بالمؤسسات العلمية و التعليمية التي عرفتها إفريقية، تبين أنها كانت رافدا و أساسا للعلوم التي برزت في العصر الأغلبي. فقد كانت القيروان مركزا إشعاعيا دينيا و ثقافيا قبل تأسيس الدولة الأغلبية، بما كانت تزخر به من علماء، و أصبحت مركزا ذائع الصيت ليس في المغرب و الأندلس فحسب بل حتى في المشرق.

أما المؤسسات التعليمية الأخرى كالكتاتيب و الرباطات و المساجد فكانت عبارة عن مؤسسات تعليمية إبتدائية في تلقين العلوم، فكان لها تأثير غير مباشر على الحركة العلمية التي عرفتها إفريقية في الفترة الأغلبية.

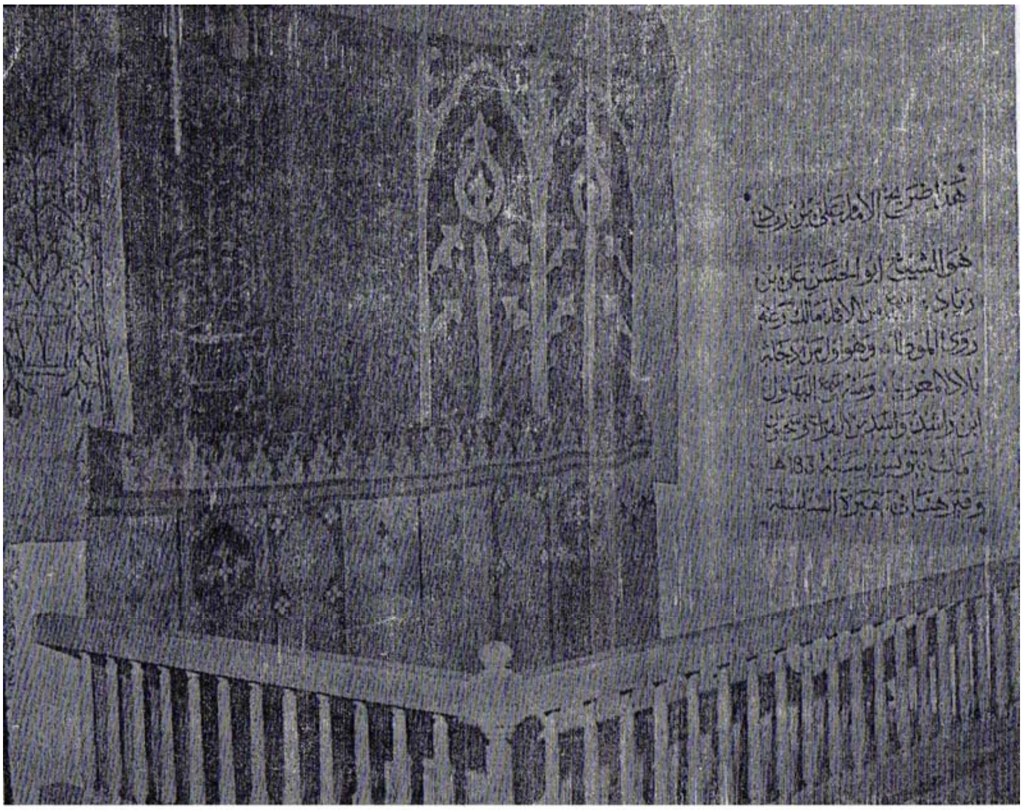
و قد بلغ مجموع هذه المؤسسات العلمية و التعليمية سبع عشرة مؤسسة منها كُتابين بإسم أصحا ما ضمن العشرات من الكتاتيب التي ذكرها كل من المؤرخ أبي العرب و الفقيه و المؤرخ محمد بن سحنون، و لم نقف على أسمائها، و تسعة مساجد و أربعة رباطات، بالإضافة إلى مركزي العلم بالقيروان و تونس.

و ختاما لما ذكرناه أشير هنا إلى أنّ الأغالبة تمكّنوا من الإلمام بمختلف العلوم التي كانت سائدة في عصرهم، و خاصة العلوم الشرعية، بفضل إحتكاكهم بعلماء المشرق و دراسة مؤلّفا م العلمية التي جلبوها معهم أثناء رحلتهم إلى مراكز العلم بالمشرق.

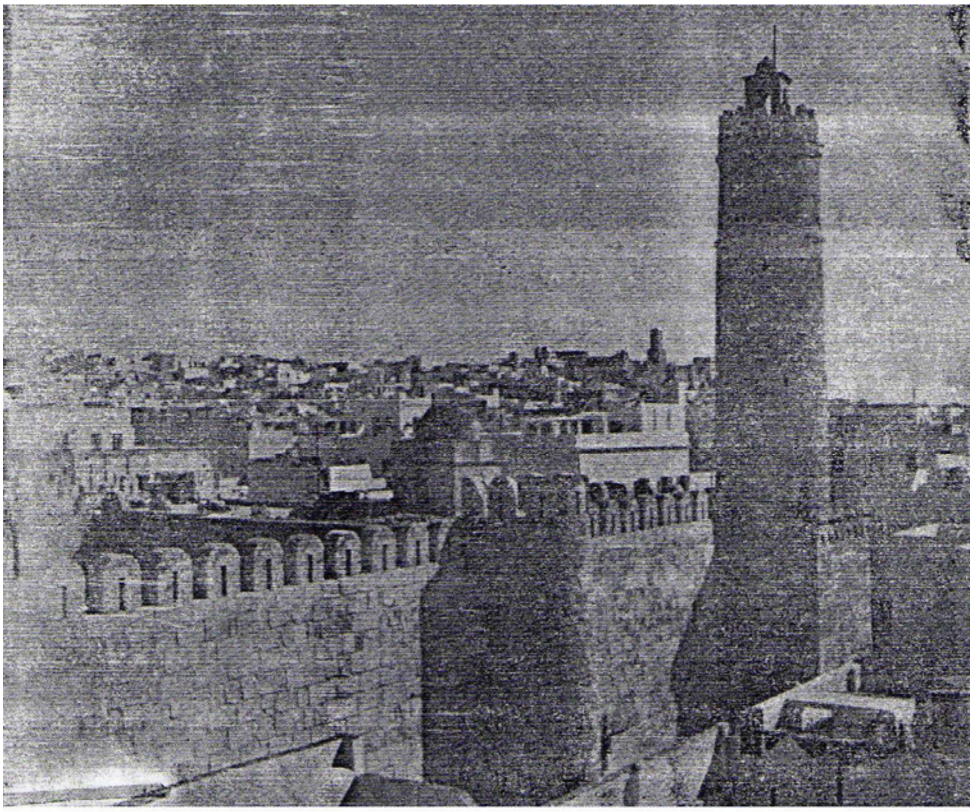
وقد استطاع علماء بني الأغلب بما خلّفوه من إنتاج علمي في مختلف العلوم، و الذي وقفنا على بعضه في مختلف المصادر، أن يسهموا في التراث العلمي و الفكري المشرقي الذي شهده العصر العباسي في القرنين الثاني و الثالث الهجريين/الثامن و التاسع الميلاديين، و لو حفظ –أي الإنتاج العلمي للعلماء الأغالبة- لأغنى المكتبة العربية و الإسلامية بتلك الكنوز.

الملاحق

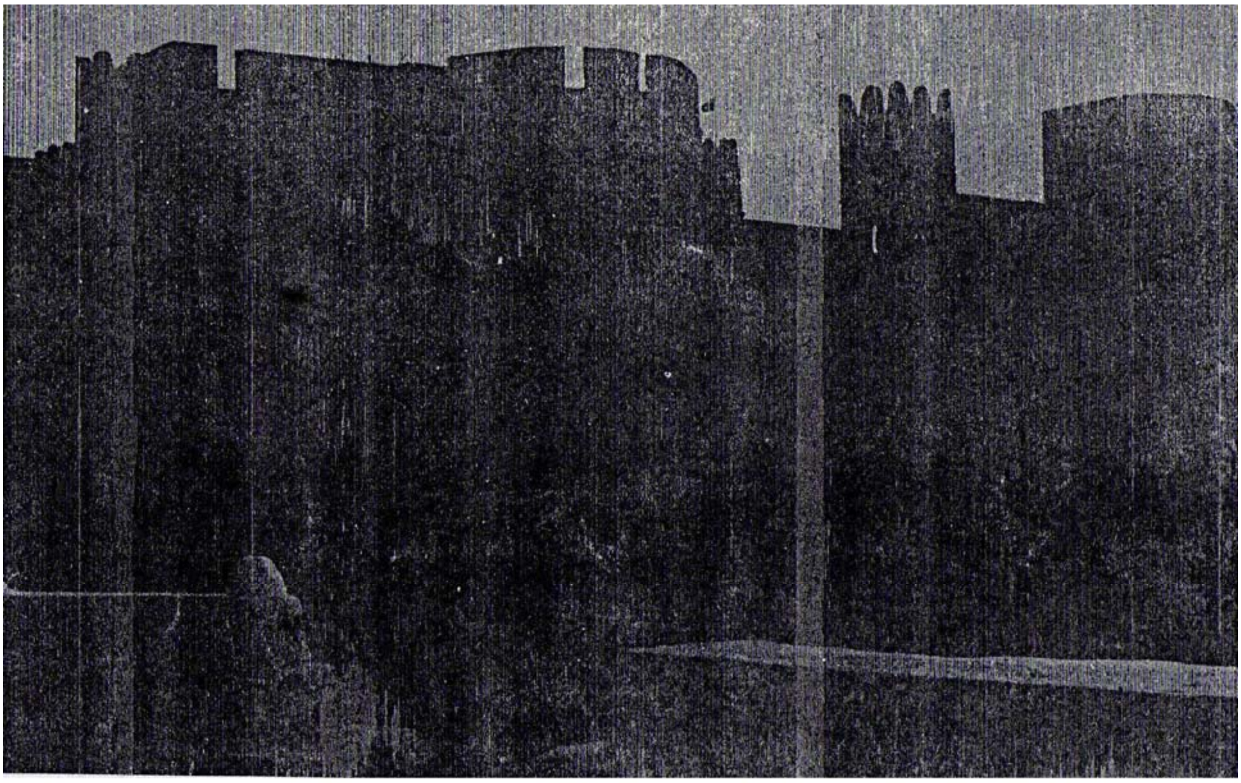
صور و نصوص



ضريح العالم علي بن زياد بتونس ـ واضع أسس المذهب المالكي بالمغرب.

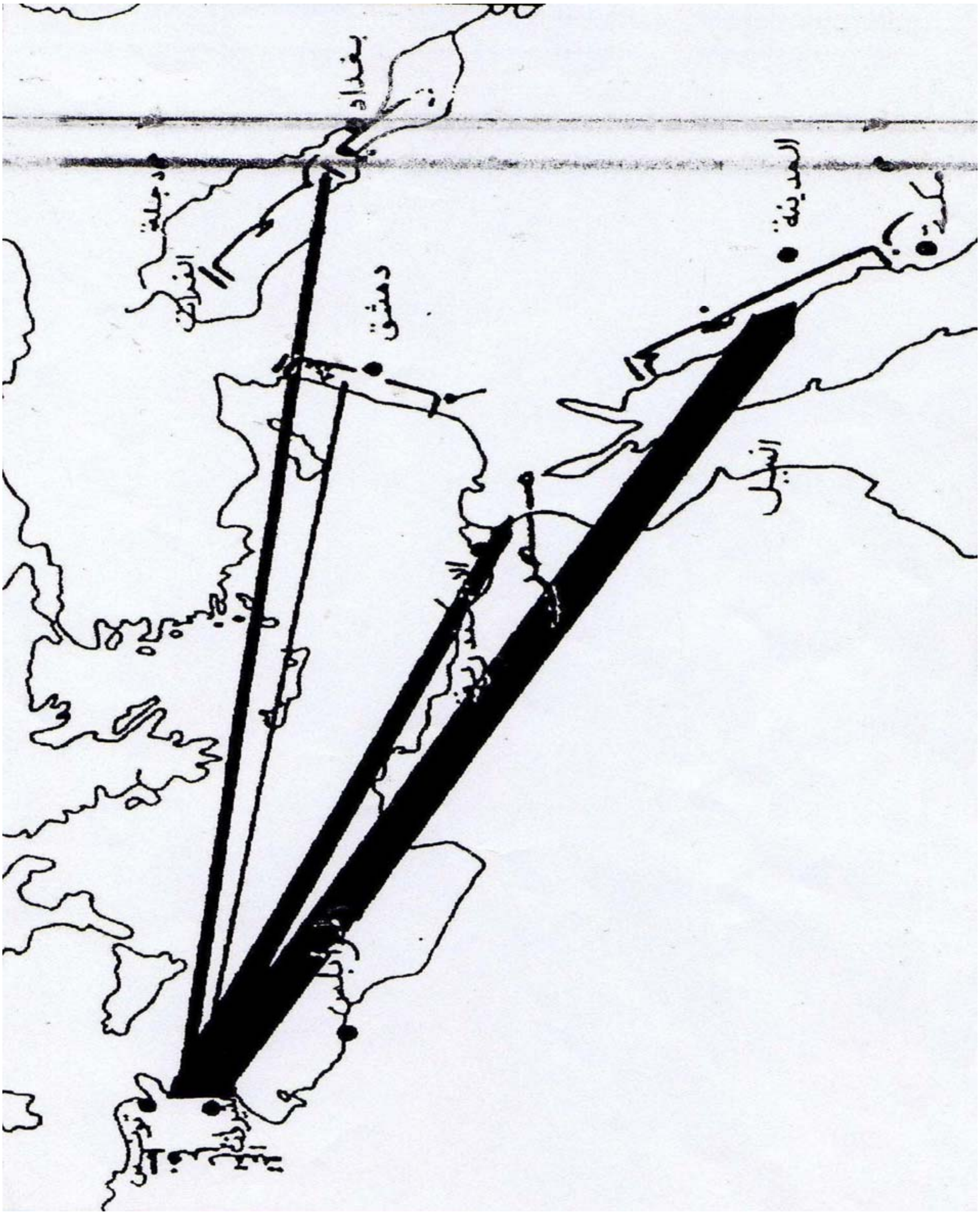


رباط سوسة



رباط المنستير

اتجاهات الرحلة العلمية الأغلبية إلى مراكز الثقافة العباسية



موعظة كتب ا محمد بن سحنون إلى أمير من أمراء بني الأغلب يقول فيها:

"أما بعد، فإني أوصيك و نفسي بتقوى الله الذي بطاعته نيلت معالي الأمور و ارتقى إلى شرفها، و أول ما آمرك به النظر لنفسك و معادك الذي تصير إليه، فلا دنيا امن لا آخرة له، و بحسن المنقلب بغبط المر فانظر لنفسك و خذ بعنا ا و أحبسها في كل أمر تنازعك إليه فعما قليل تذهب الدنيا و تأتي الآخرة، فلا ينفع نفسا إلاّ ما قدمت و لا يسوؤها إلاّ ما عملت، و قد كان يقال: إن خير الخلطاء و أنفع الخلاء المرشدون في المضلات، المذكرون في الغافلات، فأذكرك يوما هو منك قريب، ت ل فيه بساحتك ملائكة الرحمن، و قد أسلمك الأهل و الولدان، تعطي حيث لا يقبل منك، مسلوبا منك ما في يديك منه، مودعا في بطن الأرض، ثم بعد ذلك الطامة الكبرى: يوم مجموع له الناس و ذلك يوم مشهود، ثم ينشر لك كتاب فيه عملك مثاقيل الذّر و الخردل، فانظر كيف أنت عند ذلك، و قد قلدت أمرا عظيما، لكل الخلق فيك نصيب، قد اشترك فيك العدو و الصديق، فخلص نفسك من وثاقها بأن تملأ الأرض عدلا كما أمرك الله سبحانه،و اعلم أن الذي ملكك أمر عدوك، و أدال لك عليه، و أذله بين يديك، هو الله ربك و ربه، و إلهك و إله، و مالكك و مالكه يديل الأمور بينك و بينه في الدنيا، ثم يتولى الحكم بينك و بينه يوم القيام، فيأخذ منك له بمثاقيل الذر و الخردل. فانظر، رحمك الله و ايانا لنفسك نظر من يموت غدا ثم يحاسب بجميع ما قدم، و لا تملك نفسك عنا ا، و تمهل في أمرك، و آثر الله عز و جل عند غضبك، و اعمل في ذلك و كل أمرك بما يرضي اله سبحانه، فإنه يرضى عنك، و آثر رضي الله عز و جل على رضى عباده، و لا ترضى عباد الله بسخطه، فإ م لن يغنوا عنك من الله شيئا، و أنزل كتابي هذا منك بم لة من مرض أبوه، فهو يسقيه من الدواء ما يكره رجاء منفعة و هو به بار و عليه شفيق، و السلام عليك و رحمة الله و بركاته"

المالكي، رياض النفوس، ج1، ص448،447.

الفهارس

فهرس الأعلام

- أ -

- ب -

- ث -

- ج -

- ح -

- خ -

- س -

- ع -

- غ –

- ف –

- ق -

- ك –

- ل –

- م –

- ن –

- هـ -

- و –

- ي –

فهرس الاماكن والبلدان

- أ -

- ب –

- ت –

- ج -

- ح -

- خ -

- ش –

- ص –

- ط -

- ع –

- ف –

- ق –

- هـ -

- ي –

فهرس الفرق
و الطوائف

- أ -

- ق –

- ك –

- م –

240-239-238-203-151-150

فهرس المذاهب

فهرس الآيات القرآنية

رقم السورة و اسمها	الآية	رقم الآية	الصفحة
6- الأنعام	خالق كل شيء	102	68
7- الأعراف	ألا له الخلق و الأمر	54	68
7- الأعراف	لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذ م عذابا شديدا	164	114

ببليوغرافيا

أ- المخطوطات:

1. ابن سلام (أبو زكرياء يحي بن أبي معلبة):
تفسر يحي بن سلام القيرواني، نسخة مخطوطة بالمكتبة الوطنية بالحامة بالجزائر، مصورة على ميكروفيلم تحت رقم 5072.

ب- المصادر المطبوعة:

- القرآن الكريم:

1. ابن الأبار (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي):
الحلّة السيراء، تحقيق و تعليق حسين مؤنس، ط1، نشر الشركة العربية للطباعة و النشر، القاهرة، 1963م.
2. ابن الأبار (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي):
التكملة لكتاب الصلة، تحقيق عزت العطار، مطبعة السعادة، مصر، 1956م.
3. ابن الأثير (عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم الجزري):
الكامل في التاريخ، دار صادر للطباعة و النشر، بيروت، 1965م.
4. الإدريسي (أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله الحمودي):
المغرب و أرض السودان و مصر و الأندلس، مطبعة بريل، ليدن، 1866م.
5. ابن أبي أصيبعة (أبو العباس أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس السعدي):
عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ط1، المطبعة الوهبية، 1882م.
6. البكري (أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز):
المغرب في ذكر بلاد إفريقية و المغرب، نشر مكتبة أمريكـا و الـشرق، بـاريس 1965م.
7. البلاذري (أبو العباس أحمد بن يحي بن جابر):
فتوح البلدان، تحقيق عبد الله أنيس الطباع، دار النشر للجامعيين، 1957م.
8. التنوخي (سحنون بن سعيد):
المدونة الكبرى، طبعة دار صادر، بيروت، د.ت.

9. التهانوي (محمد أعلى بن علي):
كشاف اصطلاحات الفنون، كلكتا، 1863م.
10. ابن الجزار (أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن أبي خالد):
زاد المسافر و قوت الحاضر، المقالات الثلاث الأولى، تحقيق محمـد سويـسي و د. راضي الجازي، ط1، الدار العربية للكتاب، 1986م.
11. ابن الجزار (أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن أبي خالد):
سياسة الصبيان و تدبيرهم، تحقيق محمد الحبيب الهيلة، طبعة الدار التونسية للنـشر و مطبعة المنار، تونس، 1968م.
12. ابن الجزري (شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد):
غاية النهاية في طبقات القراء، عنى بنشره ج. براجستراسر، ط1، مطبعة الـسعادة، 1932م.
13. ابن الجزري (شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد):
منجد المقرئين و مرشد الطالبيين، نشر مكتبة القدس، 1931.
14. ابن جلجل (أبو داود سليمان بن حسان الأندلسي):
طبقات الأطباء و الحكماء، تحقيق فؤاد سيد، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثـار الشرقية، القاهرة، 1955م.
15. ابن حجر العسقلاني (شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي):
ذيب التهذيب، ط1، مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية، 1908م.
16. الحميري (محمد عبد المنعم):
الروض المعطار في خبر الأقطار (معجم جغرافي)، تحقيق د. إحسان عبـاس، ط2، 1980م.
17. الحموي (ياقوت بن عبد الله شهاب الدين الرومي):
معجم الأدباء، تحقيق إحسان عبـاس، ط1، دار الغـرب الإسـلامي، بـيروت، 1993م.
18. الحموي (ياقوت بن عبد الله شهاب الدين الرومي):
معجم البلدان، دار صادر للطباعة و النشر، بيروت، 1956م.

19. ابن حوقل (أبو القاسم محمد بن علي التميمي):
صورة الأرض، ط2، طبع في مدينة ليدن بمطبعة بريل، 1938م.
20. الخشني (أبو عبد الله محمد بن الحارث بن أسد):
قضاة قرطبة و علماء إفريقية، نشر و طبع عزت العطار الحسيني، 1372هـ.
21. الخشني (أبو عبد الله محمد بن الحارث بن أسد):
طبقات علماء إفريقية، تحقيق محمد بن شنب، باريس، 1915م.
22. الخطيب (البغدادي):
تاريخ بغداد، دار الكتاب العربي، د.ت.
23. الخطيب (البغدادي):
تقييد العلم، صدره و علّق عليه يوسف العش، بيروت، 1946م.
24. ابن الخطيب (لسان الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله السلماني):
أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الإحتلام من ملوك الإسلام، القسم الثالث، تحقيق د. أحمد مختار العبادي و الأستاذ محمد إبراهيم الكتاني، الدار البيضاء، دار الكتاب العربي، 1964م.
25. ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد):
العبر و ديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب و العجم و البربر و من عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الكتاب اللبناني للطباعة و النشر، بيروت،1958م.
26. ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد):
المقدمة، المطبعة البهية، د.ت.
27. ابن خلكان (أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر):
وفيات الأعيان و أبناء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، 1972م.
28. الخوارزمي (محمد بن موسى):
الجبر و المقابلة، تحقيق علي مصطفى مشرفه و محمد مرسي أحمد، ط3، دار الكتاب العربي للطباعة و النشر، فرع مصر، 1968م.

29. الدباغ (عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الأنصاري):
معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، المطبعة العربية التونسية، تونس، 1320هـ.
30. ابن أبي دينار (أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم الرعيني):
المؤنس في أخبار إفريقية و تونس، تحقيق محمد شمام، ط3، نشر المكتبة العتيقة، تونس، 1967م.
31. الرقيق القيرواني (أبو إسحاق إبراهيم بن القاسم):
تاريخ إفريقية و المغرب، تحقيق المنجي الكعبي، نشر رفيق السقطي، تونس،1967م.
32. الزبيدي (أبو بكر محمد بن الحسن الأندلسي):
طبقات النحويين و اللغويين، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، 1973م.
33. الزرقاني (محمد عبد العظيم):
مناهل العرفان في علوم القرآن، ط3، طبع و نشر دار إحياء الكتب العربية، 1372هـ.
34. ابن أبي زرع (أبو الحسن علي بن عبد الله الفاسي):
الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب و تاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة و الوراقة، الرباط، 1973م.
35. الزركشي (بدر الدين محمد بن عبد الله):
البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، دار إحياء الكتب العربية، 1957م.
36. الزركلي (خير الدين):
الأعلام، ط3، بيروت، 1969م.
37. ابن زياد (أبو الحسن علي):
موطأ الإمام مالك، قطعة منه برواية علي بن زياد، تحقيق محمد الشاذلي النيفر، ط4، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1982م.
38. ابن أبي زيد القيرواني (أبو محمد عبد الله):
كتاب الجامع، تحقيق محمد أبو الأجفان، ط2، المكتبة العتيقة، تونس، 1983م.

39. ابن أبي زيد القيرواني (أبو محمد عبد الله):
الرسالة، ط3، مطابع جول كاربونيل، الجزائر، 1949م.
40. السبكي (تاج الدين): طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق محمود محمد الطاحي و عبد الفتاح محمد الحلو، ط1، سورية، 1964م.
41. ابن سحنون (محمد حبيب التنوخي):
كتاب آداب المعلّمين، تحقيق حسن حسني عبد الوهاب، ط2، مطبعة المنار، تونس، 1972م.
42. السخاوي (علم الدين أبو الحسن علي بن محمد) الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التـاريخ، تحقيق أحمد تيمور باشا، ط2، دار الكتاب العربي، بيروت، 1983م.
43. ابن سعد (محمد الزهري):
الطبقات الكبرى، تحقيق محمد عبد القادر عطاء، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1990م.
44. السكاكي (أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي):
كتاب مفتاح العلوم، ط1، المطبعة الأدبية، مصر، د.ت.
45. السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن):
بغية الوعاة في طبقات اللغويين و النحاة، ط1، مطبعة السعادة، 1326هـ.
46. السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن):
حسن المحاضرة في تاريخ مصر و القاهرة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، دار إحياء الكتب العربية، بيروت، 1967م.
47. السلاوي (أبو العباس أحمد بن خالد الناصري):
الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق الأستاذين جعفر الناصري و محمـد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1954م.
48. الشيرازي (أبو إسحاق):
طبقات الفقهاء، تحقيق إحسان عباس، ط2، دار الرائد العربي، بيروت، 1981م.

49. الضبي (أحمد بن يحي بن أحمد بن عميرة):
بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، دار الكتاب العربي، مطـابع سـجل العرب، القاهرة، 1967م.
50. ابن أبي الضياف (أحمد):
إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس و عهد الأمان، تحقيق لجنة من كتابة الدولة للشؤون الثقافية و الأخبار، ط2، مطبعة الدار التونسية للنشر، تونس، 1976م.
51. الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير):
تاريخ الرسل و الملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، د.ت.
52. ابن عذاري (أبو عبد الله محمد المراكشي):
البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب، نشر و تحقيق ج.س كولان و ا. ليفـي بروفنسال، ليدن (هولندا)، مطبوعات ا.ج. بريل، 1948م.
53. أبو العرب (محمد بن أحمد بن تميم القيرواني):
طبقات علماء إفريقية و تونس، تحقيق علي الشابي و نعيم حـسن اليـافي، الـدار التونسية للنشر تونس 1985 م .
54. ابن عساكر (أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله بن الحسين):
تاريخ ابن عساكر، مطبعة روضة الشام، 1330هـ.
55. عياض (أبو الفضل اليحصبي السبتي):
تراجم أغلبية، تحقيق محمد الطالبي، نشر الجامعة التونسية، تونس، 1968م.
56. عياض (أبو الفضل اليحصبي السبتي):
ترتيب المدارك و تقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تحقيق د.أحمد بكـير محمود، دار مكتبة الحياة، طرابلس، ليبيا، د.ت.
57. ابن فرحون (برهان الدين إبراهيم بن علي بن محمد اليعمري):
الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، ط1، 1351هـ.
58. ابن الفرضي (أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف الأزدي):
تاريخ العلماء و الرواة للعلم بالأندلس، تحقيق عزت العطار الحسيني، نشر مكتبـة المثنى، بغداد، 1954م.

59. الفيروز (أبادي):
القاموس المحيط، توزيع مكتبة النوري، دمشق، د.ت.
60. القابسي (أبو الحسن علي بن محمد):
الرسالة المفصلة لأحوال المتعلّمين و أحكام المعلّمين و المتعلّمين، تحقيق أحمد خالد، ط1، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1986م.
61. ابن قتيبة (أبو محمد عبد الله بن مسلم):
الإمامة و السياسة، تحقيق طه الزيني، ط1، دار المعرفة، لبنان، د.ت.
62. القفطي (جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف):
إنباه الرواة على أنباه النحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، د.ت.
63. المالكي (أبو بكر عبد الله بن أبي عبد الله):
رياض النفوس في طبقات علماء القيروان و إفريقية، ط1، نشر حسين مؤنس، طبع مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1951م.
64. ابن مخلوف (محمد بن محمد بن عمر بن قاسم):
شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، دار الكتاب العربي، ط1، بيروت،1931م.
65. المقدسي (شمس الدين أبو عبد الله محمد):
أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، د.ط، ليدن، 1877م.
66. المقري (أحمد بن محمد التلمساني):
نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بـيروت 1968م.
67. ابن النديم (أبو الفرج محمد بن إسحاق):
الفهرست، المطبعة الرحمانية، مصر، د.ت.
68. النويري (شهاب الدين أحمد بن عبد الرحمن):
اية الأرب في فنون الأدب، تحقيق حسين نصار، د.ط، القاهرة، 1983م.
69. الونشريسي (أبو العباس أحمد بن يحي التلمساني):
المعيار المعرب و الجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية و الأندلس و المغرب، تحقيق د. محمد حجي و آخرون، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983م.

90. الداودي (شمس الدين محمد بن علي):
طبقات المفسرين، د.ط، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.
91. الدوري (تقي الدين):
صقلية و علاقتها بدول البحر المتوسط الإسلامية، من الفتح العـربي حـتى الغـزو النورماندي (212هـ-484هـ/867م-1091م)، دار الرشيد للنشر، العراق، 1980م.
92. دياب محمد صابر:
سياسة الدولة الإسلامية في حوض البحر المتوسط، من أوائل القرن الثاني الهجـري حتى العصر العباسي، ط1، نشر عالم الكتب، القاهرة، 1973م.
93. الدوري (عبد العزيز):
بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب، ط2، دار المشرق، لبنان، 1986م.
94. رسلان (عبد المنعم):
الحضارة الإسلامية في صقلية و جنوب إيطاليا، ط1، الكتـاب الجـامعي، جـدة، 1980م.
95. الرفاعي (أنور):
الإسلام في حضارته و نظمه الإدارية و السياسية و الأدبية و العلمية و الإجتماعية و الإقتصادية و الفنية، دار الفكر، د.ت.
96. الزحيلي (د. وهبة):
الفقه الإسلامي و أدلّته، دار الفكر، دمشق، 1984م.
97. زمامة (عبد القادر) و آخرون:
معجم تفسير القرآن، د.ط، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية و العلوم و الثقافة، إيسيسكو، مطبعة الدار البيضاء، المغرب، 1977م.
98. أبو زهرة (محمد أحمد):
تاريخ المذاهب الإسلامية، مطبعة دار الفكر العربي، بيروت، 1955م.
99. أبو زهرة (محمد أحمد):
أبو حنيفة، حياته و عصره، آراؤه و فقهه، ط2،دار الفكر العربي، بيروت،1952م.

70. اليعقوبي (أحمد بن أبي يعقوب بن واضح):
البلدان، ط1، دار إحياء التراث العربي، لبنان، 1988م.

ج- المراجع العربية:

71. أمين (أحمد):
ضحى الإسلام، مطبعة لجنة التأليف و الترجمة و النشر، ط1، القاهرة، 1936م.
72. بدر (د.أحمد):
تاريخ المغرب و الأندلس، المطبعة الجديدة، دمشق، 1981م.
73. البستاني (ألطوان مسعود):
البلاغة و التحليل، ط3، دار المشرق، بيروت، لبنان، 1986م.
74. بشار (قويدر):
منهجية الكتابة التاريخية عند العرب و المسلمين، 1988م.
75. البغدادي (إسماعيل باشا):
هدية العارفين و أسماء المؤلّفين و آثار المصنفين، د.ط، استانبول، 1951م.
76. بونار (رابح):
المغرب العربي تاريخه و ثقافته، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1968م.
77. ابن تاويت (محمد):
الأدب المغربي، ط2، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، 1969م.
78. التهامي (د.إبراهيم):
جهود علماء المغرب في الدفاع عن عقيدة أهل السنة، دار الرسالة للنشر و التوزيع، ط1، الجزائر،2002م.
79. الثعالبي (عبد العزيز):
تاريخ شمال إفريقيان من الفتح الإسلامي إلى ناية الدولة الأغلبية، جمع و تحقيـق د. أحمد بن ميلاد و الأستاذ محمد إدريس، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، لبنان، 1987م.

80. الجنحاني (حبيب):
القيروان عبر عصور إزدهار الحضارة الإسلامية في المغرب العربي، الـدار التونـسية للنشر، طبع الشركة التونسية لفنون الرسم، 1968م.
81. حجازي (عبد الرحمان عثمان):
المذهب التربوي عند ابن سحنون، ط1ن مؤسسة الرسـالة للطباعـة و النـشر، 1986م.
82. حسن إبراهيم حسن:
تاريخ الإسلام السياسي و الديني و الثقافي و الإجتماعي، مكتبة النهضة المـصرية، ط7، القاهرة، 1964م.
83. حسن أحمد محمود:
الإسلام و الثقافة العربية بإفريقية، نشر دار النهضة العربية، القاهرة، 1963م.
84. حسن حسني عبد الوهاب:
شهيرات التونسيات، ط2، تونس، د.ت،
85. حسن حسني عبد الوهاب:
المنتخبات الأدبية، طبعة تونس، 1919م.
86. حسن حسني عبد الوهاب:
المنتخب المدرسي من الأدب التونسي، ط2، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1944م.
87. حسن حسني عبد الوهاب:
ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية التونسية، القسم الثالث، جمع و إشراف محمد العروسي المطوي، نشر مكتبة المنار، تونس، 1972م.
88. حسين مؤنس:
فتح العرب للمغرب، نشر مكتبة الآداب، مطبعة مصر، د.ت
89. بن حمدة (د.عبد ا يد):
المدارس الكلامية بإفريقية إلى ظهور الأشعرية، ط1، مطبعة دار العـرب، تـونس، 1986م.

100. شاكر (مصطفى):
التاريخ العربي و المؤرخون، ط2، دار العلم للملايين، بيروت، 1979م.
101. شتا محمد زيتون:
القيروان و دورها في الحضارة الإسلامية، ط1، دار المنار، القاهرة، 1988م.
102. صبحي الصالح:
علوم الحديث و مصطلحه، ط3، دار العلم للملايين، بيروت، 1965م.
103. طلس (د. محمد أسعد):
التربية و التعليم في الإسلام، طبعة بيروت، 1957م.
104. طوقان (قدري حافظ):
العلوم عند العرب، ط2، دار إقرأ، بيروت، لبنان، 1983م.
105. عاشور (سعيد عبد الفتاح):
تاريخ الحضارة الإسلامية العربية، ط2، منشورات ذات الـسلاسل، الكويـت، 1986م.
106. ابن عاشور (سعيد عبد الفتاح):
أعلام الفكر الإسلامي في تاريخ المغرب العربي، الدار التونسية للنـشر، تـونس، 1970م.
107. ابن عاشور (محمد الفاضل):
التفسير و رجاله، طبعة دار الكتب الشرقية، تونس، 1972م.
108. فروخ (عمر):
تاريخ العلوم عند العرب، ط4، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1984م.
109. فروخ (عمر):
تاريخ الأدب العربي من مطلع الجاهلية إلى سقوط الدولة الأمويـة، دار العلـم للملايين، ط1، بيروت، 1956م.
110. القطان (المناع):
مباحث في علوم القرآن، ط33، مؤسسة الرسالة، لبنان، 1997م.

111. الكعاك (عثمان):
العلاقات بين تونس و إيران عبر التاريخ، طبعـة الـشركة التونـسية للتوزيـع، تونس، 1972م.
112. الكعاك (عثمان):
محاضرات في مراكز الثقافة بالمغرب، طبعة معهد الدراسات العربية، جامعة الدول العربية بالقاهرة، 1958م
113. الكنوني (أحمد):
المدرسة القرآنية في المغرب، من الفتح الإسلامي إلى ابن عطية، منشورات مكتبة المعارف، ط1، الرباط، 1981م.
114. لقبال (د. موسى):
الحسبة المذهبية في بلاد المغرب العربي(نشأ ا وتطورها)ش و ن ت الجزائر .
115. ا ذوب (عبد العزيز):
الصراع المذهبي بإفريقية إلى قيام الدولة الزيرية، الدار التونسية للنشر و التوزيـع، 1975م..
116. المدني (أحمد توفيق):
المسلمون في جزيرة صقلية و جنوب إيطاليا، ط2، الشركة الوطنيـة للنـشر و التوزيع،1975م.
117. المطوي (العروسي):
سيرة القيروان –رسالتها الدينية و الثقافية في المغرب الإسلامي، طبعة الدار العربية للكتاب، تونس، 1981م.
118. نبوي (عبد العزيز):
محاضرات في الشعر المغربي القديم، ديوان المطبوعات الجامعية، مطـابع مؤسـسة الكرمة، الجزائر، 1983م.
119. نويهض (عادل):
معجم المفسرين، من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، ط1، مؤسسة نويهض للتأليف و الترجمة و النشر، لبنان، 1983م.

120. النيفر (الشاذلي):
موطأ ابن زياد، تحقيق محمد الشاذلي النيفر، الدار التونسية للنشر، تونس، د.ت.

د- المراجع المترجمة:

121. أماري (ميخائيل):
المكتبة العربية الصقلية، جمع و تحقيق ميخائيل أماري، ليبسك، 1857م.
122. بل (ألفريد):
الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي، ترجمة عبد الرحمن بـدوي، دار الغـرب الإسلامي، بيروت، 1981م.
123. فازيليف (س):
العرب و الروم، ترجمة محمد عبد الهادي شعيرة، دار الفكر العربي، بطرسـبرج 1900م.

هـ- الأبحاث و الرسائل الجامعية:

أ- الأبحاث:

124. بدر (أحمد):
هجرة الثقافة من المشرق إلى المغرب في القرن الثاني للـهجرة، مجلـة دراسـات تاريخية، العدد 8، دمشق، نيسان، 1982م.
125. تركي (د.رابح):
رسالة المسجد في ا تمع الإسلامي، مجلة حوليات جامعة الجزائر، عدد1، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1986م-1987م.
126. شتا (محمد زيتون):
العلاقات الثقافية بين القيروان و بين مراكز الفكر في المشرق حتى منتصف القرن الرابع الهجري، مجلة كلية العلوم الإجتماعية، العدد الأول، الرياض، 1977م.
127. مفتاح (عمر):

مفهوم الجهاد و الإتحاد في الأدب الأندلسي، عدد1، مجلد12، نيـسان، أيـار، حزيران، الكويت، 1981م.

ب- الرسائل الجامعية العربية:

128. بوسعد (الطيب):
الحيـاة الثقافيـة في الإمـارة الأغلبيـة و علاقا ـا بالخلافـة العباسـية (184هـ296هـ-800م-909م)، رسالة ماجستير في التـاريخ الوسـيط، إشراف د. عبد العزيز فيلالي، الجزائر، 2002م.

129. بن حمدة (عبد ا يد):
ثقافة ا تمع القيرواني في القرن الثالث الهجري، رسالة ةدكتوراه الدور الثالـث، إشراف د.علي أحمد عيسى، كلية الآداب و العلوم الإنسانية، جامعـة الجزائـر، 1972م.

130. الزغبي (محمد):
العلوم في العصر الأموي (41هـ-132هأ-661م-750م)، رسالة ماجستير، إشراف د.أمينة بيطار، دمشق، 1982م.

و- دوائر المعارف:

أ- دائرة المعارف الإسلامية:

- مادة (أبي حنيفة)، ا لد الأول.
- مادة (إبراهيم بن الأغلب)، ا لد الأول.
- مادة (أسد بن الفرات)، ا لد الثاني.
- مادة (سحنون)، ا لد 11.
- مادة (الشافعي)، ا لد13.

ز- المراجع الأجنبية:

131. Abu NASR (M.Jamil):
A History of the Maghrib, combridge at the university Press.1971.
132. Blacher (RENE):
Introduction au coran, Paris, 1957.
133. Brunschvig (R):
La Tunisie dans le haut moyen Age, sa place dans l'histoire, le Caire, 1948
134. Cherif (Ahmed):
Histoire de la médecine arabe en Tunisie, Amico librairie, Tunisie, 1908.
135. Ibn Milad (Ahmed):
L'école médicale de kairouan au IX^{e} et X^{e} siècle, imprimerie de la faculté de médecine, jour et cie, Paris, 1933.

136. Marçais (Georges):
La Berberie musulmane et l'orient au moyen Age, Editions Montaigne , Paris. 1946.
137. Marçais (Georges):
manuel d'art musulman du IX^{e} au XII^{e} siècle. Edition auguste Picard. Paris.1926.
138. Marçais (Georges):
Les faïences de la grande Mosquée de kairouan, librairie orientaliste, Paris.1928.
139. Talbi (Mohamed):
L'Emirate Aghlabide (184^{H}-296^{H}/800A.j.c-909A.j.c), Histoire politique, Librairie d'Amérique et d'orient, Adrien- Maisonneure, paris Vie, 1966.
140. VONDERHEYDEN (M):
La Berberie orientale sous la dynastie des Benoul_AGhlab (800-909), Librairie orientaliste, Paul Geuthner, Paris. 1927.

و- المجلّات و الدوريات الأجنبية:

141. Ben M'rad (Brahim):
Hommage à IBN AL_GAZZAR, in IBLA (revue de l'Institut des Belles Lettres Arabes) N°151, 1983-1. Tunisie
142. IDRIS (H.R):
Contribution à l'histoire de l'Ifriquia (d'après le RYAD EN_NUFUS D'ABU BAKR AL MALIKI), extrait de la revue des études Islamiques. Paris. 1936.
143. Marçais (Georges):
La Berberie au XI^{e} siècle d'après el yakubi, extrait de la R.A. 1er et 2^{e} mt, 1941.
144. Talbi (Mohamed):
Du Nouveau sur l'Itizal en Ifriquia, in Revue Tunisienne des sciences sociales, Année 1975.
145. Talbi (Mohamed):
La relation entre l'ifriquia et l'Espagne musulmane au IIIe, IXe siècle, in cahiers de Tunisie, revue des sciences humaines, 1er et 2^{e} trimestre, Tunisie, 1970.
146. Talbi (Mohamed):
La quira à BI_L_ALHAN, dans arabica, Leiden, 1958.

ط- دوائر المعارف الأجنبية:

- Article, Abu Hanifa, encyclopédie de l'Islam, tome 1 A.D. 1913.
- Article, AGHLABIDES, vie religieuse, encyclopédie de l'islam, tome1.J. Shacht.
- Article, Bayt ALHIKMA, encyclopédie de l'islam, tome1. paris, 1975. Sourdel.

فهرس الموضوعات

- فهرس الموضوعات -